الكتاب: كتاب الفتوح
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي
الجزء: ٤
الوفاة: ٣١٤
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١١
المطبعة: دار الأضواء
الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ردمك:
ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
(المتوفى نحو سنة ٣١٤ ه / ٩٢٦ ه)
الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر الحكمين
قال: ثم اجتمع (١) قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكرين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن. قال: فرضي الفريقان (٢) جميعا بالحكمين، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة.
فقال (٣) أهل الشام: قد رضينا بعمرو بن العاص.
وقال الأشعث بن قيس والذين (٤) صاروا خوارج بعد ذلك: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، فإنه وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، وصاحب مقاسم أبي بكر
وعامل عمر بن الخطاب. فقال علي رضي الله عنه: ولكني لا أرضى أبا موسى ولا أوليه هذا الأمر. فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن (٥) ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكواء: فإننا لا نرضى إلا به، لأنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه. فقال علي رضي الله عنه: فإنه ليس لي برضا (٦) وقد كان فارقني وخذل الناس عني، ثم

---

(١) بالأصل: اجتمعوا.
(٢) بالأصل: فرضيوا الفريقين.
(٣) بالأصل: فقالوا.
(٤) الطبري ٦ / ٢٨: وأولئك القوم الذين.
(٥) في الطبري ٦ / ٢٨ والإصابة: حصين. وهو زيد بن حصين الطائي وكان من أصحاب البرانس المجتهدين.
(٦) الطبري: بثقة.

هرب حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكما لي.
فقال (١) القوم: والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، إلا أننا لا نريد رجلا هو منك وأنت منه (٢). فقال علي رضي الله عنه: فأنا أجعل الأشتر حكما، فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلا الأشتر (٣)! فقال الأشعث: حكمه أن يضرب الناس بعضهم بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.
فقال له الأشتر: أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلا لها. فقال الأشعث: والله ما فرحت بتلك الرئاسة ولا حزنت لذلك العزل.
فقال علي رضي الله عنه: ويحكم! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا (٤) الأمر أحدا (٤) هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح للقرشي [إلا مثله] (٥)، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمرا لا يعقد عقدة إلا حلها، ولا يبرم أمرا إلا نقضه، ولا ينقض أمرا إلا أبرمه. فقال الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مضريان أبدا حتى تقوم الساعة! ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن، فقال علي رضي الله عنه: إني أخاف أن يخدع يمانيكم، فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء، فقال الأشعث: والله لأن يحكما (٦) ببعض ما نكره وأحدهما (٧) من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضريان. فقال علي رضي الله عنه: وقد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم (٨)،

---

(١) بالأصل: قالوا.
(٢) عبارة مروج الذهب ٢ / ٤٣٤: والله لا يحكم فينا مضريان. يريد عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس.
(٣) في مروج الذهب: " وهل هاج هذا الأمر إلا الأشتر ". ويظهر أن بالأصل هنا سقط، فالمعنى لم يكتمل، وهذا ما يظهر من العبارة التالية. وتمام العبارة في الأخبار الطوال ص ١٩٢: وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟ قال علي: وما حكمه؟.
(٤ - ٤) عن وقعة صفين ص ٥٠٠ وبالأصل: هذا الأمر أحد.
(٥) عن كتاب وقعة صفين، سقطت من الأصل.
(٦) عن وقعة صفين، وبالأصل، لئن يحكمون.
(٧) بالأصل: واحدهم.
(٨) في الأخبار الطوال ص ١٩٣: ما أحببتم. وفي مروج الذهب ٢ / ٤٣٤: فاصنعوا الآن ما أردتم، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه.

اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم! قال: وأنشأ خريم (١) بن فاتك الأسدي في ذلك يقول:

لو كان للقوم رأي (٢) يعصمون (٣) به * عند الخطوب (٤) رموكم بابن عباس
لله در أبيه أيما رجل * ما مثله للقضا والحكم في الناس (٥)
لكن رموكم بشيخ (٦) من ذوي يمن * لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس (٧)
إن يخل عمرو به يقذفه في لجج * يهوي به البحر (٨) تيسا بين أتياس
أبلغ لديك عليا غير عاتبه * قول امرئ لا يرى في الحق من بأس
ما الأشعري بمأمون أبا حسن * خذها إليك وليس الفخذ كالرأس (٩)

قال: فقال الأحنف بن قيس التميمي (١٠): يا أمير المؤمنين إن أبا موسى رجل من اليمن وعامة بني عمه مع معاوية، وقد رميت بعمرو بن العاص وهو داهية العرب، فاجعلني حكما فإني أرجو أن لا يعقد عمرو عقدة إلا حللتها، ولا يحل عقدة إلا عقدتها، وإلا فتابعت من شئت غير أبي موسى وابعثني معه! فقال علي رضي الله عنه: يا أحنف! إن القوم قد أبوا إلا أبا (١١) موسى والله بالغ في ذلك أمره. قال: ثم بعث (١٢) القوم إلى أبي (١١) موسى فدعوه، وقد كان معتزلا عن

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٤٣ والأخبار الطوال ص ١٩٣ ووقعة صفين ص ٥٠٢ أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي.
(٢) من المصادر.
(٣) كذا بالأصل ومروج الذهب ووقعة صفين، وفي الأخبار الطوال يهتدون.
(٤) في الأخبار الطوال: بعد القضاء. وفي وقعة صفين: من الضلال.
(٥) وقعة صفين: ما مثله لفصال الخطب في الناس.
(٦) مروج الذهب: بوغد.
(٧) تقول العرب لمن خاتل: ضرب أخماسا لأسداس، وهو مثل أصله أن شيخا كان في إبله ومعه أولاده رجالا يرعونها، قد طالت غربتهم عن أهلهم، فقال لهم ذات يوم: ارعوا إبلكم بربعا، فرعوا ربعا نحو طريق أهلهم، فقالوا له: لو رعيناها خمسا، فزادوا يوما قبل أهلهم، فقالوا: لو رعيناها سدسا، ففطن الشيخ لما يريدون، فقال: ما أنتم إلا ضرب أخماس لأسداس، ما همتكم رعيها، إنما همتكم أهلكم.
(٨) في وقعة صفين: النجم.
(٩) في وقعة صفين: فاعلم هديت وليس العجز كالرأس.
(١٠) الأخبار الطوال ص ١٩٣ الإمامة والسياسة ١ / ١٣١ وقعة صفين ٥٠١ باختلاف بين النصوص وزيادة.
(١١) بالأصل: " أبو " خطأ.
(١٢) بالأصل: بعثوا.

القتال (١)، فأقبل إليه مولى له فقال: إن القوم قد اصطلحوا. فقال: الحمد لله رب العالمين! قال: فإنهم قد جعلوك حكما، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم أقبل أبو موسى حتى دخل إلى عسكر علي.

وأقبل الأشتر إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! آتني (٢) بعمرو بن العاص، فو الله الذي لا إله إلا هو لئن ملأت عيني منه لأقتلنه.

قال: وأقبل حريث الطائي وهو جريح مثقل حتى وقف على علي رضي الله عنه وهو لما به، فبادره علي ورحب به، ثم قال له: كيف أنت يا أخا بني سنبس؟ فقال: جريح دنف كما تراني، والذي بقي من عمري أقل مما مضى منه، ولكني اتيتك يا أمير المؤمنين في وقتي هذا لحق أقضيه، فقال علي: قل ما تشاء، فقال: جعلني الله فداك! أحكم بعد حكم القرآن؟ وأمر بعد أمر القرآن؟ وأمر الله يصب دماءنا ودماءنا، ومعنا حكم الله علينا وعليهم، فما الذي حملك على إجابة القوم على الحكم؟ امض على أمر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون. قال: فحثى قوم من أولئك القراء في وجهه التراب وهموا بقتله، فقال: كفوا عن الرجل! قال: فتنحى من بين أيديهم وتفل فأحس بالموت، فأنشأ يقول:

يسائلني علي كيف حالي * وحالي أنني دنف جريح
ومالي والذين حذى مقري * سوى أني لسوءتها أصيح
وإني لا أقر بها وإني * لأهل الدين والدنيا نصيح
أبا حسن هداك الله دعها * ومتن أديمها منها صحيح
أتطمع في معاوية بن حرب * وعمرو إن ذا منا قبيح
وقولهما ومن حجت إليه * خفاف البزل في البيدا ربيح

قال: ثم لم يلبث أن مات رحمه الله، وبلغ عليا شعره فقال: رحم الله أخا طيء ولا عرفه قبيحا من عمله.

---

(١) وكان أبو موسى قد اعتزل القتال بأرض من أرض الشام يقال لها " عرض " وهي بلد ما بين تدمر والرصافة الشامية.

(٢) في الطبري ٦ / ٢٨: ألزني.

ذكر كتبة كتاب الصلح بينهم وما جرى في ذلك
قال: ثم وضع (١) الناس السلاح والتقوا في المصنف بين العسكرين ودعوا بالكاتب، فجاء عبيد الله (٢) بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو كاتب علي واجتمع
الناس من أهل العراق وأهل الشام.
فقال علي رضي الله عنه لكتابه: اكتب " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان "، فقال معاوية: فإن كنت أمير المؤمنين كما زعمت فعلام أقاتلك؟ فقال علي رضي الله عنه: الله أكبر! كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الحديبية حين صده المشركون عن
مكة، ثم اتفق أمره وأمرهم على الصلح بعد ذلك فدعاني لأكتب، فقلت: ما أكتب يا رسول الله؟ فقال: اكتب " هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة "، فقال أبو هذا أبو سفيان بن حرب (٣): يا محمد! إني لو أقررت أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن اكتب لنا صحيفتك باسمك واسم أبيك، فكتبت ذلك (٤) بأمر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا علي! إن لك يوما مثل هذا، أنا أكتبها للآباء وتكتبها للأبناء (٥)،
وإني الآن أكتبه لمعاوية كما كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سفيان (٦)، قال: فقال: عمرو بن
العاص: يا سبحان الله! ونقاس (٧) نحن إلى الكفار ونحن مؤمنون! فصاح به علي صيحة وقال: يا بن النابغة! لو لم تكن للمشركين (٨) وليا وللمؤمنين عدوا لم تكن في الضلالة رأسا وفي الإسلام ذنبا، أو لست ممن قاتل محمدا عليه السلام وفتن أمته من

---

(١) بالأصل: وضعوا.
(٢) كذا في الإصابة والوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٣، وبالأصل وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٩ عبد الله.
(٣) كذا بالأصل، وهو خطأ فادع، والمشهور أن الذي عارض النبي (ص) يوم الحديبية عن الكفار سهيل بن عمرو وليس أبو سفيان.
انظر في صلح الحديبية الطبري ٣ / ٧٩ سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٠ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤.
(٤) العبارة في الطبري ٣ / ٧٩: هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو... وعبارة اليعقوبي ٢ / ٥٤: باسمك اللهم، من محمد بن عبد الله...
(٥) العبارة في وقعة صفين ص ٥٠٨: فاليوم اكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله (ص) إلى آبائهم سنة ومثلا. وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٠: فقال يا علي: أما انك ستسام مثلها فتعطي.
(٦) كذا، خطأ، انظر ما مر.
(٧) وقعة صفين ص ٥٠٨: ومثل هذا شبهتنا بالكفار ونحن مؤمنون؟ (الطبري ٦ / ٢٩).

(٨) الطبري: للفاسقين.

بعده؟ أو لست الأبتر ابن الأبتر عدو الله وعدو رسوله، قم من ههنا يا عدو الله فليس هذا بموضع يحضره مثلك. قال: فوثب عمرو ساكتا (١) لا ينطق بشيء حتى قعد ناحية.

قال: فقال عبد الله بن خباب (٢) وكان من الفرسان الأبطال وكان له فضل، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك أمرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت عندنا أمرا واحدا، فقبلناها منك بالتسليم منا لأمرك، وهذه من (٣) تلك الأمور، ونحن اليوم أصحابك أمس، وأراك كارها لهذه القضية، وأيم الله ما المكثر المنكر بأعلم من المقتر المقل (٤)، وقد كانت الحرب أخذت بأنفاس هؤلاء القوم، فلم يبق منهم إلا رجاء ضعيف وصبر مستكره، فاستغاثوا بالمصاحف وفزعوا إليها من حر أسنتنا وحد سيوفنا فأجبتهم إلى ما دعوك إليه، فأنت أولنا إيمانا وآخرنا عهدا بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم،

وإلا فهذه سيوفنا (٥) في رقابنا، ورماحنا في أكفنا وقلوبنا في أجوافنا، وقد أعطيناك تبعتنا غير مستكرهين، والأمر إليك والسلام.

ثم وثب صعصعة بن صوحان العبدي فقال (٦): يا أمير المؤمنين! إنه قد شرحت الطاعة قلوبنا ونفدت في جهاد عدونا بصائرنا، وأنت الوالي المطاع، ونحن الرعية الأتباع، وأنت أعلمنا بربنا، وخيرنا في ديننا، وأعظمنا حقا فينا، وسيدنا بعد نبينا، وأقربنا منه قرابة، فصلى الله عليه ورضي عنك، فانفذ لرأيك نتبعه، وإن أبيت هذه القضية فلا ضيم عليك ولا خذل، ولو عصاك (٧) الناس كلهم لأطعناك، فإن أجبت إلى ما دعيت إليه فنحن لك على السمع والطاعة إلى ما أمرت، فاستخر الله واعزم على ما عزم عليه رأيك - والسلام -.

قال فسر علي بقوله وأثنى عليه خيرا.

---

(١) عبارة الطبري: فقام، فقال: لا يجمع بيني وبينك أبدا بعد اليوم. فقال له علي: وإني لأرجو أن يطهر الله عزو جل مجلسي منك ومن أشباهك.

(٢) في الإمامة والسياسة ١ / ١٤٠ عبد الله بن حجل (العجلي)

(٣) الإمامة والسياسة: مثل.

(٤) الإمامة والسياسة: المقل المعترف.

(٥) الإمامة والسياسة: سيوفنا على أعناقنا، وقلوبنا بين جوانحنا.

(٦) الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٢ باختلاف.

(٧) الأصل: عصوك.

ثم تكلم المنذر بن الجارود العبدي فقال (١): يا أمير المؤمنين! إننا قد سمعنا مقال معاوية وعمرو بن العاص، غير أنه إذا جاء أمر لا يدفع فامتثل الأمر فيه الرضا، وقد كنا نرى أن ما زادنا من هؤلاء القوم نفعهم وما نفعنا ضرهم. وإن في ذلك أمرين تعجيل هوى أو تأخير مساءة إلى أن ترى غير ذلك، فإن رأيته ففينا من البقية ما تفل له الحد وترد به الكلب، وليس لنا معك إصدار ولا إيراد - والسلام -.

قال: ثم وثب الحارث بن مرة فقال: يا أمير المؤمنين! إننا منا من يقول ما لا يفعل، ومنا من يهوى ما لا يستطيع، وليس ينفعك إلا من فعل واستطاع، وقد والله ذهب الفاعل وضعف المستطيع، ولسنا نحرك من شيء إن كنت قاتلت معاوية لله وقاتلك للدنيا، فقد والله بلغ أهل الدين من الدنيا حاجتهم، وإن كانوا بلغوا منا دون ما بلغنا منهم فإن كنت كرهت هذه القضية وأردت قتالهم فمن مضى بمن مضى ومن بقي بمن بقي - والسلام -.

قال: فجعل كل إنسان يتكلم بما يحضره من الكلام، حتى قام شريك الأعور الهمداني والأحنف بن قيس (٢) وحارثة بن قدامة السعدي، فتكلموا وحرضوا، وخاف معاوية أن ينتقض عليه الأمر، غير أنه ينظر إلى وجوه القوم فيعرفهم بأعيانهم وهو في ذلك حنق عليهم، حتى قام عبد الله بن سوار (٣) وهو الذي قتل عبيد الله بن عمر فسكن القوم وقال: اسكنوا حتى أتكلم مع أمير المؤمنين بما أريد.

ثم أقبل على علي فقال: يا أمير المؤمنين! والله إننا لنعلم أنك ما أوردت ولا أصدرت إلا ومعك من الله عز وجل برهان وحجة، ونحن ممن يأمر ولا يؤمر عليه، فإن كنت عزمت لم تفل، وإن كنت لم تعزم فالمشورة لله رضا، وليس أول أمر كآخره، لأنه قد نكدر صفونا وقل جدنا، وذهب أهل البصيرة والصبر منا، وبقي أهل الشك والعلل، وفينا أئمة جور ورجال هدى وهم قليل والأمر إليك.

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٢.

(٢) ومما قاله الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن الناس بين ماض وواقف، وقاتل وساكت، وكل في موضعه حسن، وإنه لو نكل الآخر عن الأول لم يقل شيئا إلا أن يقول اليوم ما قد قيل أمس، ولكنه حق يقضى، ولم نقاتل القوم لنا ولا لك، إنما قاتلناهم لله، فإن حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله، فإنك أولى بالحق، وأحقنا بالتوفيق، ولا أرى إلا القتال.
(الإمامة والسياسة ١ / ١٤٣).

(٣) كذا، وقد مر التعليق حول الاختلاف فيما قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

قال: فوثب الأشتر مغضبا ثم قال: يا بن سوار! ما هذا الكلام الضعيف والرأي السخيف؟ اسكن ودعني أكلم أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك عند الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نظرك (١)، [وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي]، (٢)، فإن أجبت إلى هذه القضية فأنت الإمام الرشيد والبطل المجيد، وإن أبيت ذلك فاقرع (٣) الحديد على الحديد واستعن بالله العزيز الحميد. قال: فقال له علي رضي الله عنه: اجلس! فقد قضيت ما عليك.

قال: وعجب (٤) القوم من كلام الأشتر ومن إيجازه.

قال: ومعاوية وعمرو بن العاص ومن معهما (٥) من قريش وغيرهم من أهل الشام سكوت، ما فيهم أحد يتكلم عن معاوية ولا ينطق بشيء. فقال علي رضي الله عنه لكاتبه: اكتب " هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ". فقال أبو الأعور السلمي: نبدأ بمعاوية ثم علي، فقال له الأشتر: لا ولا كرامة لك ولا لمعاوية، بل نبدأ بعلي قبل معاوية، ونقدمه عليه وعلى غيره لأنه أسبق الناس إيمانا وهجرة وأدنى إلى العلية. فقال معاوية: يا أشتر! قدم من شئت وأخر من شئت.

قال: فكتب الكاتب (٦).

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعة علي وأهل الشام من شيعة معاوية، أنهم ينزلون على حكم كتاب الله، وأن كتاب الله بين علي ومعاوية من فاتحته إلى خاتمته. وأن يحيوا ما أحيى القرآن ويميتوا ما أمات القرآن، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، وأن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٣ نصرتك. وفي وقعة صفين ص ٤٨٢: بصرك.

(٢) ما بين معكوفتين نسب هذا الكلام في الإمامة والسياسة ١ / ١٤٣ إلى عمرو بن الحمق.

(٣) الإمامة والسياسة: فافرج.

(٤) بالأصل: وعجبوا. (٥) الأصل: معهم.

(٦) انظر وثيقة التحكيم في الطبري ٦ / ٢٩ - ٣٠ مروج الذهب ٢ / ٤٣٥ الأخبار الطوال ص ١٩٤ - ١٩٥

وقعة صفين ص ٥٠٤، ابن الأثير ٢ / ٣٨٨ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٢ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ باختلاف وزيادة ونقصان بين النصوص.

قد أخذا (١) على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما (٢)، بما أنزل الله في كتابه، فإن لم يجدا (٣) في كتاب الله فبالسنة الجماعة غير المتفرقة، وأن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمنا من الجندين جميعا على دمائهما وأموالهما، وأن الأمة لهما (٤) أنصار على ما تقاضيا (٥) عليه، والعهد والميثاق على الفريقين جميعا أن يرضوا بما في هذه الصحيفة، وأن يرجع أهل العراق إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم، وأن يكون المجتمع للحكم بدومة الجندل (٦)، والمدة بين علي ومعاوية سنة كاملة – والسلام ".

قال: وكتب أهل العراق بهذا كتابا لأهل الشام بخط عبيد الله (٧) بن أبي رافع كاتب علي، وكتب أهل الشام بهذا كتابا لأهل العراق بخط عمار (٨) بن عباد الكلبي كاتب معاوية، وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام، وشهود أهل الشام على أهل العراق (٩).

ذكر أول من يسرى من أصحاب علي بن
أبي طالب بعد ذلك

قال: فلما كتب الكتابان (١٠) جميعا وختموا وثب رجل من أصحاب علي رضي

---

(١) بالأصل: أخذوا.
(٢) بالأصل: يحكموا.
(٣) بالأصل: يجدوا.
(٤) بالأصل: لهم.
(٥) بالأصل: تقاضوا.
(٦) اختلفوا في مكان اجتماع الحكمين فقيل بدومة الجندل، وهو المنصف بين العراق والشام. وقيل بغيرها بأذرح. انظر مروج الذهب ٢ / ٤٣٨ الطبري ٦ / ٣١ معجم البلدان مادتي (دومة الجندل واذرح) الأخبار الطوال ص ١٩٧ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٢ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠.
(٧) تاريخ اليعقوبي: عبد الله.
(٨) الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٣ عمرو بن عبادة. وفي وقعة صفين ص ٥٠٧ وكتب عمر، وفي ص ٥١١ وكتب عميرة. ولم يذكر الطبري في كتاب معاوية من اسمه عمار أو عمر بن عباد أو عبادة. وانظر كتاب الوزراء للجشهياري ص ٢٤ – ٢٥ وفيه ذكر لكتاب معاوية وليس بينهم أيضا من اسمه عمر أو عمرو أو عمار.
(٩) انظر في شهود أهل العراق وشهود أهل الشام الطبري ٦ / ٢٩ الأخبار الطوال ص ١٩٤ معجم البلدان ٤ / ١٠٩ ذيل وثيقة التحكيم في وقعة صفين ص ٥٠٦ – ٥٠٧.
(١٠) بالأصل: الكتابين.

الله عنه من ربيعة من بني يشكر (١) واستوى على فرسه ثم قال: اسقوني ماء!
فسقي، فلما شرب وروي جعل يرتجز ويقول:
أشرب من مائكم علي * قد كان رأيي نصرة الوصي
والفارس الشهم مع النبي * حتى رضى بأمره الدني
في ذاك منه فرقة الولي
ثم حمل على أصحاب علي فقاتلهم ساعة ووقف وقال: اسقوني ماء!
فسقي، فلما روي جعل يرتجز ويقول:
أشرب من مائكم معاوية * وكلكم مأواه نار حامية
وأمكم تهوي بكم في الهاوية * أرجو من الله جنانا عالية
فيها ظلال وقطوف دانية
ثم حمل، فكان مرة يحمل على أصحاب معاوية، ومرة يحمل على أصحاب علي وهو ينادي بأعلى صوته: ألا! إني قد خلعت عليا ومعاوية، وبرئت من حكمهما (٢) ولا حكم إلا لله ولو كره المشركون. ثم حمل على أصحاب علي فقاتل حتى قتل. قال: وكان هذا اليشكري أول من يتسرى، فأنشأ النجاشي (٣) شاعر علي يقول في ذلك:
ما كان أغنى اليشكري عن التي * أقاد (٤) بها جمرا من النار حاميا
غداة ينادي والفوارس جمة (٥) * خلعت عليا مرة (٦) ومعاويا
ويطعن في أهل العراق برمحه * وتلك التي جرت عليه الدواهيا
ويثني على أهل الشام حتى كأنهم * بنات طيور الماء أبصرن بازيا
إذا شد نادى الحكم لله وحده * وفي الحكم أن تجنى عليه العواليا

---

(١) كذا بالأصل والإمامة والسياسة ١ / ١٥٣ وفي الأخبار الطوال ص ١٩٦ أن أول من حكم رجلان من عنزة اسمهما جعد ومعدان قالا: لا حكم إلا لله ثم شدا على أهل الشام فقاتلا حتى قتلا. وانظر الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٦ وروايته مختلفة وانظر البيان والتبيين ٢ / ٢٠٦ ومروج الذهب ٢ / ٤٣٦.
(٢) بالأصل: حكمهم.
(٣) في الكامل للمبرد - فقال شاعر من همدان وذكر البيتان الأول والثاني فيه ٣ / ١١٠٦ - ١١٠٧.
(٤) في الكامل: تصلى.
(٥) الكامل: والرماح تنوشه.
(٦) الكامل: باديا.

فما زال هذا دابه في نهاره * إلى أن رأيت الليل أسود داجيا
رأى شبهة فيها لقوم ضلالة * ودلاه أصحاب الغرور الأمانيا
فضل ضلالا لم ير الناس مثله * وأصبح يهوي في جهم ثاويا

قال: فلما فرغ من الكتابين وختما وثب الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي وشريح بن هانىء المذحجي وزحر بن قيس الجعفي والأحنف بن قيس التميمي ومن أشبههم من فرسان علي فقالوا: يا معاوية! إياك أن تظن بنا ميل الحق، فإننا اليوم على ما كنا بالأمس، غير أنكم استغثتم بالمصاحف ودعوتمونا إلى كتاب الله عز وجل فأجبناكم إلى ذلك، فإن حكم الحاكمان بالحق. وإلا فنحن راجعون إلى حربنا أو لا يبقى منا ومنكم واحد. فقال معاوية: افعلوا ما أحببتم.

قال: ونادى معاوية في أهل الشام أن يرجعوا إلى شامهم، ونادى علي في أهل العراق بالرحيل إلى العراق.

ذكر وصية القوم لأبي موسى بالاحتياط في أمره والحذر من دهاء خصمه

قال: وأقبل أبو موسى الأشعري إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إني لست آمن الغوائل فابعث معي قوما من أصحابك إلى دومة الجندل، قال: فبعث معه علي رضي الله عنه شريح بن هانىء في خمسمائة (١) رجل من أصحابه، فلما صار في بعض الطريق أقبل عليه شريح فقال له: أبا موسى! إنك قد نصبت لأمر (٢) لا يجبر صدعه ولا يستقال عثرته (٣)، فاعلم أنك قلت شيئا لك أم عليك، لزمك (٤) حقه وزال عنك باطله، فاتق الله وانظر كيف تكون، فإنك قد

---

(١) في الطبري ٦ / ٣٧ أربعمئة. وانظر مروج الذهب ٢ / ٤٣٨. وفي الأخبار الطوال ص ١٩٧: في أربعة آلاف من خاصته.
(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٣ لأمر عظيم.
(٣) الإمامة والسياسة: لا تستقال فلتته. وفي وقعة صفين ص ٥٣٤: لا يستقال فتقه. وفي نسخة: لا تستقال فتنته.
(٤) في شرح النهج ١ / ١٩٥ يثبت حقه ويرى صحته وإن كان باطلا.
وفي الإمامة والسياسة: يثبت حقه ويزيل باطله.

رميت بعمرو بن العاص وهو رجل لا دين له، لأنه باع دينه بدنياه، فإياك أن يخدعك فإنه خداع مكار - والسلام -.
قال: ثم أنشأ شريح بن هانىء يقول (١):
أبا موسى رميت بشر خصم * فلا تدع (٢) العراق فدتك نفسي
ولا تخدع بشيء من مقال * فإن اليوم في الأغدا كأمس (٣)
وإن غدا يجيء بما عليه * يدور الأمر من سعد ونحس
فلا (٤) يخدعك عمرو، إن عمرا * عدو الله، مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل فيها * مموهة مزخرفة بلبس
ولا (٥) تجعل معاوية بن حرب * كشيخ في الحوادث غير نكس
هداه الله للإسلام فردا * سوى عرس (٦) النبي وأي عرس
قال: فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتهموني أن يبعثوني (٧) لكي أدفع عنهم باطلا، والله اني لأرجو أن ينقضي هذا الأمر وأنا على رضى من الفريقين جميعا إن شاء الله.
قال: وسار أبو موسى في أصحابه، وكان شرحبيل بن السمط مع عمرو بن العاص في خيل عظيمة من خيول الشام، فسبقوا إلى دومة الجندل. وأقبل أبو موسى في أصحابه ومعه أيضا قوم يشيعونه، فقال لهم: انصرفوا رحمكم الله فإني لست أبقي غاية في النصيحة لهذه الأمة إن شاء الله تعالى. قال: فودعه (٨) الناس، وفيمن (٩) ودعه يومئذ الأحنف بن قيس، فقال له الأحنف: اعرف خطر هذا

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٣٤.
(٢) وقعة صفين: فلا تضع.
(٣) البيت في وقعة صفين:
واعط الحق شامهم وخذه * فإن اليوم في مهل كأمس
(٤) وقعة صفين: ولا.
(٥) وقعة صفين: فلا.
(٦) وقعة صفين: بنت.
(٧) وقعة صفين: يرسلوني.
(٨) بالأصل: ودعوه.
(٩) في وقعة صفين ص ٥٣٦: وكان آخر من ودع أبا موسى.

المسير (١) فإن له ما بعد، واعلم بأنك إن ضيعت العراق فلا عراق، فاتق الله فإنه يجتمع لك أمر الدنيا والآخرة، وانظر إذا لقيت عمرو بن العاص فلا تبدئه بالسلام حتى يكون هو الذي يبدؤك، وإن سألك أن تقعد معه على فراشه فلا تفعل فإن ذلك خديعة منه لك، وانظر لا يدخلك إلى بيت له مخدع ويكون قد عبى لك فيه رجالا يسمعون كلامك ويشهدون عليك وأنت لا تعلم، وإن لم يستقم لك عمرو على ما تريد فخيره من شاء غيرك يكلمه ولا تكلمه أنت. فقال أبو موسى: إني قد سمعت كلامك وعرفت نصيحتك فارجع راشدا يرحمك الله!

فرجع الأحنف إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! لقد بعثت رجلا ما ينكر (٢)، فقال علي: إن الله بالغ أمره.

قال: وكتب النجاشي (٣) شاعر علي رضي الله عنه إلى أبي موسى بهذه الأبيات:

أبا موسى جزاك الله خيرا * عراقك إن حظك بالعراق (٤)
وإن الشام قد نصبوا إماما * من الأحزاب معروف النفاق
وإنا لا نزال لهم عدوا * أبا موسى إلى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن صخر (٥) * إماما ما مشت قدم بساق
ولا يخدعك عمرو إن عمرا * أبا موسى لداهية الرفاق (٦)
وكن منه على حذر وانهج * سبيلك (٧) لا تزل بك المراقي
ستلقاه أبا موسى مليا * بمر القول مسترخي الخناق
ولا تحكم بأن سوى علي * إماما إن هذا الشر باق

---

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٤ ووقعة صفين: اعرف خطب هذا الأمر.
(٢) عبارة كتاب الصفين ص ٥٣٧: يا أمير المؤمنين، أخرج والله أبو موسى زبدة سقائه في أول مخضه، لا أرانا إلا بعثنا رجلا لا ينكر خلعك.
(٣) في وقعة صفين ص ٥٣٧: الشني. وذكر الأبيات.
(٤) وقعة صفين: في العراق.
(٥) وقعة صفين: حرب.
(٦) وقعة صفين: أبا موسى تحاماه الرواقي.
(٧) وقعة صفين: طريقك.

عمرو بن العاص هذه الأبيات:

يا عمرو انك قد وليت حكومة * فاحكم فإنك في الحكومة جائر
واجعل مكيدتك التي تعنى بها العرب * الخليفة ان حظك وافر
وادفع أبا موسى بكفك دفعة * تذهب به اليم الخضم الزاخر
فيعز شامك أنها لك جنة * أو لا فإنك يا بن عاص خاسر

ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه

قال: والتقت الناس بدومة الجندل، فأقبل أبو موسى، فلما رآه عمرو استقبله، فسلم عليه أبو موسى، ومد أبو موسى يده إلى عمرو فصافحه وحياه وضمه إلى صدره، ثم قال: يا أخاه! طال عهدي بك فقبح الله أمرا فرق بيننا! قال: ثم أقعده عمرو على فراشه وأقبل عليه يحدثه ساعة، ثم دعا عمرو بالطعام فأكلا (١) جميعا، وانصرف أبو موسى إلى رحله. ثم (٢) لم يزالا يجتمعان في كل يوم فيتحدثان وينصرفان، فأقاما (٣) على ذلك أياما كثيرة، حتى ارتابت الناس وغمهم ذلك (٤).

قال: فوثب عدي بن حاتم الطائي فقال: أما والله يا عمرو! إنك لغير مأمون بالعيب (٥)، فأما أنت يا أبا موسى فغير مأمون الضعف. فقال له عمرو بن العاص: والله يا عدي! ما لك ولا لغيرك مع كتاب الله ورد ولا صدر، فأمسك عنك يا هذا.

قال: ثم أقبل عمرو على أبي موسى، فقال: والله لقد كنت أحب أن لا يشهد هذا الأمر من يفسده علينا، قال: وخاض (٦) الناس في أمر عمرو وأبي موسى، فقال بعضهم لبعض: إن أبا موسى خالع صاحبه عليا على ما ترى، فأنشأ رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يقول (٧):

---

(١) بالأصل: فأكلوا.
(٢) بالأصل: " ثم لم يزالوا يجتمعون في كل يوم فيتحدثون وينصرفون، فأقاموا... ".
(٣) انظر الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٥.
(٤) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٥: الغناء.
(٥) بالأصل: خاضوا.
(٦) في وقعة صفين ص ٥٣٦: وبعث الصلتان العبدي، وهو بالكوفة بأبيات إلى دومة الجندل.

لعمرك لا ألقى مدى الدهر خالعا * عليا بقول الأشعري ولا عمرو (١)
ولسنا نقول الدهر ذاك إليكما (٢) * وفي ذاك لو قلناه قاصمة الظهر
ولكن نقول الأمر لله وحده (٣) * إليه وفي كفيه عاقبة الأمر
وما اليوم إلا مثل أمس وإننا * لفي رقرق (٤) الضحضاح أو لجة البحر

قال: وبلغ معاوية أن عمرا يريد الأمر لنفسه، فضاق لذلك ذرعا ولم يدر ما يصنع، فدعا بالمغيرة بن شعبة (٥)، وقد كان أتاه زائرا من الطائف، فقال له: ويحك يا مغيرة! أشر علي فقد بلغني أن عمرا يريد الأمر لنفسه: فقال له المغيرة: إنه لو وسعني أن أشير عليك أو آمرك لوسعني أن أنصرك على علي، ولكن علي أن آتيك بخبر الرجلين جميعا عمرو وأبي موسى.

قال: ثم خرج المغيرة من عند معاوية وسار حتى أتى دومة الجندل، فدخل على أبي موسى كأنه زائر له فحدثه ساعة ثم قال: يا أبا موسى! ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره هذه الدماء فلم يكن مع علي ولا معاوية؟ فقال أبو موسى: أولئك والله خيار الناس ممن قد خف (٦) ظهره من مظالم العباد.

قال: ثم تركه المغيرة وأقبل حتى دخل على عمرو بن العاص، فحدثه ساعة ثم قال: أبا عبد الله! ما تقول فيمن اعتزل هذه الدماء ولم يدخل نفسه في شيء من هذه الأمور؟ فقال عمرو: أولئك من أشرار خلق الله لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا.

قال: فخرج المغيرة إلى معاوية فقال: أما أبو موسى فإنه خالع صاحبه عليا، لا أشك في ذلك على ما سمعت في ذلك من كلامه، وأما عمرو (٧) فإنني قد سمعت

---

(١) بعده في وقعة صفين:
فإن يحكما بالحق نقبله منهما * وإلا أثرناها كراغية البكر
(٢) وقعة صفين: إليهما.
(٣) وقعة صفين: الأمر والنهي كله.
(٤) وقعة صفين: وشل.
(٥) خير المغيرة بن شعبة مع معاوية - باختلاف - في الأخبار الطوال ص ١٩٨ وفي وقعة صفين ص ٥٤٠.
(٦) الأخبار الطوال: خفت ظهورهم من دماء إخوانهم، وبطونهم من أموالهم.
(٧) العبارة في الأخبار الطوال: فهو صاحبك الذي عرفته، وأحسب سيطلبها لنفسه أو لابنه عبد الله، ولا

كلاما يدل على أنه يريد أمرا. قال: فاغتم معاوية لذلك ثم كتب إلى عمرو هذه الأبيات (١):

بدا الأمر ما لا تبتلعه (٢) الأضالع * وكل امرئ يوما إلى الله (٣) راجع
فيما عمرو قد لاحت عيون كثيرة * فيا ليت شعري عمرو ما أنت صانع؟
وقال رجال إن عمرا يريدها * فقلت لهم: عمرو لي اليوم تابع (٤)
وانك قد أبطأت فيها وبادرت * عليك (٥) بتحقيق الظنون الأصابع
فأسرع بها أو ابط من غير ريبة * يكون بها في البيد والنقع ساطع
بك اليوم في عقد الخلافة ظالما * ومن دون ما ظنوا بك اليوم مانع

قال: وصاح (٦) الناس على أبي موسى وعمرو بن العاص، وقالوا: إنكما قد أبطأتما (٧) بهذا الأمر وإننا نخاف انقطاع المدة ولم تصنعا (٨) شيئا فعود الحرب إلى ما
كانت.

قال: فعندها أقبل عمرو حتى دخل على أبي موسى فقال له: أبا موسى! إنني قد علمت أنه ليس أهل العراق بأوثق من أهل الشام في دم عثمان، وقد عرفت حال معاوية وشرفه في بني أمية (٩) ولكن هات ما عندك! فقال أبو موسى: أما عثمان فلو شاهدته يوم قتل لنصرته، وأما معاوية فليس بأشرف في بني أمية من علي في

أراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه. (انظر وقعة صفين ص ٥٤٠).

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤٣.

(٢) وقعة صفين: نفى النوم ما لا تبتغيه.

(٣) وقعة صفين: إلى الصدق.

(٤) وقبله في وقعة صفين:
و يا ليت شعري عن حديث ضمنته * أتحمله يا عمرو؟ ما أنت ضالع

(٥) في وقعة صفين: فإن تك قد أبطأت حتى تبادرت إليك.

(٦) بالأصل: وصاحوا.

(٧) بالأصل: انكم قد أبطأتم.

(٨) بالأصل: لم يصنعوا.

(٩) وقعة صفين ص ١٣٦: بني عبد مناف. وزيد فيه: وابن هند، وابن أبي سفيان. والعبارة في الأخبار الطوال ص ١٩٩: بيته بعد في قريش ما قد علمت... وهو مع هذا أخو أم حبيبة زوج النبي (ص)، وهو أحد أصحابه.

هاشم (١)، فقال عمرو: صدقت أبا موسى ولكن قد علم الناس أنك لست بأنصح لأهل العراق مني لأهل الشام، ولا بأنصح لعلي مني لمعاوية، فالحق لا يشبهه شيء، فإن قال قائل بأن معاوية من الطلقاء وكان أبوه من الأحزاب فقد صدق، وإن قال قائل إن عليا أقر قتلة عثمان عنده وقتل أنصاره يوم الجمل فقد صدق، ولكن هل لك أن تخلع صاحبك عليا وأخلع أنا صاحبي معاوية ونجعل هذا الأمر في يد عبد الله بن عمر بن الخطاب، فإنه رجل زاهد عابد ولم يبسط في هذه الحروب لسانا ولا يدا؟ فقال أبو موسى: أحسنت رحمك الله وجزاك بنصيحتك خيرا! فنعم ما رأيت (٢). قال عمرو: فمتى تحب أن يكون ذلك الأمر؟ فقال أبو موسى: ذاك إليك، إن شئت الساعة وإن شئت غدا فإنه يوم الاثنين وهذا يوم مبارك. قال: وانصرف عمرو إلى رحله.

فلما كان من الغد أقبل إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدهم للذي يريد أن يصنع. قال: فدخل على أبي موسى واجتمعت الناس لاستماع الكلام، فقال عمرو: أبا موسى! أنشدك الله من أحق بهذا الأمر؟ من وفى أو من غدر؟ فقال أبو موسى: لا بل من وفى. قال: فما تقول في عثمان أقتل ظالما أو مظلوما؟ فقال أبو موسى: بل مظلوما. قال (٣): فما تقول في قاتله أيقتل به أم لا؟ فقال أبو موسى: بل يقتل به. قال عمرو: فمن يقتله؟ قال: يقتله أولياء عثمان، لأن الله عز وجل قال: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) (٤). قال عمرو: فهل تعلم أن

---

(١) زيد في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦ ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية، كان أخوال ذي أصبح (انظر الأخبار الطوال ص ١٩٩ ووقعة صفين ص ٥٤١).

(٢) اتفقوا على أن الحكمين اتفقا على خلع علي ومعاوية. واختلفوا فيما جرى بعد ذلك. فقيل إن أبا موسى هو الذي أشار على عمرو بن العاص بخلع الرجلين وتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأن عمرو بن العاص أشار على أبي موسى إلى تولية ابنه عبد الله. فقال له أبو موسى: إن ابنك رجل صدق ولكنك غمسته في هذه الفتنة فرفض عمرو رأي أبي موسى، واتفقا على خلع الرجلين (علي رض ومعاوية) وجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاؤوا ومن أحبوا (انظر الطبري ٦ / ٣٩ الأخبار الطوال ص ٢٠٠ مروج الذهب ٢ / ٤٤١ وقعة صفين ص ٥٤٤ - ٥٤٥ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦).

(٣) في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦: فما الحكم فيمن قتل؟

(٤) سورة الإسراء، الآية / ٣٣.

معاوية من أولياء عثمان؟ فقال أبو موسى: نعم، هو من أولياء عثمان (١). قال عمرو: أيها الناس! اشهدوا على مقالة أبي موسى. قال أبو موسى: نعم. فاشهدوا ثم اشهدوا على ما أقول إن معاوية من أولياء عثمان، قم يا عمرو! فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس. فقال عمرو: سبحان الله! أقوم أنا من قبلك (٢) وقد قدمك الله علي في الإيمان والهجرة (٣)، لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت، وأقوم أنا من بعدك.

قال: فوثب أبو موسى قائما وقد اجتمعت الناس (٤) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن خير الناس خيرهم لنفسه، وإن شر الناس شصرهم لنفسه، وقد علمتم ما كان من الحروب التي لم تبق على بر ولا تقي ولا محق ولا مبطل، ألا وإني قد رأيت أن نخلع عليا ومعاوية ونجعل هذا الأمر في عبد الله بن عمر بن الخطاب (٥)، فإنه رجل لم يبسط في هذه الحروب لسانا ولا يدا، ألا! وإني قد خلعت عليا من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي - والسلام -.

وقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس! هذا

---

(١) في الأخبار الطوال ص ١٩٩: وأما قولك إن معاوية ولي عثمان، فأولى منه ابنه عمرو بن عثمان.

(٢) وكان عمرو بن العاص - ومنذ اللقاء الأول بأبي موسى - قد قدمه إن في الكلام أو الجلوس، وكرمه كثيرا، وقد عوده أن يقدمه في كل شيء وقد اغتره بذلك ليقدمه فيبدأ بخلع علي. وكان عمرو قد حاك خدعته بدقة وأحاط بأبي موسى من كل جانب، والرجل غافل لا يدري كيف تجري الأمور، وما يخطط عمرو وما يرسم في ذهنه حتى أن معاوية نفسه شكك بنية عمرو واسترابه.

(٣) زيد في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧: وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله ووافد رسول الله إليهم. و بك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه، وسنة نبيه، وصاحب مغانم أبي بكر وعمر.

(٤) عندما قام أبو موسى ليتكلم، قام إليه عبد الله بن عباس وقال له يحذره: ويحك إني لأظنه قد خدعك، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه قبلك، فيتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تتكلم أنت بعده، فإن عمرا رجل غدار، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت به في الناس خالفك، فقال له أبو موسى: إنا قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله.

(الطبري ٥ / ٧٠ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ الأخبار الطوال ص ٢٠٠ وقعة صفين لابن مزاحم ص ٥٤٥).

(٥) كذا، وقد مرت الإشارة إلى أنهما اتفقا على أن يعيدا الأمر شورى بين المسلمين يختارون عليهم شخصا يتفقون عليه. (انظر الصفحة السابقة حاشية رقم ٢).

عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري، وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعامل عمر بن
الخطاب، وحكم أهل العراق وقد خلع صاحبه عليا من الخلافة كما زعم أنه خلع خاتمه من أصبعه، ألا! وإني قد أثبت معاوية في الخلافة كما أثبت خاتمي هذا في أصبعي - ثم قعد (١) -.
فقال أبو موسى: عليك غضب الله، فو الله ما أنت إلا كما قال الله تعالى (كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) (٢).
قال: وتشاتموا جميعا، وضج (٣) الناس وقالوا: هذه خديعة ونحن لا نرضى بهذا. ودخل عمرو من ساعته إلى رحله، وكتب إلى معاوية بهذه الأبيات (٤):

أتتك الخلافة في حذرها (٥) * هنيئا مريئا تقر العيونا
تزف إليك زفاف (٦) العروس * بأهون من طعنك الدارعينا
فما الأشعري بواري (٧) الزناد * ولا خامل الذكر في الأشعرينا
ولكن أتيحت له حيلة (٨) * يظل الشجاع لها مستكينا
فقالوا وقلت وكنت امرءا * أرى الرفق (٩) بالخصم حتى يلينا
فخذها ابن هند على بأسها * فقد دافع الله ما تحذرونا
وقد دافع الله عن شامكم * عدوا شنيا وحربا زبونا

قال: وشتم وشمت أهل الشام بأهل العراق.

---

(١) انظر في مقالتيهما الطبري ٦ / ٤٠ الأخبار الطوال ص ٢٠١ مروج الذهب ٢ / ٤٤٢ - ٤٤٣ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦.
(٣) الأصل: وضجوا.
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤٧.
(٥) وقعة صفين: مزفوفة.
(٦) وقعة صفين: كزف.
(٧) وقعة صفين: بصلد.
(٨) وقعة صفين: حية.
(٩) وقعة صفين: أجهجة.

ذكر ما قيل فيه بعد ذلك
قال: فقام سعيد بن قيس الهمذاني فقال: أما والله إن لو اجتمعتما على الهدى لما زدتمانا (١) على ما نحن فيه، وإن ضلال عمرو بن العاص وأبي موسى ليس لنا بلازم (٢)، وإننا اليوم على ما كنا بالأمس عليه.
قال: وتكلم (٣) أصحاب علي رضي الله عنه مثل كلام سعيد بن قيس، وأما الأشعث بن قيس فإنه سكت ولم ينطق، فقال له الأشتر: أما والله يا أشعث! إني لأعلم أنك راض بهذا الحكم، قال: فغضب الأشعث من ذلك ثم أنشأ يقول (٤):
ألا ليت من يرضى من الناس كلهم * بعمرو وعبد الله في لجة البحر
رضينا بحكم الله لا حكم غيره * وبالله ربا والنبيين والنذر
وبالأصلع (٥) الهادي علي إمامنا * رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
فمن قال لا قلنا بلى إن أمره * لأفضل ما يعطاه في ليلة القدر
وما لابن هند بيعة في رقابنا * وما بيننا غير المثقفة السمر
وضرب يزيل الهام عن مستقره * وإني عليه آخر الدهر من عمري
رضينا به حيا وميتا لأنه * إمام هدى في الوقف والنهي والأمر (٦)
قال: فوثب رجل من أصحاب معاوية يقال له شداد بن أسد البجلي (٧) فقال: يا أهل العراق! اتقوا الله ربكم. فإني أخاف أن نرجع إلى ما كنا عليه من الحرب، وقد علمتم أننا إن عدنا فهو والله الفناء، وقد شخصت الأبصار إلى هذا الصلح

---

(١) الأصل: زدتمونا.
(٢) وقعة صفين: وما ضلالكما بلا زمنا. والعبارة في شرح النهج ١ / ١٩٧: فقام سعد بن نصر الهمداني وقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه، وما ضلالكما بلازم لنا، وما رجعتما إلا بما بدأنا به وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ والأخبار الطوال ص ٢٠٢.
(٣) بالأصل: وتكلموا تحريف.
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤٨ باختلاف بعض الألفاظ.
(٥) في صفة علي (رض) أنه كان أصلع ليس في رأسه شعر إلا خفاف من خلفه.
(٦) زيد في وقعة صفين:
أبت لي أشياخ الأراقم سبة * أسب بها حتى أغيب في القبر
(٧) في وقعة صفين ص ٥٤٨: يزيد بن أسد القسري.

وأشرفت الأنفس على اللقاء (١)، وأصبح كل امرئ منكم وهنا يبكي على قتله (٢)، فاتقوا الله واحقنوا دماءنا ودماءكم.

قال: وبلغ ذلك عليا، فقال: أما أنا قد أخبرتكم الأمر قبل أن يكون، وقد جهدنا أن يكون الحكم غير أبي موسى، فأبيتم علي وجئتموني به مبرنسا (٣) وقلتم: قد

رضينا به فاتبعت رأيكم، والآن فلا سبيل إلى حرب القوم إلى انقضاء المدة التي كانت بيننا وبينهم.

قال: فعندها رجعت أهل العراق إلى عراقهم وهم عازمون على معاودة الحرب إذا انقضت المدة، ورجع أهل الشام إلى شامهم وهم على ذلك من أهل العراق.

وصار أبو موسى الأشعري إلى مكة، فأقام بها حياء من علي بن أبي طالب.

ذكر ما سئل أمير المؤمنين من القضاء والقدر

فيما جرى عليهم من الأمور

قال فوثب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجل من أهل الكوفة، فقال (٤): يا أمير المؤمنين! أخبرني عن مسيرنا إلى أهل الشام وقتالنا إياهم أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال علي: ويحك يا شيخ! والله خالق الحبة وبارىء النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر. فقال الرجل: فعند الله أحتسب غناي يا أمير المؤمنين! فقال علي: ولم ذلك؟ فقال: أني ما أرى لي ههنا من الأجر شيئا. فقال علي رضي الله عنه: بلى يا شيخ! لقد أعظم الله لكم الأجر على ما سيركم وأنتم سائرون، وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون. ثم قال علي رضي الله عنه: ويحك يا شيخ! لعلك تظن أن ذلك إنما كان قضاء لازما وقدرا حتما (٥)؟ قال: أظن يا أمير المؤمنين! فقال علي رضي الله عنه: ليس ذاك كما ظننت، إنه لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب،

---

(١) وقعة صفين: الفناء.

(٢) وقعة صفين: قتيل.

(٣) مبرنسا: لابسا البرنس، والبرنس، قلنسوة طويلة أو جبة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم ٧٨.

(٥) نهج البلاغة: حاتما.

و ذهب (١) الوعد والوعيد (٢)، ولم يكن يأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن. فقال الرجل: كيف هذا يا أمير المؤمنين؟ بينه لي حتى أعلم. فقال علي: ويحك! إن الله تبارك وتعالى أمر (٣) تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا، لم يعص مغلوبا ولم يكلف تعنتا، ولم يرسل الأنبياء عبثا (٤)، ولم ينزل الكتب لعبا (٤)، و (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (٥). قال: فوثب الرجل من بين يديه مستبشرا، ثم أنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته * يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان مشتبها * جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة * ما كنت ذاكرها فسقا وعصيانا
لا لا ولا قائلا الرب أوقعه * فها عبدت إذا يا قوم شيطانا
ولا أراد ولا شاء الفسوق ولا * قلت الولي له ظلما وعدوانا
نفسي الفداء لخير الناس كلهم * بعد النبي علي الخير مولانا
أخي النبي ومولى المؤمنين معا * وأول الناس تصديقا وإيمانا
وبعل بنت نبي الله فاطمة * أكرم بها شرفا سرا وإعلانا

ابتداء ذكر الغارات بعد صفين

حدثنا عبد الله بن محمد البلوي (٦)، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء القرشي المدني قال: حدثني نصر بن خالد النحوي ومحمد بن خالد الهاشمي عن أبيه، عن أبي مخنف بن يحيى بن سعيد الأزدي قال: لما كان من أمر صفين ما

---

(١) نهج البلاغة: وسقط.
(٢) قال محمد عبده في شرح النهج: القضاء علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها. والقدر إيجاده لها عند وجود أسبابها، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله. فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل، والله يعلمه فاعلا باختياره إما شقيا به وإما سعيدا. والدليل ما ذكره الإمام.
(٣) نهج البلاغة: أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا.
(٤) نهج البلاغة: لعبا... عبثا. وزيد في النهج: ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا.
(٥) سورة ص، الآية ٢٧.
(٦) عن ميزان الاعتدال، وبالأصل البكوي.

كان، وحكم (١) الحكمان ما حكما، ورجع (١) أهل الشام إلى الشام وأهل العراق إلى العراق، واستقر علي بن أبي طالب بالكوفة. وجاء معاوية برجل يقال له الضحاك بن قيس الفهري، وهو صاحب شرطة معاوية، فضم إليه خيلا عظيمة من خيل أهل الشام، ووجه به نحو أهل العراق وأمره أن يأخذ على طريق السماوة (٢) من بلاد بني كلب بن وبرة حتى ينقض على الكوفة وسوادها فيغير على ما قدر عليه (٣). قال: فأقبل الضحاك في خيل أهل الشام حتى نزل الثعلبية (٤)، ثم صار منها إلى القطقطانة (٥)، وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه، فدعا برجل من أصحابه يقال له حجر بن عدي الكندي، فضم إليه ألف فارس (٦) وأمره بالمسير إلى الضحاك (بن قيس). فسار حجر بن عدي يريد الضحاك، والضحاك في وقته ذلك قد أغار على البلاد وقتل رجلا من خيار أصحاب علي (رضي الله عنه) يقال له عمرو بن مسعود العلائي (٧) وقد كان مقيما بالثعلبية (٨)، فقتله الضحاك بن قيس، فلما بلغه أن حجر بن عدي – قد توجه إلى ما قبله أقبل على أصحابه، فقال: إنكم قد قتلتم رئيسا وقد نزلتم قريبا من بلادهم وديارهم، فارتحلوا عنهم، فإن تبعوكم وأصبتم منه عشرة فذاك الذي تريدون، وإن تكن الأخرى ولم يتبعوكم رجعتم إلى بلادكم سالمين.

---

(١) بالأصل: " وحكموا الحكمين ما حكموا، ورجعوا " تحريف.
(٢) السماوة: سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها. وهي التي بين الكوفة والشام.
(٣) وكان معاوية قد بلغه أن عليا تحمل إليه مقبلا فهاله أمره فخرج من دمشق معسكرا وبعث إلى كور الشام يستنفرهم ويأمرهم بالتجهز للحرب ثم جاءتهم عيونهم بأن عليا اختلف عليه أصحابه وأنه قد رجع عنكم إلى فئة أنكرت عليه أمر الحكومة. ثم جاءت معاوية أخبار أن عليا قد خرج عليه القراء والنساك فخرج إليهم يقاتلهم فعند ذلك دعا معاوية الضحاك وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليهما، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى ولا تقيمن لخيل بلغك أنك قد سرحت إليها لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل (الغارات لابن هلال الثقفي ص ٢٩٠ وما بعدها – شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٥٣).
(٤) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة، قد كانت قرية فخربت (مراصد الاطلاع).
(٥) القطقطانة بالضم ثم السكون: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف.
(٦) في الغارات للثقفي ص ٢٩٣: أربعة آلاف.
(٧) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٥: " ابن عميش " وفي الغارات للثقفي ص ٢٩٢: عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي وهو ابن أخ عبد الله بن مسعود.
(٨) في الغارات للثقفي: قتله في طريق الحاج عند القطقطانة. (انظر الطبري ٦ / ٧٨).

قال: فسار القوم راجعين يريدون الشام، وأتبعهم حجر بن عدي في خيل أهل الكوفة، فلحقهم في بلاد كلب (١)، فقاتلهم فقتل من أهل الكوفة أربعة نفر وقتل من أهل الشام سبعة نفر (٢)، وانكشفوا منهزمين، فلم يتبعهم حجر لكنه رجع إلى علي بالكوفة فأخبره ذلك، ورجع الضحاك بن قيس إلى معاوية مغلولا مهزوما.

قال: ثم دعا معاوية أيضا برجل من سادات أهل الشام يقال له يزيد بن شجرة الرهاوي (٣) فقال: يا يزيد! إني أريد أن أوجه بك إلى مكة لتقيم للناس الحج بها، وتبقي عاملي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتأخذ لي هنا لك البيعة بالسمع والطاعة والبراءة من علي. فقال يزيد بن شجرة: أفعل يا أمير المؤمنين! قال: فقال له معاوية: إني قد رضيت هديك ورأيك ومذهبك (٤)، ولست أوجهك للحرب، إنما أوجهك لتقيم للناس الحج، فاتق الله في الحرم، إن قدرت أن تخرج عامل علي رضي الله عنه من الحرم بلا قتال فلا تقاتل، فقال له يزيد بن شجرة: ما كنت لأحيف يا أمير المؤمنين بلدا (من دخله كان آمنا) (٥).

قال: فضم إليه معاوية ثلاثة آلاف فارس من وجوه أهل الشام، ثم أوصاه أيضا فقال: يا يزيد! أوصيك واعلم بأنك تأتي مكة، ومكة حرم الله وأمنه، وأهل مكة قومي وعشيرتي، ومكة هي بيضتي التي تفلقت (٦) عني، فاتق الله فيهم، فإني أحب

---

(١) في الطبري ٦ / ٧٨ والغارات للثقفي ص ٢٩٤: بتدمر. (وهي مدينة مشهورة قديمة في برية الشام).

(٢) في الطبري والغارات للثقفي: قتل من أصحاب حجر رجلان (عبد الرحمن وعبد الله الغامدي) وقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا.

(٣) الرهاوي نسبة إلى رهاء كسماء حي من مذحج (القاموس)، قال في الإصابة: مختلف في صحبته، كان معاوية يستعمله على الجيوش، مات سنة ٥٨ في أواخر خلافة معاوية.

(٤) وكان يزيد بن شجرة الرهاوي قد قال لمعاوية: إني لا أسير لك في هذا الوجه حتى تسمع مقالتي وتشفعني بحاجتي. قال: فإن ذلك لك، فقل ما بدا لك، فقال:... أما بعد فإنك وجهتني إلى قوم أرجو أن يجمعك الله، ومجمع الصالحين، فإن رضيت أن أسير إليهم فأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإياهم سرت إليهم، وإن كان لا يرضيك عني إلا الغشم وتجريد السيف، وإخافة البريء، ورد العذر، فلست بصاحب ما هناك، فاطلب لهذا الأمر غيري (الغارات لابن هلال الثقفي ص ٣٤٥).

(٥) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٦) في الغارات: انفلقت.

إصلاحهم وبقاءهم، وأكره حربهم وقتالهم، فاحفظ فيهم وصيتي وسر على بركة الله وعونه.
قال: فقال يزيد بن شجرة: اللهم! إنك تعلم أني لست أعظم مجاهدة من سعى على خليفتك عثمان بن عفان وهتك حرمته، ولا منابذة من بغى عليه، اللهم! فإن كنت قضيت بين هذا الجيش وبين أهل حرمك حربا فاكفني ذلك.
قال: وسار يزيد بن شجرة يريد مكة، وبمكة يومئذ قثم بن العباس بن عبد المطلب من قبل علي بن أبي طالب، فقام في أهل مكة خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! إنه قد أظلكم جيش من ظلمة أهل الشام الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، يريدون الإلحاد في حرم الله، فتسالمون أم تحاربون؟ قال: فسكت الناس ولم يجبه أحد منهم بشيء، فقال قثم بن العباس: إنكم قد أعلمتموني بما في أنفسكم، فأنا خارج عنكم إلى بعض هذه الشعاب فأكون هنالك إلى أن يقضي الله بما يحب ويرضى. قال: فقال له شيبة بن عثمان العبدري (٢) - من بني عبد الدار بن قصي: يا هذا! أنت الأمير ونحن الرعية سامعون لك مطيعون، فإن قاتلت قاتلنا معك، وإن كففت كففنا معك (٣). قال: فقال قثم بن العباس: هيهات يا أهل مكة! المغرور من غررتموه، إن الجنود لا تهزم بالوعد، ولست أرى معك أحدا يدفع ولا يمنع، فأعتزل عنكم فأكون في بعض هذه الشعاب وأكتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فإن جاءني من المدد ما أقوى به عليهم ناهضتهم، وإن تكن الأخرى لم أقاتل وصبرت لأمر الله عز وجل. فقال له أبو سعيد الخدري (٤): أيها الأمير! إن للحرم حرمة عظيمة، والقوم إن قدموا لم يجعلوا بالقتال، فأقم ولا تبرح من مكة، فإذا وافوك ورأيت قوة عليهم فاعمل برأيك، وإن لم ترقوه تنحيت من بين أيديهم إلى بعض هذه الشعاب، فتكون قد أعذرت وقضيت ما عليك.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ الغارات للثقفي ص ٣٤٧. باختلاف النصوص.
(٢) هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري نسبة إلى بني عبد الدار الحجبي نسبة إلى حجابة بيت الله الحرام، وهم جماعة من بني عبد الدار لهم حجابة الكعبة ومفتاحها. وكان شيبة من مسلمة الفتح. توفي سنة ٥٩ (الإصابة - تهذيب التهذيب).
(٣) انظر مقالته في الغارات للثقفي ص ٣٤٧.
(٤) انظر مقالة أبي سعيد الخدري لقثم في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ والغارات للثقفي ص ٣٤٧.

قال: فأقام قثم بن العباس بمكة، وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه وهو يومئذ بالكوفة، فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! قد بلغني أن معاوية قد وجه إلى الموسم بجند من أهل الشام الغلف (٢) القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون (٣) الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، أولياء الشيطان الرجيم، ووزراء الجبابرة المعتدين، فسارعوا رحمكم الله إلى جهادهم مع التقي الأمين معقل بن قيس، واحتسبوا في ذلك الأجر وصالح الذكر، فإنه لا يفوز بالخير إلا عامله. ولا يجزى جزاء السوء إلا فاعله، ولن يصلح الله عمل المفسدين. قال: فانتدب له يومئذ ألف وسبعمائة رجل من فرسان العرب، وفيهم يومئذ الريان بن ضمرة بن هودة الحنفي (٤) وأبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ومن أشبههم من الناس.

قال: فخرج (٥) القوم من الكوفة في أول يوم من ذي الحجة، وقد فات الوقت وقدم يزيد بن شجرة صاحب معاوية إلى الحرم قبل التروية بيومين، فنادى في الناس: أيها الناس! أنتم آمنون، فإننا لم نقدم ههنا لقتال، وإنما قدمنا للحج، فالناس كلهم في أمان إلا من قاتلنا ونازعنا وعرض في سلطاننا.

قال: واتقى يزيد بن شجرة أن يكون بين الناس قتال، فقال لأصحابه: انظروا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فقيل له: أبو سعيد الخدري، فقال: علي به،

فأتي به إلى يزيد بن شجرة، فسلم وجلس، فقال له يزيد: أبا سعيد! يرحمك الله إني إنما وجهت إليكم لأجمع (٦) ولا أفرق، ولو شاء أن أفعل لفعلت، لأنه ما عند أميركم امتناع (٧) ولا عند أهل البلد أيضا، ولو شئت أن آخذ أميركم أسيرا حتى أمضي به إلى الشام لفعلت، ولكني أكره الإلحاد في الحرم، فقولوا لأميركم أن

---

(١) في نهج البلاغة أن هذا الكلام جاء ضمن رسالة بعثها علي (رض) إلى عامله على مكة انظر كتاب رقم ٣٣. وفيه زيادة.

(٢) نهج البلاغة: العمي القلوب.

(٣) نهج البلاغة: يلتمسون.

(٤) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ الريان بن ضمرة بن هودة بن علي الحنفي.

(٥) الأصل: فخرجوا.

(٦) أي لأشهد صلاة الجمعة.

(٧) في الكامل لابن الأثير: لما فيه أميركم من الضعف.

يعتزل الصلاة بالناس، فأعتزلها أنا أيضا، ويختار الناس رجلا يصلي بهم، فإننا نكره ما قد علمت، والله يا أبا سعيد! ما (١) يدعوني إلى هذا الذي سمعته مني إلا التماس العافية. فقال له أبو سعيد: جزاك الله من رجل خيرا! فما رأيت (٢) من أهل الشام رجلا أحسن منك نية ولا أفضل منك رأيا.

قال: ثم أقبل أبو سعيد إلى قثم بن العباس، فكلمه في أمر الصلاة، فقال قثم: قد فعلت ذلك. وتراضت الناس بشيبة بن عثمان العبدري، فصلى بأهل الموسم وأقام لهم الحج.

فلما قضى (٣) الناس حجهم أقبل يزيد بن شجرة فقال: يا أهل الشام! اعلموا أن الله تبارك وتعالى قد رزقكم خيرا وصرف عنكم شرا، فأما الخير الذي رزقكم فطاعة إمامكم وحجكم وقضى نسككم، وأما الشر الذي صرفه عنكم فكف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم، فانصرفوا الآن مأجورين سامعين مطيعين.

قال: فصدرت أهل الشام عن مكة يريدون الشام، وأقبلت خيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تقبل ميلا لمواقعة أهل الشام، فإذا قد لقيهم بعض الأعراب فأخبروهم بأن أهل الشام قد رحلوا عن مكة يريدون الشام، قال: فنزل معقل بن قيس الطريق إلى مكة وعارضهم في المسير، وأهل الشام قد نزلوا بواد يقال له وادي القرى (٤).

فلما تقارب معقل بن قيس من وادي القرى قال: إن أهل الشام قد نزلوا على الماء بلا شك، فإذا رأيتموهم فشدوا عليهم، فإذا أنا قتلت فأميركم من بعدي أبو الطفيل عامر بن واثلة، فإن أصيب فالريان بن ضمرة، فإن أصيب فظبيان بن عمارة، فإن أصيب فأبو الرداح الشاكري.

قال: وسارت الخيل حتى وافوا وادي القرى، فإذا أهل الشام قد رحلوا، وقد بقي منهم عشرة نفر قد كانوا تخلفوا لحوائج لهم، فأخذهم أصحاب علي رضي الله

---

(١) في الغارات الثقفي ص ٣٥٠: والله ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان الله والتماسه واحترام الحرم، فإن ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة.

(٢) عند الثقفي: ما رأيت رجلا من المغرب أصوب مقالا ولا أحسن رأيا منك.

(٣) بالأصل: قضوا.

(٤) وادي القرى: بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى.

عنه أسارى، وأخذوا أموالهم وأسلحتهم ودوابهم. قال: وبلغ ذلك أهل الشام فقالوا لأميرهم يزيد بن شجرة: أيها الأمير! ما ترى؟ أترجع إلى إخواننا فتستنقذهم من أيدي أهل العراق؟ فقال يزيد بن شجرة: لا أرى ذلك لكم رأيا، لأني لا أدري أتكون لنا أم علينا. قال: فكاعت أهل الشام عن أهل العراق.

فأقبل معقل بن قيس راجعا إلى الكوفة، فأخبر عليا بما كان من أمر القوم، فقال علي كرم الله وجهه لأصحابه: احبسوا هؤلاء الأسارى، فإن لنا في يد معاوية أسارى، فإذا أطلقهم أطلقنا نحن هؤلاء إن شاء الله.

قال: وسار يزيد بن شجرة إلى معاوية فأخبره بحاله وقصته، فقام إلى معاوية قوم من عشائر المحبسين بالكوفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن إخواننا لو كانوا ماتوا أو قتلوا لاحتسبناهم، ولكنهم أسارى بالعراق في حبس علي رضي الله عنه فما الحيلة في ذلك؟ فقال لهم معاوية: اسكتوا! فلستم بأحرص على تخليصهم مني ولا تعجلوا.

قال: ثم بعث أيضا معاوية برجل من أصحابه يقال له الحارث بن نمر (١) التنوخي في ألف رجل من حماة أهل الشام وأمره بالغارة على بلاد الجزيرة ممن هم في طاعة علي رضي الله عنه. قال: فأقبلت خيل أهل الشام حتى بلغت تخوم صفين ودارا (٢)، فأغاروا على قوم من بني تغلب ممن كانوا في طاعة علي رضي الله عنه، فأسروا منهم ثمانية (٣) نفر، وانصرفوا راجعين (٤) إلى الشام، وقام رجل من أهل الجزيرة يقال له عتبة بن الوعل، فجمع قومه من بني تغلب، ثم صار إلى جسر منبج (٥)، فعبر الفرات وأغار على أوائل الشام، فغنم غنائم كبيرة ورجع إلى بلاد الجزيرة، وأنشأ يقول:

---

(١) كذا بالأصل وابن الأثير ٢ / ٤٢٨ وفي الغارات للثقفي ص ٣٤٦ نمير. وهو من فرسان أهل الشام. والتنوخي نسبة إلى تنوخ، وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر فأقاموا هناك فسموا تنوخا. والتنوخ: الإقامة.

(٢) دارا: بلدة من بلاد الجزيرة. (٣) في الكامل لابن الأثير: سبعة نفر.

(٤) بالأصل: راجعون.

(٥) منبج: بلد قديم. وهي مدينة واسعة كبيرة ذات خيرات كثيرة. بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ.

ألا أبلغ معاوية بن صخر * فإني قد أغرت كما تغير
صبحنا منبجا بالخيل تردى * شوازب في أياطلها ضمير
بكل سميدع ماض جسور * على الأهوال في ضنك يسير
وكل مجرب بطل همام * لدى الهيجاء مطلبة عسير
وفتيان يرون الصبر مجدا * بأيديهم مهندة ذكور

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه إلى معاوية (١): أما بعد، يا معاوية! فإن الله عدل لا يجور. وعزيز لا يغلب، يجزي بالإحسان إحسانا، وهو بصير بما تعمل العباد، واعلم بأنك لم تخلق للدنيا والخلود فيها، بل أنت راجع إلى ربك فملاقيه، فاتق الله يا معاوية! وانصف من نفسك ولا تطغينك الأماني الباطلة والغرور، فإني مؤل (٢) بالله ألية صدق (٣) لئن (٤) جمعتني وإياك دارا لأزايلنك أبدا أو يفتح الله بيننا بالحق وهو خير الفاتحين، فأطلق من في يديك من إخواننا حتى نطلق من في أيدينا من أصحابك، فإني قد بعثت إليك في ذلك مولاي سعدا (٥) - والسلام -.

قال: فلما وصل كتاب علي إلى معاوية أطلق من كان في يديه من أصحاب علي، وأطلق علي أيضا من كان في يديه من أصحاب معاوية.

قال: وظن علي رضي الله عنه أن معاوية لا يغير عليه بعد ذلك، فلما كان بعد شهر أقل أو أكثر وجه معاوية أيضا برجل من أصحاب الشام يقال له سفيان بن عوف الغامدي (٦) في خيل عظيمة، وأمره بالمسير والغارة على أداني العراق والقتل من قدر

---

(١) الكتاب في نهج البلاغة باختلاف النص - كتاب رقم ٥٥.
(٢) نهج البلاغة: "أولي" أي أحلف بالله حلفة غير حانثة.
(٣) نهج البلاغة: ألية غير فاجرة.
(٤) العبارة في النهج: لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.
(٥) هو سعد بن الحارث الخزاعي له إدراك، كان على شرطة علي بالكوفة وكان مناديه في الناس وقد ولاه على أذربيجان ثم انضم إلى الحسن بن علي ثم تبع الحسين بن علي وقتل معه في كربلاء.
(٦) عن فتوح البلدان ص ١٨٨ وبالأصل "العامري" تحريف. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٧٣. وانظر ترجمته في الإصابة. قال ابن حجر: قال ابن حجر: صحب النبي (ص) وله بأس وسخاء. واستعمله معاوية على الصوائف وكان يعظمه. توفي سنة ٢ أو ٣ أو ٥٤.
وانظر خبر غارته في الطبري ٦ / ٧٨ والغارات لابن هلال الثقفي ص ٣٢٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد م ١ / ٣٣٥ وانظر الكامل للمبرد ١ / ٢٩ فيه بعض الرواية وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٦.

عليه من شيعة علي (١).
قال: فسارت خيل الشام (٢) حتى انتهت إلى بلد يقال له هيت (٣)، وبه يومئذ رجل من قبل علي رضي الله عنه يقال له كميل بن زياد النخعي، فلما بلغه أن خيل الشام قد تقاربت من هيت خلف عليها رجلا من أصحابه في خمسين فارسا وسار يريد خيل أهل الشام. قال: فلما أبعد كميل بن زياد عن مدينة هيت أقبل صاحب معاوية وهو سفيان بن عوف الغامدي (٤) على هيت وأغار على أطرافها ولم يتبعه أحد (٥).
ثم سار إلى الأنبار (٦) وبها رجل من أصحاب علي يقال له أشرس بن حسان البكري (٧) فلم يشعر إلا وسفيان بن عوف قد كبسه في أهل الشام فقتله وقتل جماعة من أصحابه (٨)، ثم أغار على الأنبار وأخذ منها ما أخذ، وولى منصرفا إلى الشام.
قال: وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فهم أن يسير إليه بنفسه، ثم إنه لم ير ذلك رأيا (٩)، فدعا بسعيد بن قيس الهمذاني فضم إليه خيلا من فرسان الكوفة، وأمره أن يطلب القوم.
قال: فخرج سعيد بن قيس في طلب سفيان وأصحابه (١٠) حتى بلغ أرض عانات (١١) فلم يقدر عليه، وبعث سعيد بن قيس رجلا من أصحابه يقال له هانىء بن الخطاب (١٢) في طلب القوم، فبلغت الخيل إلى أداني الشام حتى أشرفت على

---

(١) انظر مقالة معاوية ووصيته لسفيان بن عوف في الغارات للثقفي ص ٣٢١ والطبري ٦ / ٧٨.
(٢) في الطبري ٦ / ٧٨: ستة آلاف.
(٣) هيت: في مراصد الاطلاع: هيت بالكسر، سميت باسم با نيها هيت البندي ويقال البلندي على الفرات فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة.
(٤) بالأصل: " العامري " وقد مر.
(٥) في الطبري: سار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحدا (وانظر الغارات للثقفي).
(٦) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ.
(٧) في اسم عامل علي (رض) على الأنبار خلاف: قيل أشرس بن حسان البكري، وقيل حسان بن حسان. انظر المصادر السابقة (الصفحة السابقة حاشية رقم ٥).
(٨) قتل مع ثلاثين رجلا من أصحابه (الطبري ٦ / ٧٨).
(٩) يفهم من عبارة الطبري والغارات لابن هلال الثقفي أن الناس لم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله.
(١٠) في ثمانية آلاف (الغارات للثقفي ص ٣٢٤).
(١١) عانات: قرى بالفرات وهي آلوس وسالوس وناووس (مراصد الاطلاع).
(١٢) مر ذكره فيمن نسب إليه قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

صفين، فلم يقدروا على سفيان، فانصرف سعيد بن قيس إلى علي فأخبره بذلك، فأنشأ رجل من أهل الكوفة يقول:

أرى ابن أبي سفيان مرخي جنوده * يغير علينا ضلة وتحامقا
وبين الفتى في الحرب يوما إذا سرت * بوارق خيلا يتبعن بوارقا
سيلقى رجالا من صحاب محمد * بأيديهم بيض يجن عقائقا
فتبغي نجاة يا معاوي منهم * ولست بناج أو تموت منافقا

قال: ثم كتب علي إلى كميل بن زياد يلومه على فعله وتضييعه مدينة هيت وخروجه عنها.

فلما كان بعد ذلك بأيام وجه معاوية أيضا برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن أشيم (١) في خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة، فأقبل عبد الرحمن بن أشيم هذا في خيله من أهل الشام يريد الجزيرة، وبالجزيرة يومئذ رجل يقال له شبيب بن عامر. قال: وشبيب هذا هو جد الكرماني (٢) الذي كان بخراسان وكان بينه وبين نصر بن سيار ما كان، وكان هذا شبيب مقيما بنصيبين (٣) في ستمائة رجل من أصحاب علي رضي الله عنه، فكتب إلى كميل بن زياد: أما بعد، فإني أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل إلي من الشام في خيل عظيمة، ولست أدري أن يريد، فكن على حذر - والسلام -.

قال: فكتب إليه كميل: أما بعد، فقد فهمت كتابك وأنا سئر إليك بمن معي من الخيل - والسلام -.

قال: ثم استخلف كميل بن زياد رجلا يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، وخرج من هيت في أربعمائة (٤) فارس كلهم أصحاب بيض ودروع، حتى صار إلى شبيب بنصيبين، وخرج شبيب من نصيبين في ستمائة رجل، فساروا جميعا في ألف فارس يريدون عبد الرحمن، وعبد الرحمن يومئذ بمدينة يقال لها كفرتوثا (٥) في

---

(١) عند ابن الأثير ٢ / ٤٢٨ عبد الرحمن بن قباث بن أشيم.
(٢) الكرماني هو علي بن جديع بن شبيب بن عامر الأزدي (يرد ذكره في حوادث سنة ١٣٠ ه).
(٣) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.
(٤) الكامل لابن الأثير: ستمئة فارس.
(٥) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ.

جيش لجب من أهل الشام، فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام. قال:
وجعل كميل بن زياد يرتجز ويقول:
يا خير من جر له خير القدر * فالله ذو الآلاء أعلى وأبر
يخذل من شاء ومن شاء نصر
قال: وجعل شبيب يرتجز ويقول:
تجنبوا شدات ليث ضيغم * جهم محيا عقربان شدقم
يغادر القرن صريعا للفم * بكل عضب صارم مصمم
قال: واختلط (١) القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من أصحاب كميل رجلان عبد الله بن قيس القابسي ومدرك بن بشر الغنوي، ومن أصحاب شبيب أربعة نفر، ووقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير (٢)، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام.
فقال كميل لأصحابه: لا تتبعوهم فقد أنكينا فيهم، وإن تبعناهم فلعلهم أن يرجعوا علينا، ولا ندري كيف يكون الأمر.
قال: ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين (٣)، ورجع كميل بن زياد إلى هيت، وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه، فكتب إلى كميل بن زياد: أما بعد، فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء، وينزل النصر على من يشاء إذ شاء، فنعم المولى ربنا ونعم النصير، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك، وقدما كان ظني بك ذلك فجربت والعصابة التي نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جزي الصابرون والمجاهدون، فانظر لا تغزون غزوة ولا تجلون إلى حرب عدوك خطوة بعد هذا حتى تستأذنني في ذلك - كفانا الله وإياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

---

(١) بالأصل: واختلطوا.
(٢) زيد في الكامل لابن الأثير: وأمر (أي كميل بن زياد) أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح.
(٣) قبل عودته إلى نصيبين عبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهله الشام حتى بلغ بعلبك، فوجه إليه معاوية حبيب بن مسلمة فلم يدركه، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا إلا أخذه وعاد إلى نصيبين (الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٨).

قال، ثم كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخة ليس فيها زيادة غير هذه الكلمات: واعلم يا شبيب أن الله ناصر من نصره وجاهد في سبيله - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

خبر أهل اليمن وتحريك شيعة عثمان بن عفان بها وخلافهم على علي بن أبي طالب

قال: وتحركت شيعة عثمان بن عفان وخالفوا عليا رضي الله عنه وأظهروا البراءة منه (١)، قال: وباليمن يومئذ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب (٢) من قبل علي بن أبي طالب وكان مقيما بصنعاء (٣)، فأرسل إلى جماعة من هؤلاء الذين خالفوا عليا فدعاهم ثم قال: يا هؤلاء! ما هذا الذي أنتم فيه من السعي في الفساد؟ وما أنتم والطلب بدم عثمان؟ وإنما أنتم قوم رعية، وقد كنتم قبل اليوم لازمين بيوتكم، فلما سمعتم بذكر هذه الغارات رفعتم رؤوسكم وخالفتم علينا! قال فقالوا: يا أمير! إنا لم نزل نرى مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

قال: وأمر عبيد الله بن العباس بحبس رجال منهم فحبسوا. وبلغ ذلك قوما من أهل اليمن ممن كان يرى مخالفة علي رضي الله عنه، فكتبوا إلى عبيد الله بن عباس أن خل سبيل من في سجنك من إخواننا، وإلا فلا طاعة لك ولا لصاحبك علينا! قال: فأبى عبيد الله أن يخلي سبيلهم.

قال: فاستعصى أهل اليمن ومنعوا زكاة أموالهم وأظهروا العصيان، وكتب عبيد الله بن عباس بذلك إلى علي (٤) وأخبره بما هم فيه أهل صنعاء من الخلاف

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٢٧٩ أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا عليا على ما في أنفسهم،... فلما اختلف الناس على علي بالعراق، وقتل محمد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان ومنعوا الصدقات وأظهروا الخلاف (انظر الغارات لابن هلال الثقفي ص ٤٠٤).

(٢) كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة، أي النبي (ص) وسمع منه، وحفظ عنه.

(٣) صنعاء: من مدن اليمن.

(٤) في شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٠ وكتاب الغارات للثقفي أن عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران عامل علي على الجند، وقد أخرجوه عنها، كتبا إلى علي (رض) يخبرانه بخبر أهل اليمن. وانظر نسخة الكتاب فيه وفي كتاب الغارات للثقفي ص ٤٠٥.

وانظر فيهما أيضا رد علي (رض) على كتابهما.

والعصيان. فدعا علي بيزيد بن أنس (١) الأرحبي، فقال: ألا ترى إلى صنع قومك باليمن ومخالفتهم علي وعلى عاملي؟ فقال يزيد بن أنس: والله يا أمير المؤمنين! إن ظني بقومي لحسن طاعتك، وإن شئت سرت إليهم بنفسي، وإن شئت كتبت إليهم ونظرت ما يكون من جوابهم، فإن رجعوا إلى طاعتك، وإلا سرت إليهم فكفيتك أمرهم إن شاء الله. فقال علي: أكتب إليهم.

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه (٢): أما بعد، فقد بلغني جرمكم وشقاقكم واعتراضكم على عاملي (٣) بعد الطاعة والبيعة، فاتقوا الله وارجعوا إلى ما كنتم عليه، فإني أصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم؟ وأقوم فيكم بالقسط، وإن لم تفعلوا فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، (وما ربك بظلام للعبيد) (٤). قال: ثم بعث بكتابه هذا إليهم مع رجل من همذان يقال له الحر بن نوف بن عبيد.

قال: فأقبل الهمذاني بالكتاب إلى أهل اليمن، ثم صار إلى مدينة من مدنهم يقال لها الجند (٥)، وأهل الجند قد كتبوا إلى معاوية وسألوه أن يوجه إليهم بأمير من قبله. قال: فقدم عليهم رسول علي فأقرأهم الكتاب ثم قال: اعلموا أن أمير المؤمنين عليا أراد أن يوجه إليكم يزيد بن أنس (٦) في الخيل والرجال، ثم إنه لم يحب أن يعجل عليكم، فاتقوا الله ربكم ولا تفسدوا في أرضكم ولا تقاتلوا إمامكم.

قال: فتكلم قوم من كبرائهم فقالوا: يا هذا! إنا قد سمعنا كلامك، فاذهب إلى علي رضي الله عنه فليبعث إلينا من شاء، فإنا على بيعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٧).

قال: ثم كتبوا إلى معاوية: أما بعد، يا أمير المؤمنين! فالعجل العجل! وجه

---

(١) في كتاب الغارات ص ٤٠٦ والإصابة: يزيد بن قيس. وفي الإصابة: له إدراك وكان رئيسا كبيرا. كان مع علي في حروبه وولاه شرطته ثم ولاه بعد ذلك أصبهان والري وهمدان.

(٢) نسخته في كتاب الغارات للثقفي ص ٤٠٧ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٠.

(٣) في المصدرين: واعراضكم عن دينكم، وتوثبكم بعد الطاعة واعطاء البيعة.

(٤) سورة فصلت من الآية ٤٦.

(٥) الجند: ولاية باليمن. واليمن ثلاث ولايات: الجند ومخاليفها وصنعاء ومخاليفها وحضرموت

(٦) يزيد بن قيس. مر التعليق حوله.

(٧) كذا وفي كتاب الغارات ص ٤٠٨ وشرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨١ فقالوا: نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا عبيد الله وسعيدا.

إلينا من قبلك لنبايعك على يديه وإلا كتبنا إلى علي فاعتذرنا إليه مما كان منا – والسلام (١) –.

خبر بسر بن [أبي] أرطاة الفهري (٥) وما قتل من شيعة علي بن أبي طالب بأرض اليمن

قال: فعندها دعا معاوية بسر بن [أبي] أرطاة الفهري وهو أحد فراعنة الشام، فعقد له عقدا وضم إليه أربعة (٣) آلاف رجل من نجبة رجال أهل الشام، ثم قال له: سر إلى اليمن سيرا عنيفا حتى تأخذ بيعة الناس، فإنهم قد خالفوا عليا، وانظر أن تجعل طريقك على مكة والمدينة، فلا تنزلن بلدا أهله في طاعة علي إلا بسطت لسانك عليهم حتى يظنوا أنك محيط بهم وأنه لا نجاة لهم منك، ثم اصفح عنهم بعد ذلك وادعهم إلى البيعة [لي] (٤) فمن أبي عليك فاستعمل السيف، واقتل كل من نابذك حتى تدخل أرض اليمن.

قال: فخرج بسر بن [أبي] أرطاة في أربعة آلاف فارس من دمشق يريد المدينة، وعلى المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما أحس بخيل بسر أنها قد شارفت المدينة خرج منها هاربا خوفا على نفسه، قال: وخرج أهل المدينة إلى بسر يستقبلونه خوفا منه على أنفسهم، فلما نظر إليهم صاح بهم وانتهرهم، ثم قال: شاهت الوجوه! إن الله تعالى ضرب لكم مثلا (قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (٥) فقد وقع بكم هذا المثل وأنتم أهل

---

(١) زيد في كتاب الغارات: وفيه:
معاوي ألا تسرع السير نحونا * بايع عليا أو يزيد اليمانيا
(يريدون يزيد بن قيس الأرحبي).

(٢) هو بسر بن أبي أرطأة – أو ابن أرطأة – بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
انظر خبر مسيره إلى اليمن في الطبري ٦ / ٨٠ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٠ الغارات للثقفي ص ٤٠٩ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٧٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧.

(٣) الطبري واليعقوبي وابن الأثير: ثلاثة آلاف.

(٤) عن كتاب الغارات. وانظر وصية معاوية لبسر في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧ وكتاب الغارات ص ٤١١ و شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٢.

(٥) سورة النحل الآية ١١٢.

لذلك لأن بلادكم هذه قد كانت مهاجر نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ومنازل الخلفاء من بعده، فلم
تشكروا نعمة الله ربكم، ولم ترعوا حق أئمتكم حتى قتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل وشاتم (١) ومتربص، أما والله لأفعلن بكم الأفاعيل ولأجعلنكم أحاديث كالأمم السالفة، يا أشرار الأنصار وحلفاء اليهود! ويا أسماء العبيد! إنما أنتم بنو النجار وبنو دينار وبنو سالم وبنو زريق وبنو طريف وبنو عجلان، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي صدور المؤمنين! قال: ثم دخل المدينة فصعد المنبر وتكلم بنظير ذلك الكلام، حتى خاف أهل المدينة أن يوقع بهم، فقال له حويطب بن عبد العزى (٢) وهو على المنبر: أيها الأمير! عشيرتك وقومك وأنصار نبيك وليسوا بقتلة عثمان، فالله الله إليهم! قال: فلم يكلمه بسر بن [أبي] أرطاة بشيء غير أنه مكث وكف عن بعض الكلام، وأمر بدور قوم من الأنصار فحرقت (٣) وهدمت، ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه، ثم أرسل إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ليأتيه فلم يفعل، وذلك أنه كان شيخا كبيرا، فهم بقتله، حتى أرسلت إليه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسألته الأمان له، فقال بسر: لا والله لا أؤمنه حتى يبايع معاوية، قال:
فبايع جابر بن عبد الله معاوية على الكره منه (٤) وأقام بسر بالمدينة أياما حتى أخذ البيعة لمعاوية، ثم نادى في الناس فجمعهم ثم قال: يا أهل المدينة! إني قد
صفحت عنكم وما أنتم لذلك أهل، لأنه ما من قوم قتل إمامهم بين أظهرهم فلم يدفعوا عنه بأهل أن يعفى عنهم، وإن نالتكم العقوبة في الدنيا فإني أرجو أن لا تنالكم رحمة الله عز وجل في الآخرة، ألا! وإني استخلفت عليكم أبا هريرة فاسمعوا له وأطيعوا، وإياكم والخلاف! فو الله لئن عدتم لمعصية لأعودن عليكم بالهلاك وقطع النسل.

---

(١) كتاب الغارات وشرح ابن أبي الحديد: شامت.
(٢) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود العامري أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم عاش ١٢٠ سنة ومات سنة ٥٤ (الإصابة).
(٣) من الدور التي أحرقت: دار زرارة بن جرول أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقي، ودار أبي أيوب الأنصاري (كتاب الغارات لابن هلال ص ٤١٤ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٤).
(٤) وقد قال لأم سلمة لما قالت له أرى أن تبايع، قال: ما ذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل (الطبري ٦ / ٨٠ وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وكتاب الغارات ص ٤١٥).

ثم سار من المدينة يريد مكة، وبها يومئذ قثم بن العباس (١)، فخرج عنها هاربا خوفا على نفسه، حتى إذا أشرف بسر بن [أبي] أرطاة على مكة خرج إليه أشراف أهلها، فلما نظر إليهم انتهرهم وشتمهم، ثم قال: أما والله لو لا خلة واحدة أوصاني بها أمير المؤمنين معاوية لما تركت منكم أحدا يمشي على وجه الأرض.
قال: فقال له أشراف مكة: أيها الأمير! فإنا نذكرك الله في بيضتك وعشيرتك وأهل حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فسكت بسر ولم يتكلم بشيء.
وسار حتى جاز بئر ميمون (٢) جعل الناس يهربون بين يديه خوفا منهم على أنفسهم، قال: ونظر بسر إلى غلامين من أحسن الغلمان هيئة وجمالا وهما هاربان فقال: علي بهما! فأتي بهما حتى وقفا بين يديه، فقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا قثم وهذا أخي ابنا عبيد الله (٣) بن عباس بن عبد المطلب، فقال بسر: الله أكبر! أنتما ممن أتقرب بكما وبسفك دمائكما إلى الله تعالى! قال: ثم أمر بهما فذبحا ذبحا (٤)، وبلغ ذلك أمهما (٥) فجزعت عليهما طويلا ثم أنشأت تقول (٦):

ها من أحس بابني اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بابني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف (٧)

---

(١) مرت الإشارة إليه وانظر أسد الغبة.
(٢) بئر ميمون: بمكة منسوب إلى ميمون بن الحضرمي حفرها بمكة في الجاهلية وعندها قبر أبي جعفر المنصور (معجم البلدان).
(٣) بالأصل: عبد الله خطأ.
(٤) في اسميهما، ومتى قتلا والمكان الذي قتلا به أقوال: قيل أحدهما عبد الرحمن والآخر قثم. وقيل سليمان وداود وقيل كان قتلهما باليمن، وقيل كانا عند رجل من بني كنانة بالبادية وقيل إنه ذبحهما على درج صنعاء وقيل عند بئر ميمون.
قارن مختلف هذه الأقوال في الطبري ٦ / ٨٠ - ٨١ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣١ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧ تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ الاستيعاب ١ / ٩٥ الغارات للثقفي ص ٤٢٠.
(٥) هي أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل هي عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان. (انظر المصادر السابقة).
(٦) الأبيات في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ ابن الأثير ٢ / ٤٣١ الغارات ص ٤٢٠ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٦ الاستيعاب ١ / ٦٥ باختلاف بعض الألفاظ - قارن معها.
(٧) تشظى: تطاير شظايا. والصدف غشاء الدرة واحدها صدفة.

من دل والهة حرى مدلهة * على جبينين ضلا إذ غدا السلف (١)
ها من أحس بابني اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف (٢)
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة (٣) * من الشفار كذاك الإثم يقترف
قال: ثم دخل عدو الله إلى مكة فطاف بالبيت وصلى ركعتين وقام فقال:
الحمد لله الذي جمع لنا أمرنا، وأعز دعوتنا، وكبت (٤) عدونا بالقتل والتشريد، هذا علي بن أبي طالب بناحية من العراق في (٥) قلة وذلة، قد سلبه اليوم جزيل عطائه (٥) وأسلمه اليوم بجريرته، وهذا معاوية بن أبي سفيان ولي الأمر والطالب بدم الخليفة عثمان بن عفان، فبايعوه ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا. قال: فبايع الناس معاوية بالكره منهم، وهم في ذلك ناقمون على بسر بن [أبي] أرطاة لوقعته في علي بن أبي طالب.
قال: وأقام بسر بن [أبي] أرطاة بمكة أياما، ثم عاد ودعا بشيبة بن عثمان العبدري (٦) واستخلفه على أهل مكة، وقال: يا أهل مكة! اعلموا أني قد صفحت عنكم بعد أن كان رأيي استئصالكم، فإياكم والخلاف! فو الله لئن خالفتم لأقتلن (٧) الرجال منكم، ولأحوين الأموال، ولأخر بن الديار، ولأفنين الصغار والكبار.
قال: ثم سار يريد الطائف (٨)، حتى إذا دنا منها خرج إليه المغيرة بن شعبة فاستقبله وكلمه في قومه، فقال: أيها الأمير! إنه لم يزل يبلغنا عنك منذ خرجت من الشام شدتك على عدو أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وكنت في ذلك محمودا عندنا، وإنك أيها الأمير متى كان عدوك ووليك عندك في منزلة واحدة تأثم في ربك

---

(١) الوله ذهاب العقل.
(٢) مزدهف: أي قد ذهب به.
(٣) مرهفة يقال أرهف السيف أي رققه فهو مرهف، قاطع.
(٤) في كتاب الغارات: وأذل.
(٥ - ٥) في كتاب الغارات: في ضنك وضيق، قد ابتلاه الله بخطيئته، وأسلمه...
(٦) بالأصل: العبدي تحريف. وقد مر.
(٧) في كتاب الغارات: لأقصدن منكم إلى التي تبير الأصل، وتحرب المال، وتخرب الديار.
(٨) في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ١ / ٢٨٥ والغارات للثقفي ص ٤١٨ أن المغيرة كتب إلى بسر حين علم بخروجه من مكة إلى الطائف. ونسخته فيهما باختلاف يسير.

وتعرى (١) الناس بك. قال: فأمسك بسر ولم يؤذ أحدا من أهل الطائف، ثم نزل ودعا برجل من أصحابه فأرسله إلى قبالة (٢) وبها يومئذ قوم من شيعة علي رضي الله عنه، فأمر بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم (٣).

قال: ثم سار بسر إلى نجران (٤) وبها يومئذ رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال له

عبد المدان فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله (٥)، وكان من شيعة علي رضي الله عنه، فقتله

بسر بن [أبي] أرطاة وقتل ابنا له يسمى مالكا، فأنشأ بعض بني عمه يقول (٦):

فلو لا أن أخاف صيال بسر * بكيت على بني عبد المدان (٧)

قال: ثم جعل بسر يتهدد أهل نجران بالقتل ويقول لهم (٨): يا إخوان اليهود والنصارى! أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب لأرجعن عليكم بالخيل والرجال ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر.

قال: ثم سار بسر بن [أبي] أرطاة إلى بلاد همذان وبها قوم من أرحب من شيعة علي بن أبي طالب، فقتلهم عن آخرهم.

---

(١) في كتاب الغارات: وتغري بك عدوك.

(٢) كذا، وفي الغارات وشرح النهج ومعجم البلدان: تبالة، وهي موضع ببلاد اليمن. وبينها وبين الطائف ستة أيام.

(٣) كذا بالأصل، ويفهم من غارات ابن هلال أنهم انقذوا في آخر لحظة وكانوا قد أخرجوا ليقتلوا فجاء كتاب بسر بالعفو عنهم ص ٤١٩ وانظر شرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨٥.

(٤) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة (انظر مراصد الاطلاع).

(٥) في الطبري ٦ / ٨٠ عبد الله بن عبد المدان الحارثي. وفي كتاب الغارات ص ٤٢٣: عبد الله الأصغر بن عبد المدان، وكان يقال له عبد الحجر.

(سمي بالأصغر لأن له أخا اسمه عبد الله وكلاهما من الصحابة).

(٦) في كتاب الغارات لابن هلال ص ٤٢٣: " فبكاهما شاعر قريش " وفي الإصابة ترجمة عبد الله بن عبد المدان ذكر الشاعر وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان صديقا لعبد الله.

(٧) البيت في كتاب الغارات:

ولو لا أن تعنفني قريش * بكيت على بني عبد المدن

وبعده فيه:

لهم أبوان قد علمت معد * على أبنائهم متفضلان

(٨) انظر مقالته في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ والغارات لابن هلال ص ٤٢٣.

ثم سار إلى جيشان (١) وبها يومئذ خلق من شيعة علي رضي الله عنه، فقتلهم عن آخرهم.
ثم سار يريد صنعاء وبها يومئذ عبيد الله بن عباس من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما بلغه خبر بسر دعا برجل يقال له عمرو بن أراكة (٢) فاستخلفه على صنعاء وخرج عنها هاربا، وأقبل عدو الله حتى دخل صنعاء فأخذ عمرو بن أراكة فضرب عنقه صبرا، وجعل يتلقظ من كان بصنعاء من شيعة علي فيقتلهم حتى لم يبق منهم أحد.
وخرج من صنعاء يريد حضرموت فلما دخلها جعل يسأل عن كل من يعرف أحدا من موالاة علي فيقتله حتى قتل خلقا كثيرا. قال: ثم أقل إلى رجل من ملوكهم يقال له عبد الله بن ثوابة وهو في حصن له، فلم يزل يختدعه ويحلف له حتى استنزله من حصنه ثم أمر بقتله، فقال له ابن ثوابة: أيها الرجل! إني لا أعلم ذنبا لنفسي يوجب القتل فعلام قتلني؟ فقال له بسر: بقعودك عن بيعة معاوية وتفضيلك علي بن أبي طالب، فقال ابن ثوابة: فذرني حتى أصلي ركعتين أختم بهما عملي، فقال بسر: صل ما بدا لك فإني قاتلك. قال: فصلى عبد الله بن ثوابة ركعتين فعجل عن إتمامهما، وقطع بالسيف إربا إربا.
وبلغ ذلك علي بن أبي طالب (٣) فاغتم لذلك غما شديدا، ثم إنه نادى الناس فجمعهم ثم خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال (٤): أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى لا يخفى عليه ما العباد عاملون في ليلهم ونهارهم، فاتقوا الله عباد الله في أمره ونهيه، وبعد فإني أخبركم أن بسر بن (أبي) أرطاة عدو الله قد توجه إلى أرض اليمن من قبل معاوية، وقد سلك طريق الحجاز في جمع عظيم من أهل الظلم والعدوان، وفعل كذا وكذا وأحرق وهدم، وما بسر برح الله بسرا فلقد باع الآخرة بالدنيا،

---

(١) جيشان: مخلاف باليمن شمالي لحج وغربي بلاد يافع.
(٢) كذا بالأصل وكتاب الغارات ص ٤٢٤ وشرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨٧ وفي الطبري ٦ / ٨٠ وابن الأثير ٢ / ٤٣١ واليعقوبي ٢ / ١٩٨ إن عبيد الله بن العباس استخلف عبد الله بن عبد المدان. وانظر ترجمة لابن أراكة - أو ابن أبي أراكة في الاستيعاب والإصابة.
(٣) أبلغه الخبر ابن قيس بن زرارة الشاذي (الشاكري نسبة إلى بني شاكر فخذ من همذان) عن كتاب الغارات للثقفي ص ٤٢٧.
(٤) قارن مع تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وكتاب الغارات ص ٤٢٧ وص ٤٢٨.

فلينتدب له منكم أهل الجنة والجهاد وطلاب الأجر والثواب، فإن ترك المجاهدة المستحق للجهاد نقص في الدين مع الذل والصغار. قال: فلم يجبه أحد منهم بشيء، فقال لهم علي: ما لكم لا تردون جوابا ولا ترجعون قولا؟ أدعوكم إلى جهاد عدوكم سرا وجهرا فلم يزدكم دعائي إلا فرار، أتتناشدون الأشعار وتتسلون عن الأسفار؟ تربت يداكم لقد نسيتم الحرب والاستعداد لها فأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها. قال: فلم يجبه أحد منهم بشيء، فقال: أو ليس من العجب أن معاوية يأمر فيطاع ويدعو فيجاب، وآمركم فتخالفون وأدعوكم فلا تجيبون، ذهب والله أولو النهى والفضل والتقى الذين كانوا (١) يقولون فيصدقون ويدعون فيجيبون ويلقون عدوهم فيصبرون، وبقيت في حثالة قوم لا ينتفعون بموعظة ولا يفكرون في عاقبة، لقد هممت أن أشخص عنكم فلا أطلب نصركم ما اختلف الجديدان (٢)، وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم وكأني بكم وقد ولاكم من بعدي من يحرمكم عطاءكم ويسومكم سوء العذاب، والله المستعان وعليه التكلان. فلما فرغ علي رضي الله عنه ونظر أنه ليس يجيبه أحد انصرف إلى منزله.

خطبة ثانية

قال: فلما كان من الغد عاد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (٣):

أيها الناس! والله لقد خشيت أن (٤) يدال هؤلاء القوم منكم لمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، استعملت فلانا ففعل ذلك، ولو ائتمنت أحدكم على قدح (٥) لخشيت أن يذهب بعلاقته، أيها الناس! استعدوا للجهاد في عدوكم الذي قد شن عليكم الغارات في كل وجه ليلا ونهارا، وذروا التثاقل والصمم (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) (٦).

قال: فما أجابه أحد منهم بشيء، فقال علي كرم الله وجهه: إني قد كرهتهم

---

(١) في كتاب الغارات: كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويدعون فيجيبون.

(٢) الجديدان: الليل ونهار.

(٣) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٥.

(٤) نهج البلاغة: ان هؤلاء القوم سيدالون منكم.

(٥) نهج البلاغة: قعب.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٢٢.

وكرهوني (١)، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، اللهم وأبدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني، اللهم (٢) أمت قلوبهم ميت الثلج في الماء.
قال: فوثب إليه جارية (٣) بن قدامة السعدي فقال: يا أمير المؤمنين! مرني بأمرك فإني لك حيث أحببت، فقال علي رضي الله عنه: لعمري أنت لها! فإنك ميمون النقيبة (٤) مبارك الأثر حسن النية صادق (٥) العشيرة. قال: ثم ضم إليه علي رضي الله عنه ألفي فارس وأمره بالمسير إلى بسر بن (أبي) أرطاة وأوصاه وصية وعهد إليه عهدا فقال: يا جارية (٣)! عليك بتقوى الله عزو جل، وإذا صرت إلى بلاد اليمن وإلى الموضع الذي أمرتك بالمسير إليه فلا تحتقر مسلما ولا معاهدا، ولا تغصبن لأحد مالا ولا دابة، وصل الصلوات الخمس لوقتها واذكر الله كثيرا.
قال: فخرج جارية (٦) من العراق يريد مكة، وبلغ ذلك بسر بن (أبي) أرطاة، فخرج عن بلاد اليمن وصار إلى أرض اليمامة، فأخذ عليهم بيعة معاوية وأشخص معه جماعة من أهل الشام، وقد قتل من الناس بأرض اليمن وغيرها نيفا عن ثلاثين ألف من شيعة علي بن أبي طالب، وبلغ ذلك عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فخرج في طلبه في زهاء ألف رجل من نجبة فرسان اليمن، فلحقه قبل أن يدخل الشام، فواقعه فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وقتله (٧) فيمن قتل وأحرقه بالنار، وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة حتى صاروا إلى

---

(١) في نهج البلاغة: اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني...
(٢) في شرح النهج: اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء.
(٣) عن الطبري ٦ / ٨١ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وشرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٨ والغارات لابن هلال ص ٤٢٧.
(٤) بالأصل: التقية، وما أثبتناه عن كتاب الغارات ص ٤٢٧.
(٥) في كتاب الغارات: صالح.
(٦) بالأصل: حارثة.
(٧) كذا بالأصل. والرواية بينة الضعف، وخطأها فادع من وجوه:
أولها: أن بسر بن أبي أرطاة عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ومات سنة ٨٦ (تهذيب التهذيب).
ثانيها: لم ترد هذه الرواية في أي من المصادر التي أرخت لمسير بسر إلى اليمن (الطبري - اليعقوبي - شرح نهج البلاغة).
ثالثها: أن عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران وبعد فرارهما أمام بسر خرجا يطلبان الكوفة حيث قدما على علي (رض) (الغارات لابن هلال).
رابعها: أن المصادر تحدثت عن مسير جارية بن قدامة لملاقاة بسر بن أبي أرطاة باليمن وأنه أغذ السير

معاوية فخبروه الخبر. قال: وخرج جارية (١) بن قدامة من العراق يقتل الخيل قتلا وهو يرجو أن يدرك بسر بن (أبي) أرطاة، حتى إذا صار في بعض الطريق بلغه ما قد نزل ببسر فحمد الله على ذلك، ثم إنه سار حتى صار إلى مكة فدخلها مغضبا، فقال: يا أهل مكة! أخاف أن تكونوا من الذين (إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) (٢) قال: ثم أخذ بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣).

ثم سار من مكة إلى الطائف (٤) فلم يرد أحدا من أهلها ولم يظلمه، لكنه أخذ البيعة وجددها لعلي كرم الله وجهه، فلم يزل كذلك حتى سكن الناس وأمنهم ووعدهم ومناهم، فلم يعاقب أحدا ولا قتل أحدا إلا قوما من اليهود قد كانوا أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام، فقتلهم وأحرقهم بالنار بعد القتل، فأنشأ الجون بن قتادة يقول:

تهود أقوام بصنعاء بعد ما * أقروا بآيات الكتاب وأسلموا
فسرنا إليهم في الحديد يقودنا * أخو ثقة ماضي الخيار مصمم
قتلناهم بالسيف صبرا وبعده * شببنا لهم نارا عليهم تضرم
حفرنا لهم لما طغوا وتمردوا * أخاديد فيها للأراذل مجثم

قال: ثم رجع جارية بن قدامة من اليمن إلى مكة، فأقام بها ثلاثة أيام حتى أخذ البيعة ثانية لعلي بن أبي طالب. ثم أقبل إلى المدينة، فلما دخلها استقبله الناس يدعون له، فقال: يا أهل يثرب! أما أنا أعلم أن فيكم الشامت بما فعله

حتى يلحق به حتى انتهى إلى بلاد اليمن، وبلغ بسرا الخبر فأخذ طريقه على الجوف. واتبعه جارية حتى أخرجه من اليمن كلها وواقعة في أرض الحجاز. وأقام بعد ذلك جارية بجرش نحو شهر يستريح، وتابع بسر سيره حتى وصل إلى معاوية.

خامسها: ما ورد عن المدائني أن عبيد الله بن عباس التقى مع بسر في مجلس معاوية وتشاتما وتسابا (شرح النهج ١ / ٢٨٩).

(١) بالأصل حارثة خطأ.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤.

(٣) كذا، ويستفاد من رواية اليعقوبي أن جارية قدم مكة وقد قتل علي (رض) فأخذ البيعة للحسن بن علي (٢ / ١٩٩ وانظر الطبري ٦ / ٨٧).

(٤) كذا، وفي الطبري وتاريخ اليعقوبي: ثم سار حتى أتى المدينة... قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي فبايعوه، وأقام يومه ثم خرج منصرفا إلى الكوفة.

بسر بن [أبي] أرطاة وأيم الله لو أني أعلم الشامت منكم بذلك لبدأت به كائنا من كان. قال: ثم رجع جارية (١) إلى الكوفة حتى دخل على علي (٢) رضي الله عنه فخبره بما كان منه بأرض اليمن ومكة والمدينة.

خبر عبد الله بن عباس وزياد بن أبيه وأبي الأسود الدؤلي وما جرى بينهم

قال: ثم بعث علي إلى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحج للناس. قال: فدعا عبد الله بن عباس بأبي الأسود الدؤلي (٣) فاستخلفه على صلاة البصرة، ودعا بزياد بن أبيه فجعله على الخراج، وتجهز عبد الله بن عباس وخرج إلى الموسم.

قال: وجرت بين أبي الأسود وزياد بن أبيه منافرة، فهجاه أبو الأسود وقال فيه هذه الأبيات:

ألا بلغا عني زيادا رسالة * يحث إليه حيث كان من الأرض
فما لك من ورد إذا ما لقيتني * يقطع دوني طرف عيني كالمغضي
وما لي إذا ما أخلف الود بيننا * أمر القوى منه (و) تعمل في النقض
ألم تر أني لا أكون شيمتي * يكون غول الأرض في الطول والعرض

قال: ثم بلغ أبا الأسود بعد ذلك [أن] زيادا يشتمه ويقول فيه القبيح، فأنشأ يقول (٤):

نبئت أن زيادا ظل يشتمني * والقول يكتب عند الله والعمل
قد (٥) لقيت زيادا ثم قلت له * من قبل ذلك ما جاءت به الرسل (٦)

---

(١) بالأصل: حارثة.
(٢) انظر ما مر قريبا.
(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس... بن الياس بن مضر بن نزار. من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم (انظر الأغاني ١٢ / ٢٩٧).
(٤) الأبيات في الأغاني ١٢ / ٣١٢.
(٥) الأغاني: وقد.
(٦) الأغاني: وقبل ذلك ما خبت به الرسل.

حتام تذكرني في كل مجتمع * عرضا وأنت إذا ما شئت تنتقل (١)
حتام تشتمني حتام تذكرني * وقد ظلمت وتستعفي وتنتصل
ثم تعود وتنسى ما يوافقني * والعذر يندم (و) النسيان والعجل
قال: وقدم عبد الله بن العباس من الحج، فأقبل إليه زياد بن أبيه فشكى إليه أبا الأسود الدؤلي وذكر أن قد هجاه، فأرسل إليه ابن عباس فدعاه فقال: أما والله لو كنت من البهائهم لكنت جملا، ولو كنت للجمل راعيا لما بلغت به المرعى ولا أحسنت القيام عليه في الماء، ما لك وللأحرار! تهجوهم وتقول فيهم القبيح وتذكر أعراضهم بما لا يجب، اخرج عني، فعل الله بك وفعل (٢)!
قال: فخرج أبو الأسود من عند ابن عباس مغضبا، ثم كتب إلى علي بن أبي طالب (٣): أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى قد جعلك يا أمير المؤمنين واليا مؤتمنا وراعيا مسؤولا (٤)، ولقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحا للرعية، توفر عليهم حقوقهم (٥) وتزجر نفسك عن دنياهم، ولا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أموالهم (٦)، وان ابن عمك هذا قد أكل مال الله بغير حق، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما ههنا واكتب إلي برأيك فيما أحببت من ذلك - إن شاء الله -.
قال: فكتب إليه علي رضي الله عنه (٧): أما بعد: فمثلك نصح الإمام والأمة ودل على الحق، وقد كتبت إلى صاحبك فيما ذكرت من أمره ولم أعلمه بكتابك إلي، فلا تدعن إعلامي بما يكون بحضرتك ما فيه النظر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه واجب
عليك في دينك - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

---

(١) البيت في الأغاني:
حتام تسرقني في كل مجمعة * عرضي، وأنت إذا ما شئت منتفل
(٢) انظر رواية الطبري ٦ / ٨١ وابن الأثير ٢ / ٤٣٢ باختلاف.
(٣) كتاب أبي الأسود إلى علي (رض) في الطبري ٦ / ٨١ وابن الأثير ٢ / ٤٣٣ العقد الفريد ٤ / ٣٥٤.
(٤) الطبري وابن الأثير: راعيا مستوليا.
(٥) الطبري: فيئهم، وتظلف نفسك.. وعند ابن الأثير: وتكف نفسك.
(٦) الطبري وابن الأثير: أحكامهم.
(٧) الطبري ٦ / ٨٢ ابن الأثير ٢ / ٤٣٣ والعقد الفريد ٤ / ٣٥٥.

قال: ثم كتب علي إلى عبد الله بن العباس (١): أما بعد، يا بن العباس!
فقد بلغني عنك أمور الله أعلم بها، فإن تكن حقا فلست أرضاها لك، وإن تكن باطلا فإثمها على من اقترفها، فإذا ورد عليك كتابي هذا فأعلمني في جوابه ما أخذت من مال البصرة، من أين أخذته، وفيم وضعته.
قال: فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد علمت الذي بلغك عني، وإن الذي أبلغك الباطل، وإني لما تحت يدي لضابط وحافظ، فلا تصدق أقوال الوشاة ما لم يكن، وأما تعظيمك مرزأة ما رزأته (٢) من هذه البلدة (٣)، فو الله لئن ألقى الله عزو جل بما في الأرض (من) لجينها وعقيانها وعلى ظهرها من طلاعها أحب إلي من أن ألقاه وقد أرقت دماء الأمة، فابعث إلى عملك من أحببت فإني معتزل عنه – والسلام –.
قال: ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد في منزله، فكتب إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكتاب يعذله فيه على غضبه ويكذب من سعى به إليه وأعاده إلى عمله.

خبر الخريت (٤) بن راشد وخروجه على علي بن أبي طالب وخلافه عليه

قالوا: كان علي رضي الله عنه استخلف رجلا يقال له الخريت بن راشد على بلاد الأهواز قبل خروجه إلى صفين (٥)، فلم كان بعد رجوع علي من صفين خالف

---

(١) نهج البلاغة كتاب رقم ٤١، ص ٥٨٠ إلى بعض عماله. باختلاف النص.
(٢) رزأ المال: إذا أصاب منه شيئا.
(٣) وجاء كتاب ابن عباس جوابا لكتاب أرسله إليه علي (رض) يقول فيه (العقد ٤ / ٣٣١ من تحقيقنا): أما بعد، فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية، من أين أخذته؟ وما وضعت منها: أين وضعته؟ فاتق الله فيما ائتمنتك عليك واسترعيتك إياه، فإن المتاع بما أنت رازمه قليل، وتباعته وبيلة لا تبيد، والسلام. وانظر نهج البلاغة كتاب رقم ٤١ والطبري ٦ / ٨٢ وابن الأثير ٢ / ٤٣٣.
(٤) عن الطبري ٦ / ٦٥ وابن الأثير ٢ / ٤١٧ وبالأصل " الحريث " وقد صحح في كل مواضع الخبر. وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ الحارث بن راشد الناجي. ارتد وأصحابه إلى دين النصرانية.
(٥) في الطبري ٦ / ٦٥ أن الخريت بن راشد وثلثمئة من بني ناجية كانوا مقيمين مع علي بالكوفة وقد قدموا
معه من البصرة – وقد شهدوا معه الجمل – ثم شهدوا صفين والنهروان.
وكان خلافه على علي بعد تحكيم الحكمين، وقد قابل عليا وقال له: لن أطيع أمرك ولا أصلي خلفك لأنك حكمت وضعفت عن الحق وركنت إلى القوم الذين ظلموا.

عليه هذا الخريت وجعل يجمع الجنود ويدعو إلى خلع علي والبراءة منه، حتى أجابه إلى ذلك خلق كثير، ثم إنه احتوى على البلاد وجبى الأموال، وبلغ ذلك عليا فدعا رجلا من خيار أصحابه يقال له: معقل بن قيس الرياحي، فضم إليه أربعة آلاف رجل ووجهه إلى الخريت.

قال: فسار الخريت في عشرة آلاف رجل من أهل الأهواز ومن بني ناجية ومواليهم (١).

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، فقال معقل بن قيس: أيها الناس! أين الخريت بن راشد؟ فليخرج إلي فإني أريد كلامه، قال: فخرج إليه الخريت حتى واقفه، ثم قال: أنا الخريت فهات ما الذي تريد! فقال له معقل: ويحك لم خرجت على أمير المؤمنين ودعوت الناس إلى خلعه والبراءة منه وقد كنت من خيار أصحابه وأوثق الناس عنده؟ فقال: لأنه حكم في حق هو له، فقال له معقل: ويحك! أمن أهل الإسلام أنت؟ قال: نعم، أنا من أهل الإسلام، فقل ما بدا لك.

فقال له معقل: خبرني لو أنك خرجت حاجا فقتلت شيئا من الصيد مما قد نهى الله عز وجل عنه، ثم أتيت عليا فاستفتيته في ذلك فأفتاك، هل كان عندك رضى؟

فقال: بلى، لعمري إنه عندي لرضى، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أقضاكم علي، فقال له

معقل بن قيس: فكيف ترضى به في علمه ولا ترضى فيما حكم؟ فقال: لأني لا أعلم أحدا من الناس حكم في شيء هو له. فقال: يا هذا! إن الذي لا تعلمه أنت هو أكثر من الذي علمته، إنا وجدنا عليا يحكم في جميع ما اختلفنا فيه وقد رضينا بحكمه، فاتق الله وإياك وشق العصا! وارجع إلى ما كنت عليه من السمع والطاعة، فأمير المؤمنين أعلم بما يأتي ويذر، فقال الخريت: لا والله لا يكون ذلك ولا تحدثت العرب به أبدا، وما لكم عندي ولصاحبكم إلا السيف.

قال: ثم صاح بأصحابه وحمل على معقل بن قيس، وحمل عليهم معقل في أصحابه واختلط القوم بعضهم من بعض، فقصده معقل من بين أصحابه، فضربه

انظر تفاصيل حول خلافه الطبري ٦ / ٦٥ - ٦٦ الغارات لابن هلال ص ٢٢٠ وما بعدها، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ / ٥٩٠.

(١) في الطبري ٦ / ٧١ اجتمع إليه علوج من أهل الأهواز كثير أرادوا كسر الخراج ولصوص كثيرة وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه.

ضربة على أم رأسه فجدله قتيلا (١). قال: وحمل أهل الكوفة على أهل الأهواز من بني ناجية، فقتل منهم من قتل وهرب من هرب وأسر من أسر من بني ناجية، وأمر معقل بن قيس بهؤلاء الأسارى فجمعوا ثم أمر برأس الخريت بن راشد فأخذ واحتوى على أمواله، وسار إلى علي رضي الله عنه بالأسارى والأموال.

خبر مصقلة بن هبيرة الشيباني وما كان منه
إلى علي وهربه إلى معاوية

قالوا: كان مصقلة بن هبيرة الشيباني أيضا عاملا لعلي بن أبي طالب على بلد من بلاد الأهواز (٢)، فنظر إلى هؤلاء الأسارى (٣) الذين قد أتى بهم معقل بن قيس، كأنه اتقى عليهم أن يقتلوا، فقال لمعقل: ويحك يا معقل! هل لك أن تبيعني هؤلاء الأسارى ولا تمضي بهم إلى أمير المؤمنين؟ فإني خائف أن يعجل عليهم بالقتل.

قال معقل: قد فعلت فاشترهم مني إذا حتى أبيعك. قال له مصقلة: قد اشتريتهم منك بخمسمائة ألف درهم (٤)، قال: قد بعتك فهات المال! فقال مصقلة: غدا أعطيك المال. فسلم إليه معقل بن قيس الأسارى، فأعتقهم مصقلة بأجمعهم، فمضوا حتى لحقوا ببلادهم.

فلما كان الليل هرب مصقلة إلى البصرة إلى عبد الله بن العباس، قال: وكتب معقل بن قيس إلى عبد الله بن عباس يخبره بخبر مصقلة وما فعل. قال: فدعا ابن عباس مصقلة فقال: هات المال! فقال: نعم وكرامة، إن معقل بن قيس أراد أن يأخذ المال مني وأنا فلم أحب أن أعطيه ذلك، ولكن ادفع هذا المال إليك لأنك ابن عم أمير المؤمنين وعامله على البلاد، قال ابن عباس: فقد أحسنت إذا وأصبت فهات المال.

قال: وانصرف مصقلة إلى منزلة، فلما كان الليل هرب إلى الكوفة إلى

---

(١) في الطبري ٦ / ٧٤ قتله النعمان بن صهبان الراسبي.
(٢) كان على أردشير خره (وهي من أجل كور فارس) (الطبري ٦ / ٧٥).
(٣) وكانوا خمسمئة إنسان.
(٤) في مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ اشتراهم بثلاثمائة ألف درهم وأعتقهم، وأدى من المال مائتي ألف وهرب إلى معاوية. وفي الطبري ٦ / ٧٥: بألف ألف درهم. وفي كتاب الغارات ص ٢٤٦ وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٦٠١ فكالأصل بخمسمئة ألف.

علي بن أبي طالب، قال: وكتب معقل بن قيس إلى علي يخبره بذلك. وكتب أيضا عبد الله بن عباس إلى علي بذلك. قال: فدعا به علي وقال: هات المال يا مصقلة! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن معقل بن قيس وعبد الله بن عباس أرادا مني أن أدفع المال إليهما وأنت أولى بحقك منهما، قال علي: قد أحسنت إذا وأصبت فهات المال! فقال: وجه من يحمل المال، فدفع إليه في ذلك اليوم مائة ألف درهم وبقيت عليه أربعمائة ألف درهم

قال، فلما كان الليل هرب إلى معاوية، وطلبه علي فلم يقدر عليه، فقال له الأسارى من بني ناجية: فقد جرى علينا العتق وليس لنا عليهم من سبيل، وأما مصقلة فقد بقي عليه هذا المال. قال: ثم أمر علي بهدم دار مصقلة، فهدمت حتى وضعت بالأرض، قال: وكان نعيم بن هبيرة أخو مصقلة عند علي بن أبي طالب ومن خيار أصحابه، فكتب إلى أخيه مصقلة بهذين البيتين يقول (١):

تركت نساء الحي بكر بن وائل * وأعتقت سبيا من لؤي بن غالب (٢)
وفارقت خير الناس بعد محمد * لمال قليل لا محالة ذاهب

قال: ولم يبق بالعراق أحد من ربيعة إلى وذكر مصقلة بن هبيرة بكل قبيح إذ فارق عليا وصار إلى معاوية، فأنشأ مصقلة يقول:

لعمري لئن عاب أهل العراق * علي عتاق (٣) بني ناجية
لأعظم من عتقهم * رقهم وكفي بعتقهم عالية (٤)
وزايدت فيه لإعتاقهم (٥) * وغاليت إن العلى غالية
وقلت لنفسي على خلوة * وصحبي الذين معي ناجية

---

(١) البيتان في مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ ونسبهما إلى مصقلة بن هبيرة.
(٢) يريد بني ناجية، وهم ولد سامة بن لؤي بن غالب كما في مروج الذهب. وناجية أمهم، وهي أم عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي. وكانت ناجية تحت سامة بن لؤي وهي أم ولده غالب، وبعد موته خلف عليها الحارث بن سامة وهو نكاح مقت. وقد حرمه الإسلام بقوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) (انظر جمهرة النسب للكلبي ص ١١٣ - ١١٤ وجمهرة أنساب العرب ص ١٧٣).
(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٣: انتعاش.
(٤) عند ابن الأثير: ماليه.
(٥) ابن الأثير: لإطلاقهم.

أخاف على القوم أن يقتلوا * وصاحبهم حية قاسية
إذا نهشت ومشى ريقها * فأم السليم لها هاوية
فإن نفثت سمها نفثة * فما أن لها اليوم من راقية
وبالشام أمن ومستوطن * وأهل السنى أكلب عاوية
وكم في سبايا بني ناجية * من الناس باك ومن باكية
وهذا ابن هند سيجزي بها * وعليا قريش بها حازية
كذلك ربيعة أيامها * أمور مكارهها باقية
وما في علي لمستعتب * مقال سوى هذه الجائية

قال: فلما فرغ نعيم من شعره أقبل إلى جماعة من بني عمه من بني بكر بن وائل فقال: إنه قد وردت علي هذه الأبيات من عند أخي مصقلة، وقد علمت أنه يحب الرجوع إلى العراق، وأنا والله مستحي من أمير المؤمنين أن أكلمه فيه، ولكن أحب أن تكتبوا إليه كتابا عن جميعكم، وليكن ذلك عن رأي أمير المؤمنين.

قال: فاجتمع نفر من ربيعة إلى علي رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن نعيم بن هبيرة (١) مستحي منك لما فعل مصقلة أخوه، وقد أتانا الخبر اليقين بأن مصقلة ليس يمنعه من الرجوع إلى العراق إلا الحياء، ولم ينبسط منذ خرج من العراق علينا لسانا ولا يدا، ولا نحب أن يكون رجلا منا مثل مصقلة عند معاوية، فإن أذنت لنا كتبنا إليه كتابا من جماعتنا وبعثنا إليه رسولا فلعله أن يرجع! فقال علي رضي الله عنه: اكتبوا ما بدا لكم وما أراكم تنتفعون بالكتاب. فقال الحضين بن منذر السدوسي: يا معشر بني بكر بن وائل! إن أمير المؤمنين قد أذن لكم في الكتاب فقلدوني كتابكم، فقالوا: قد فعلنا ذلك فاكتب ما بدا لك.

ذكر الكتاب الذي كتبه الحضين بن المنذر
إلى مصقلة بن هبيرة

قال: فكتب إليه الحضين بن المنذر: أما بعد، يا مصقلة! فإن كتابنا هذا إليك من جماعة بني بكر بن وائل، وقد علمنا بأنك لم تلحق بمعاوية رضى منك بدينه ولا رغبة في دنياه، ولم يقطعك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه، ولكنك

---

(١) بالأصل: مصقلة تحريف.

توسطت أمرا قويت فيه بديا ثم ضعفت عنه أخيرا (١) * وكان أول أمرك أنك قلت أفوز
بالمال وألحق بمعاوية، ولعمري ما استبدلت الشام بالعراق، ولا السكاسك بربيعة، ولا معاوية بعلي، ولا أصبت ذنبا بهما، وإن أبعد ما يكون من الله أقرب ما يكون من معاوية، فارجع إلى مصرك فقد غفر لك الذنب وحمل عنك الثقل، واعلم بأن رجعتك اليوم خير منها غدا، وكانت أمس خير منها اليوم، وإن كان قد غلب عليك الحياء من أمير المؤمنين فما أنت فيه أعظم من الحياء، فقبح الله امرءا ليس فيه دنيا ولا آخرة - والسلام -. قال: ثم أثبت في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

أمصقل لا تعدم من الله مرشدا * ولا زلت في خفض من العيش أرغدا
وإن كنت قد فارقت قومك خزية * يمد بها الشانيء إلى رهطك اليدا
وكنت إذا ما ناب أمر كفيته * ربيعة طرا غائبين وشهدا
تدافع عنها كل يوم كريهة * صدور العوالي والصفيح المهندا
يناديك للعلياء بكر بن وائل * فتثني لها في كل جارحة يدا
فكنت أقل الناس في الناس لائما * وأكثرهم في الناس خيرا معددا
تخف إلى صعلوكنا فيجيبه * فكنت بهذا في ربيعة سيدا
ففارقت من قد يحسن الطرف دونه * جهارا وعاديت النبي محمدا
فإن تكن الأيام لاقتك غيرة * قم الآن فارجع لا تقولن غدا غدا
ولا ترض بالأمر الذي هو صائر * فقد جعل الله القيامة موعدا

قال: فلما ورد هذا الكتاب على مصقلة بن هبيرة وقرأه ونظر في الشعر، أقبل على الرسول فقال: هذا كلام الحضين بن المنذر، وشعره لم يشبه كلام أحد من الناس، فقال له الرسول: صدقت هذا كلام الحضين، فاتق الله يا مصقلة! وانظر فيما خرجت منه وفيما صرت إليه، وانظر من تركت ومن أخذت، ثم اقض بعد ذلك على هواك، أين الشام من العراق! وأين معاوية من علي! وأين المهاجرون والأنصار من أبناء الطلقاء والأحزاب! وأنت بالعراق تتبع وأنت بالشام تتبع.

قال: فسكت مصقلة عن الرسول فلم يجبه بشيء، ثم أخذ الكتاب فأتى به معاوية وأسمعه الشعر، فقال له معاوية: يا مصقلة! أنت عندي غير ظنين، فإذا أتاك

---

(١) وكان علي (رض) قد قال لما بلغه ما فعل مصقلة بن هبيرة: ما له! ترحه الله، فعل فعل السيد، وفر فرار العبيد، وخان خيانة الفاجر،... (الطبري ٦ / ٧٦ ابن الأثير ٢ / ٤٢٢).

شيء من هذا فأخفه عن أهل الشام، فقال: أفعل ذلك إن شاء الله.
قال: ثم رجع مصقلة وأقبل على الرسول فقال له: يا أخا بني بكر! إني إنما هربت بنفسي من علي خوفا منه، ولا والله ما ينطلق لساني بعيبه (١) ولا ذمه ولا قلت قط فيه حرفا أعلم أنه يسوءه ذلك، وقد أتيتني بهذا الكتاب فخذ الجواب إلى قومك.
فقال الرسول: أفعل ذلك واكتب ما بدا لك.
ذكر كتاب مصقلة بن هبيرة إلى قومه
أما بعد، فقد جاءني كتابكم فقرأته وفهمته، فأخبركم أنه من لم ينفعه القليل يضره الأكثر، وإن الذي قطعني من علي وأمالني إلى معاوية ليس يخفى عليكم، وقد علمت أني لو رجعت إليكم لكان ذنبي مغفورا وثقلي محمولا، ولكني أذنبت إلى علي ذنبا وصحبت معاوية، فلو رجعت إلى علي لأبديت غيا واحتملت عارا، وكنت بين لومتين أولها (٢) خيانة وآخرها غدر، ولكني قلت أقيم بالشام، فإن غلب معاوية واستوى له هذا الأمر فداري العراق، وإن غلب علي رضي الله عنه فداري الروم، وفراقي عليا على بعض العذر أحب إلي من فراق معاوية ولا عذر لي، والقلب مني إليكم طائر - والسلام -. ثم كتب في أسفل الكتاب بهذه الأبيات:

أيا راكب الأدماء أسلم خفها * وغاربها حتى تزور أرض بابل
ألكني إلى أهل العراق رسالة * وخص بها حييت بكر بن وائل
وعم بها عليا ربيعة إنني * تركت عليا خير حاف وناعل
على عمد عين غير عائب ذنبه * ولا سامع فيه مقالة قائل
ولا طالبا بالشام أدنى معيشة * وما الجوع من جوع العراق بقاتل
فكيف بقائي بعد سبعين حجة * وما إذا عسى غير الليالي القلائل
أقول إذا أهدى له الله نعمة * بدا الدهر زده من مزيد الفضائل
ولكنني كنت امرءا من ثقاته * أقدم في الشورى وأهل الوسائل
فأذنبت ذنبا لم يكن ليقله * بعلمي وقلت الليث لا شك آجلي
ولم أدر ما قدر العقوبة عنده * سوى القتل قد أيقنت ليس قاتلي
وأفردت محزونا وخليت مفردا * وقد خمدت ناري ورثت حبائلي

---

(١) بالأصل: بغيبه تحريف.
(٢) بالأصل: " لائمين أولهما " والصواب ما أثبتنا.

ولم يك إلا الشام دار وإنه * لموطئها بالخيل من دون قابل
فسرت إليه هاربا بحشاشة * من النفس مغموما كثير البلابل
ولم يسمع السامون مني نقيصة * ولا فشلت من يمن يمنى أناملي

قال: ثم دفع الكتاب إلى الرسول وقال: عليك يا بن أخ أن تسأل أهل الشام عن قولي في علي، فقال له الرسول: نعم إني قد سألت عن ذلك فما حكوا إلا جميلا، فقال مصقلة: فإني والله على ذلك حتى أموت.

قال: ثم رجع الرسول بالكتاب إلى الكوفة فدفعه إلى الحضين بن المنذر فقرأه ثم أتى به عليا فأقرأه إياه، فقال علي: كفوا عن صاحبكم فإنه ليس براجع إليكم أبدا حتى يموت، فقال الحضين: يا أمير المؤمنين! والله ما به الحياء ولكن الرجوع قد كففنا عنه وأبعده الله.

ذكر ابتداء أخبار الخوارج من الشراة
وخروجهم على علي رضي الله عنه
قال: فبينا علي كرم الله وجهه مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية ثم يرجع إلى محاربة أهل الشام إذ تحركت طائفة من خاصة أصحابه في أربعة آلاف فارس، وهم من النساك العباد أصحاب البرانس (١)، فخرجوا عن الكوفة وتحزبوا وخالفوا عليا كرم الله وجهه وقالوا: لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله.
قال: وانحاز إليهم نيف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم، قال: فصار القوم في اثني عشر ألفا وساروا حتى نزلوا بحروراء (٢)، وأمروا عليهم عبد الله بن الكواء.
قال: فدعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فأرسله إليهم، وقال: يا بن عباس! امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولماذا اجتمعوا.
قال: فأقبل عليهم ابن عباس، حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم (٣) وقال: ويلك يا بن عباس! أكفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: إني لا أستطيع أن أكلمكم كلكم، ولكن انظروا أيكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إلي حتى أكلمه. قال: فخرج إليه رجل منهم يقال له عتاب بن الأعور الثعلبي حتى وقف قبالته، وكأن القرآن إنما كان ممثلا بين عينيه،

---

(١) البرانس جمع برنس وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كانت أو ممطرا أو جبة، وقال الجوهري: البرنس: قلنسوة كبيرة، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام.
(٢) حروراء: قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج فنسبوا إليها.
(٣) في الكامل للمبرد ٣ / ١١٣٢ فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود، وأيديا كثفنات الإبل، وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون.

فجعل يقول ويحتج ويتكلم بما يريد، وابن عباس ساكت لا يكلمه بشيء، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس فقال: إني أريد أن أضرب لك مثلا، فإن كنت عاقلا فافهم. فقال الخارجي: قل ما بدا لك.

كلام ابن عباس للخارجي وما كان من رده عليه

فقال له ابن عباس: خبرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ومن بناها، فقال الخارجي: نعم، هي لله عز وجل وهو الذي بناها على أيدي أنبيائه وأهل طاعته، ثم أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأمم أن لا تعبدوا إلا إياه، فآمن قوم وكفر قوم، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقال ابن عباس:

صدقت، ولكن خبرني عن محمد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها كما بناها غيره من الأنبياء هل أحكم عمارتها وبين حدودها، وأوقف الأمة على سبلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها؟ قال الخارجي: نعم قد فعل محمد ذلك. قال ابن عباس: فخبرني الآن عن محمد هل بقي فيها أو رحل عنها؟ قال الخارجي: بل رحل عنها. قال ابن عباس: فخبرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بينة الحدود أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها؟ قال الخارجي: بل رحل عنها وهي كاملة العمارة بينة الحدود قائمة المنار. قال ابن عباس: صدقت، الآن فخبرني هل كان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد يقوم

بعمارة هذه الدار من بعده أم لا؟ قال الخارجي: بلى، قد كان له صحابة وأهل بيت ووصي وذرية يقومون بعمارة هذه الدار من بعده. قال ابن عباس: ففعلوا أم لم يفعلوا؟ قال الخارجي: بلى، قد فعلوا وعمروا هذه الدار من بعده. قال ابن

عباس: فخبرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمد صلى الله عليه وآله وسلم

من كمال عمارتها وقوام حدودها أم هي خربة عاطلة الحدود؟ قال الخارجي: بل هي عاطلة الحدود خربة. قال ابن عباس: أفذريته وليت هذه الخراب أم أمته؟ قال: بل أمته. قال: قال ابن عباس: أفأنت من الأمة أو من الذرية؟ قال: أنا من الأمة.

قال ابن عباس: يا عتاب! فخبرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أمة قد أخربت دار الله ودار رسوله وعطلت حدودها؟ فقال الخارجي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك يا بن عباس! احتلت والله حتى أوقعتني في أمر عظيم وألزمتني الحجة حتى جعلتني ممن أخرب دار الله، ولكن ويحك يا بن عباس! فكيف الحيلة في التلخيص مما أنا فيه؟ قال ابن عباس: الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما

أخربته الأمة من دار الإسلام. قال: فدلني على السعي في ذلك! قال ابن عباس: إن أول ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديه، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه. قال: صدقت يا بن عباس! والله ما أعرف أحدا في هذا الوقت يحب عمارة دار الإسلام غير ابن عمك علي بن أبي طالب لو لا أنه حكم عبد الله بن قيس في حق هوله! قال ابن عباس: ويحك يا عتاب إنا وجدنا الحكومة في كتاب الله عز وجل أنه قال تعالى: (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) (١) وقال تعالى: (يحكم به ذوا عدل منكم) (٢).

قال: فصاحت الخوارج من كل ناحية وقالوا: فكأن عمرو بن العاص عندك من الدول؟ وأنت تعلم أنه كان في الجاهلية رأسا وفي الإسلام ذنبا، وهو الأبتر ابن الأبتر، ممن قاتل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وفتن أمته من بعده. قال: فقال ابن عباس: يا هؤلاء!

إن عمرو بن العاص لم يكن حكما أفتحتجون به علينا؟ إنما كان حكما لمعاوية، وقد أراد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يبعثني أنا فأكون له حكما، فأبيتم عليه وقلتم: قد رضينا بأبي موسى الأشعري، وقد كان أبو موسى لعمري رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته، غير أنه خدع فقال ما قال، وليس يلزمنا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى، فاتقوا ربكم وارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أمير المؤمنين، فإنه وإن كان قاعدا عن طلب حقه فإنما ينتظر انقضاء المدة ثم يعود إلى معاربة القوم، وليس علي رضي الله عنه ممن يقعد عن حق جعله الله له.

قال: فصاحت الخوارج وقالوا: هيهات يا بن عباس! نحن لا نتولى عليا بعد هذا اليوم أبدا، فارجع إليه وقل له فليخرج إلينا بنفسه حتى نحتج عليه ونسمع كلامه ويسمع من كلامنا، فلعلنا إن سمعنا منه شيئا يعلق إما أن نرجع عما اجتمعنا عليه من حربه.

قال: فخرج عبد الله بن عباس إلى علي رضي الله عنه فخبره بذلك. قال: فركب علي إلى القوم في مائة رجل من أصحابه حتى وافاهم بحروراء.

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) سورة المائدة الآية ٩٥.

فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء (١) في مائة رجل من أصحابه حتى واقفه، فقال له علي: يا بن الكواء! إن الكلام كثير، ابرز إلي من أصحابك حتى أكلمك، قال ابن الكواء: وأنا آمن من سيفك؟ قال علي: نعم وأنت آمن من سيفي. قال: فخرج ابن الكواء في عشرة من أصحابه ودنوا من علي رضي الله عنه، قال: وذهب ابن الكواء ليتكلم فصاح به رجل من أصحاب علي وقال: اسكت حتى يتكلم من هو أحق بالكلام منك! قال: فسكت ابن الكواء وتكلم علي بن أبي طالب (٢)، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف، وكيف اتفقوا على الحكمين، ثم قال له علي: ويحك يا بن الكواء! ألم أقل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها؟ ألم أقل لكم بأنهم قد عضهم السلاح وكاعوا عن الحرب، فذروني أناجزهم فأبيتم علي وقلتم: إن القوم قد دعونا إلى كتاب الله عز وجل فأجبهم إلى ذلك، وإلا لم نقاتل معك، وإلا دفعناك إليهم، فلما أجبتكم إلى ذلك وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباس ليكون لي حكما فإنه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته، فأبى علي منكم من أبي وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم: قد رضينا بهذا، فأجبتكم إليه وأنا كاره، ولو أصبت أعوانا غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم، ثم إني اشترطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنة الجامعة، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما علي، أكان ذلك أم لم يكن؟ فقال ابن الكواء: صدقت، قد كان هذا بعينه، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت أن الحكمين لم يحكما بالحق وأن أحدهما خدع صاحبه؟ فقال علي: إنه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم. قال ابن الكواء: فأنت مجمع على ذلك؟ قال: وهل يسعني إلى ذلك، انظر يا بن الكواء اني أصبت أعوانا وأقعد عن حقي؟

---

(١) هو عبد الله بن الكواء اليشكري (الكواء: الرجل الخبيث اللسان الشتام للناس، الجمهرة لابن دريد) أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي (رض) وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال في صفين، وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين.

(٢) انظر مناظرة علي (رض) لابن الكواء في الأخبار الطوال ص ٢٠٨ وما بعدها العقد الفريد ٤ / ٣٢٧ الكامل للمبرد ٣ / ١٠٩٩ - ١١٠١.

قال: فعندها بطن ابن الكواء فرسه وصار إلى علي مع العشرة الذين كانوا معه، ورجعوا عن رأي الخوارج، وانصرفوا مع علي إلى الكوفة، وتفرق الباقون وهم يقولون: لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله.

ابتداء اجتماع الخوارج بالنهروان

قال: ثم إن القوم أمروا عليهم هذين الرجلين: عبد الله بن وهب الراسبي الحرمي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وعزموا على أن يعسكروا بالنهروان (١).

قال: فساروا يريدون ذلك، فبينا هم يسيرون إذ مروا بقرية من قرى السواد فإذا هم برجل محصن خوفا من الخيل لما نظر إليها، قال: فأحاطوا به فأخذوه وقالوا: لا بأس عليك! من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت (٢) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: حدثنا حديثا سمعته (٢) من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فقال: نعم،

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " ستكون من بعدي فتنة، القاعد فيها خير من القائم،

والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فمن استطاع أن يكون فيها مقتولا فلا يكونن قاتلا " (٤).

قال: فشد عليه رجل من الخوارج يقال له مسعر بن فدكي، فضربه بسيفه ضربة على أم رأسه فقتله (٥). ثم إنهم دخلوا إلى منزلة.

---

(١) النهروان: ثلاث قرى بين واسط وبغداد.

(٢) خبر عبد الله بن خباب بن الأرت في الطبرسي ٦ / ٤٦ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٣ الكامل للمبرد ٣ / ١١٣٤ طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٢ شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٢٨ البداية والنهاية ٧ / ٣١٨ الإمامة والسياسة ١ / ١٦٦ باختلاف بين النصوص.

(٣) كذا بالأصل، وفي المصادر، نص المبرد: حدثنا عن أبيك، قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله (ص)...

(٤) الحديث أخرج من طرق عديدة أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١١٠ من طريق أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم.

وأخرج ابن ماجة في الفتن برقم ٣٩٦١ عن أبي موسى الأشعري عن النبي أنه قال... وأخرج بنحوه الترمذي في الفتن برقم ٢١٩٥ من حديث أبي هريرة. وفي الباب أحاديث أخر.

(٥) عند ابن الأثير والإمامة والسياسة: أضجعوه على شفير النهر... فذبحوه فسال دمه في الماء. (انظر الكامل للمبرد).

ثم ساروا حتى دخلوا النهروان في اثني عشر ألفا من بين فارس وراجل. قال:
وبلغ ذلك عليا، فنادى في الناس فجمعهم في المسجد فخطبهم.
ذكر خطبة علي بن أبي طالب قبل خروجه
إلى النهروان
قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! إن الله عز وجل بعث
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين، وأمينا على التنزيل، وشهيدا على هذه
الأمة بالتحريم
والتحليل، وأنتم يا معشر العرب إذ ذاك في شر دار وعلى شر دين يبيتون (٢) على
حجارة خشن، وحيات صمم (٣) وشوك مهوب في البلاد، تشربون الأجاج (٤)
وتأكلون
الخبيث (٥) من الطعام، سبلكم خائفة والأنصاب فيكم منصوبة، (وما يؤمن أكثرهم
بالله إلا وهم مشركون) (٦) فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فبعثه
إليكم رسولا من
أنفسكم، وقال تبارك وتعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (٧)
وقال عز وجل: (لقد من الله على المؤمنين) (٨) فكنتم أنتم وهو رسوله إليكم
تعرفون حسبه ونسبه وشرفه وفضله، وكان يتلو عليكم الآيات، ويأمركم بصلة
الأرحام وحقن الدماء وإصلاح ذات البين، ونهاكم عن التظالم والتغاشم والتقاذف
والتباهت، وأمركم بالمعروف ونهاكم عن المنكر، وكل خير يدني من الجنة ويبعد
من النار فقد أمركم به، وكل شر يدني من النار فقد نهاكم عنه، فلما استكمل صلى الله
عليه وآله وسلم
مدته توفاه الله إليه مشكورا سعيه، مرضيا عمله، مغفورا له ذنبه، كريما عند الله

---

(١) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٢٦.
(٢) في نهج البلاغة: متنخون، وفي نسخة منيخون. تنخ بالمكان: أقام به.
(٣) شرح النهج: صم. وصف الحيات بالصم لأنها أخبثها إذ لا تنزجر.
قال محمد عبده: وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفز والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات فأبدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها.
(٤) نهج البلاغة: الكدر.
(٥) نهج البلاغة: الجشب (وهو الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم).
(٦) سورة يوسف الآية ١٠٦.
(٧) سورة الجمعة الآية ٢.
(٨) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

نزله، فيا لها من مصيبة خصت وعمت المؤمنين، لم يصابوا بمثلها قبلها، ولا يعاينون بعدها مثلها، وبعد فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم من الإقدام والجرأة على سفك الدماء، وهم قوم فساق مراق عماة حفاة، يريدون فراقي وشقاقي، وفيهم من قد عضه بالأمس السلاح ووجد ألم الجراح، فجدوا رحمكم الله وخذوا آلة الحرب فإني سائر إليهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم نزل عن المنبر ولم يجبه إلا اليسير من أهل الكوفة، ودخل إلى منزله وغضب لذلك، ثم خرج إلى الناس وخطبهم ثانيا.

ذكر خطبته الثانية وما كان من توبيخه
لأهل الكوفة

قال: فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيتها الفئة المجتمعة أبدانهم المتفرقة أديانهم (٢)! إنه والله ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح من قاساكم، كلامكم يوهن (٣) الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيه عدوكم، أنا أدعوكم إلى أمر فيه صلاحكم والذب عن حريمكم، اعتراكم الفشل وجبنتم بالعلل، ثم قلتم كيت وكيت وذيت وذيت، أعاليل وأضاليل وأقوال أباطيل، ثم سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول (٤)، هيهات إنه لا ينفع الصم الدليل (٥)، ولا يدرك الحق إلا بالجد، فخبروني يا أهل العراق مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ أم أية دار تمنعون؟ والذليل والله من نصرتموه والمغرور من غررتموه، لقد أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم، فرق الله بيني وبينكم، وأبدلكم بي غيري وأبدلني بكم من هو خير لي منكم، أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا وأثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة فتبكي عيونكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنون في بعض

---

(١) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٢٩ وفيه أن هذه الخطبة كانت بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف. وانظر البيان والتبيين ٢ / ٥٤ باختلاف في النصوص.

(٢) نهج البلاغة: المختلفة أهواؤهم.

(٣) نهج البلاغة: يوهي.

(٤) أي أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه والمطول الكثير المطل وهو تأخير أداء الدين بلا عذر.

(٥) نهج البلاغة: لا يمنع الضيم الذليل.

حالاتكم أنكم رأيتموني فنصرتموني وأرقتم دماءكم دوني، فلا يبعد الله إلا من قد ظلم، يا أهل الكوفة! أعظكم فلا تتعظون، وأوقظكم من سنتكم فلا تنتبهون، إن من فاز بكم فقد فاز بالخيبة (١)، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل (٢)، أف لكم!

لقد لقينا منكم ترحا، يوما أناديكم ويوما أناجيكم، فلا أحرار عند النداء ولا إخوان صدق عند المصائب، فيا لله ما ذا منيت به منكم، لقد منيت بصم لا يسمعون وكمه لا يبصرون وبكم لا يعقلون، أما والله لو لا أني حين أمرتكم بأمري حملتكم على المكروه منه، فإن استقمتم هديتم، وإن أبيتم علي بدأت بكم وكانت الزلفى، ولكني تراخيت لكم وتوانيت عنكم وتماديت في غفلتكم، فكنت أنا وأنتم كما قال الأول (٣):

أمرتكم أمري بمنقطع اللوى * فلم تستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

اللهم! إن دجلة والفرات نهران أصمان أبكمان، اللهم! فأرسل عليهما ماء يحرك وانزع منهم ماء نصرك، حبذا إخواني الصالحون! إن دعوا إلى الإسلام قبلوه أو قرأوا القرآن أحكموه، أو ندبوا إلى الجهاد طلبوه، فحقق اللهم لهم الثناء الحسن، واشوقاه إلى تلك الوجوه.

قال: ثم ذرفت عيناه ونزل عن المنبر، وقام إليه نافع بن طريف فقال: إنا لله إلى ما صرت إليه يا أمير المؤمنين! فقال علي: نعم (إنا لله وإنا إليه راجعون إلى ما صرت إليه، صرت إلى قوم إن أمرتهم خالفوني، وإن اتبعتهم تفرقوا عني، جعل الله لي منهم فرجا عاجلا.

قال: ثم وثب فدخل إلى منزله مغموما، ودخل إليه جماعة من فرسان أصحابه

---

(١) نهج البلاغة: بالسهم الأخيب.

(٢) الأفوق من السهام مكسور الفوق، والفوق موضع الوتر من السهم، والناصل العاري عن النصل، أي من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلا إذ لا نصل له.

(٣) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٣٥: فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن ورواية البيت فيه:
أمرتكم أمري بمنعرج اللوى * فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد
والبيت لدريد بن الصمة من قصيدة أولها:
نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بني السوداء القوم شهدي
(الأبيات في الحماسة).

فقالوا: يا أمير المؤمنين! لا يسؤك الله! ها نحن بين يديك فسر بنا إلى أعداء الله إذا شئت لترى منا ما تحب.
قال: ثم تقدم إليه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد ندموا على ما كان من تثبطهم وقعودهم عن نصرتك على أن الحظ في ذلك لهم، فلو عاودتهم بالخطبة لعلهم كانوا يرتدعون ويرجعون إلى محبتك. قال: فلما كان من غد خرج علي رضي الله عنه حتى دخل المسجد الأعظم وهو غاص بأهله وأصحابه متواترون.

ذكر خطبته الثالثة

قال: ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت (٢)، وإلى بلادكم تغزى وأنتم ذوو عدد جم وشوكة شديدة؟ فما بالكم اليوم لله أبوكم من أين تؤتون ومن أين تسحرون وأنى تؤفكون، انتبهوا رحمكم الله وأنبهوا نائمكم وتجردوا لحرب عدوكم، فقد أبدت الدعوة عن التصريح وقد أضاء الصبح لذي عينين، فاسمعوا قولي هداكم الله إذا قلت، وأطيعوا الله أمري إذا أمرت، فو الله لئن أطعتموني لم تغووا، وإن عصيتموني لن ترشدوا، وخذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها واجمعوا آلتها، فقد شبت وأوقدت نارها، وتجرد لكم الفاسقون لكي يطفئوا نور الله بأفواههم ويغزوا عباد الله، فو الله إن لو لاقيتهم وحدي وهم أضعاف (٣) ما هم عليه لما كنت بالذي أخافهم ولا أهابهم ولا أستوحش منهم. لأني من طلالتهم (٤)، والحق الذي أنا عليه لعلى بصيرة ويقين، وإني إلى لقاء ربي مشتاق ولحسن ثوابه منتظر، وهذا القلب الذي ألقاهم به الذي لقيت به الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو القلب الذي لقيت به أهل الجمل وأهل صفين وليلة الهرير،

فإذا أنا أنفرتكم فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. ولا تثاقلوا إلى الأرض فيفروا بالحيف (٥)، فإن أخا

---

(١) بعضها في شرح نهج البلاغة ضمن كتاب إلى أهل مصر رقم ٦٢.
(٢) شرح النهج: انتقصت.
(٣) شرح النهج: وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت.
(٤) شرح النهج: ضلالهم.
(٥) شرح النهج: فتقروا بالخسف.

الحرب من إن نام عنها لم تنم عيناه، ومن غفل أوذي، ومن ضعف ذل، ومن ترك الجهاد في الله كان المغبون المهين، اللهم اجمعنا على التقوى وجنبنا وإياهم البلوى، واجعل الآخرة لنا ولهم خيرا من الأولى.

قال: فلما فرغ من خطبته أجابه الناس سراعا، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون. قال: فخرج بهم من الكوفة وبين يدي عدي بن حاتم الطائي يرفع صوته وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا * برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحزبوا * وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى * وكل لعين قوله غير صادق
وفينا علي ذو المعالي يقودنا * إليهم جهارا بالسيوف البوارق

قال: وسار علي رضي الله عنه حتى نزل على فرسخين من النهروان، ثم دعا بغلامه فقال له: اركب إلى هؤلاء القوم وقل لهم عني: ما الذي حملكم على الخروج علي ألم أقصد في حكمكم؟ ألم أعدل في قسمكم؟ ألم أقسم فيكم فيئكم؟ ألم أرحم صغيركم؟ ألم أوقر كبيركم؟ ألم تعلموا أني لم أتخذكم خولا، ولم أجعل مالكم نفلا؟ وانظر ماذا يردون عليك! وإن شتموك فاحتمل، وإياك أن ترد على أحد منهم شيئا.

قال: فأقبل غلام علي حتى أشرف على القوم بالنهروان، فقال لهم ما أمره به، فقالت له الخوارج: ارجع إلى صاحبك فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبدا، وإنا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما رد إخواننا بحروراء عبد الله بن الكواء (١) وأصحابه، والله تعالى يقول: (بل هم قوم خصمون) (٢)، ومولاك علي منهم فارجع إليه وخبره بأن اجتماعنا ههنا لجهاده ومحاربته لا لغير ذلك.

قال: فرجع الغلام إلى علي وأخبره بما سمع من القوم، قال فعندنا كتب إليهم علي كرم الله وجهه.

---

(١) وكان علي قد ناظر الخوارج بعد خروجهم واستطاع إقناع كثيرين أن يعودوا إلى إخوانهم، وكان منهم عبد الله بن الكواء وقد قال لعلي يومئذ: إننا لا ننكر أننا قد فتنا، وقد رجعوا وانصرفوا مع علي إلى الكوفة.

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٨.

ذكر كتاب علي إلى الخوارج
بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله وابن عبده أمير المؤمنين وأجير المسلمين أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه، إلى عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير
المارقين من دين الإسلام! أما بعد، فقد بلغني خروجكما واجتماعكما هنا لك بغير حق كان لكما ولأبويكما من قبلكما، وجمعكما لهذه الجموع الذين لم يتفقهوا في الدين، ولم يعطوا في الله اليقين، والزما الحق فإن الحق يلزمكما منزلة الحق ثم لا يقضى إلا بالحق، ولا تزيغا فيزيغ من معكما من أخباركما فيكون مثلكما ومثلهم كمثل غنم نفشت في أرض ذات عشب، فرعت وسمنت، وإنما حتفها في سمنها، وقد علمنا بأن الدنيا كعروتين سفلا وعلوا، فمن تعلق بالعلو نجا، ومن استمسك بالسفل هلك، والسعيد من سعدت به رعيته والشقي من شقيت به رعيته، وخير الناس خيرهم لنفسه وشرهم شرهم لنفسه، وليس بين الله وبين أحد قرابة، (وكل نفس بما كسبت رهينة) (١)، والكلام كثير وإنما نريد منه اليسير، فمن لم ينتفع باليسير ضره الكثير، وقد جعلتموني في حالة من ضل وغوى وعن طريق الحق هوى، خرجتم علي مخالفين بعد أن بايعتموني طائعين غير مكرهين، فنقضتم عهودكم ونكثتم أيمانكم، ثم لم يكفكم ما أنتم فيه من العمى وشق العصا، حتى وثبتم على عبد الله بن خباب فقتلتموه وقتلتم أهله وولده (٢) بغير ترة كانت منه إليكم ولا دخل، وهو ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولن يغني القعود عن الطلب بدمه، فادفعوا إلينا من
قتله وقتل أهله وولده وشرك في دمائهم، ولا تقتلوا أنفسكم على عمى وجهل، فتكونوا حديثا لمن بعدكم، وبالله أقسم قسما صادقا لئن لم تدفعوا إلينا قاتل صاحبنا عبد الله بن خباب لم أنصرف عنكم دون أن أقضي فيكم إربي - وبالله أستعين وعليه أتوكل والسلام والرحمة من الواحد الخلاق على النبيين وعلى عباده الصالحين (٣) -.

---

(١) سورة المدثر الآية ٣٨.
(٢) في المصادر التي ذكرت خبر عبد الله بن خباب أنه قتل وقتلت امرأته المتم معه. ولم يشر في تلك المصادر إلى مقتل غيرهما من ولده.
(٣) لم نعثر على هذه الرسالة، وإنما ذكر في الأخبار الطوال رسالة مختصرة إلى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن حصين، وليس فيها أي ذكر لمقتل عبد الله بن خباب (انظر ص ٢٠٦). وفي الطبري ٦ / ٤٧ وابن الأثير ٢ / ٤٠٤ أن عليا أرسل إلى أهل النهر أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تاركم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم.

قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عبد الله بن أبي عقب وأرسله.

مسير عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج وما جرى
بينهم من المناظرة

قال: فأقبل عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج بالكتاب، حتى إذا صار إلى النهروان تقدم إلى عبد الله بن وهب الراسبي وهو جالس على شاطىء النهروان محتب بحمائل سيفه، وحرقوص بن زهير إلى جانبه ورؤساء الخوارج جلوس حولهم.

قال: فسلم عبد الله بن أبي عقب ودفع الكتاب إلى عبد الله بن وهب. فأخذه وفضه وقرأه عن آخره، ثم ألقاه إلى حرقوص فقرأه، ثم رفع رأسه إلى ابن أبي عقب فقال له: لو لا أنك رسول لألقيت منك أكثرك شعرا (١) فمن أنت؟ قال: رجل من الموالي، قال: من أي الموالي أنت؟ قال: من موالي بني هاشم. قال: إني أظنك من هذا الرجل بسبب يعني علي بن أبي طالب، فقال: أنا رجل من أصحابه، قال: أفحلال أنت أم لا؟ قال: لا بل حرام دمي في كتاب الله عز وجل، فقال: ما أراك تعرف كتاب الله، قال: بلى، إني لأعرف منه الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والسفري والحضري. قال: وتعرف الله حق معرفته؟ فقال: نعم، إني لأعرفه ولا أنكره، أؤمن به ولا أكفره. قال: وبما ذا عرفته؟ قال: برسوله وكتابه المنزل، قال: صدقت. فأصدقني ما تكون من علي بن أبي طالب، قال: أنا أخوه في الإسلام، قال: عبد الله بن وهب أو مسلم أنت؟ قال: أنا مسلم والحمد لله. قال: وما الإسلام؟ قال له ابن أبي عقب: إن الإسلام عشرة أسهم، خاب من لا سهم له فيها، شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفطرة، والزكاة وهي الطهر، والصوم وهو الجنة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو الغزو، والأمر بالمعروف وهو الوفاق، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة. قال: صدقت، فخبرني ما الإيمان، فقال: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون، والرضاء بما جاء من عند الله من سخط أو رضى، والجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور. فقال عبد الله بن وهب: أيها الرجل! إنه حرم علينا دمك فخبرني أعالم أنت

---

(١) يريد: رأسه.

أم متعلم (١)، قال (٢): متعنت أنت أم مسترشد؟ قال: بل مسترشد. قال عبد الله بن وهب: فكم الصلوات؟ فقال: أما الفريضة فإنها خمس ومعها نوافل، أفعن الفريضة تسألني أم عن النافلة؟ فقال: بل عن الفريضة أسألك، فكم في الفريضة من ركعة؟ قال: سبع عشرة ركعة وفيها سبع عشرة مرة سمع الله لمن حمده، وفيها أربعة وثلاثون سجدة، وفيها أربع وتسعون تكبيرة. قال: صدقت، فكم السنة؟ قال: السنة عشر، خمس منها في الرأس وخمس في الجسد، فأما اللواتي في الرأس: فالمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الشعر، وأما اللواتي في الجسد: فالختان، وحلق العانة، والاستنجاء بالماء، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، فقال عبد الله بن وهب: صدقت أيها الرجل! ولكن خبرني كم يجب في خمس من الإبل صدقة، فقال ابن أبي عقب: في خمس من الإبل شاة، وفي عشر (٣) شاتان، وفي خمس عشرة (٤) ثلاثة شياه، فإذا بلغت عشرين ففيها أربع شياه إلى أن تبلغ خمسا (٥) وعشرين (٦)، فإذا زادت واحدة ففيها بنت مخاض، فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون إلى خمس وثلاثين (٧)، فإذا زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى أن تبلغ خمسا وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة (٨) إلى أن تبلغ خمسا (٩) وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان طريدتا الفحل إلى أن تبلغ عشرين (١٠) ومائة، فإذا بلغت الإبل عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، فإذا بلغت الإبل ثلاثين ومائة فالحساب على ما خبرتك وليس هذا من علم مثلي فسل عن غير هذا! فقال له عبد الله بن وهب، ذر عنك هذا، فخبرني عن صدقة البقر، قال: إذا أخبرك بذلك في كل ثلاثين بقرة تبيع

---

(١) كذا بالأصل، والظاهر أن هناك سقطا بالكلام.
(٢) القائل هو عبد الله بن وهب.
(٣) بالأصل: عشرة.
(٤) بالأصل: خمسة عشر.
(٥) بالأصل: خمس.
(٦) عن المواهب اللدنية ٣ / ٣٧٨ في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة.
(٧) بالأصل: خمسة وثلاثون.
(٨) في المواهب اللدنية: ففيها حقة طروقة الجمل فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة.
(٩) بالأصل: خمسة.
(١٠) بالأصل: عشرون.

فهو حولي لسنة، وفي الأربعين بقرة منه إلا ما كان من البقر العوامل التي تحرث الأرض ويسقى عليها الحرث فإنه لا صدقة عليها، لأنها بمنزلة الدواب المركوبة، والتي يحمل عليها الأثقال من البغال والحمير فقد خرج حكمها من حكم البقر السائمة، فسنة البقر السائمة بخلاف سنة البقر العوامل، وأما من أراد بها التجارة فيقوم في رأس السنة وينظر إلى ثمنها، فيحسب ذلك ويخرج صاحبها زكاتها كما تخرج زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم، ومن كل عشرين مثقالا نصف مثقال وما زاد فبالحساب، فقال عبد الله بن وهب: صدقت فخبرني عن صدقة الغنم ما هي، فقال ابن أبي عقب: نعم. أما الغنم فإنها إذا كانت دون الأربعين فلا صدقة عليها، فإذا بلغت أربعين فصدقتها شاة إلى أن تبلغ عشرين ومائة شاة، فإذا زادت على العشرين والمائة واحدة فصدقتها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة، فهذا ما سألت عنه من صدقة الإبل والبقر والغنم، وليس مثلي من يسأل عن مثل هذا، ولكن سل أيها الرجل عما أحببت من العلوم الواسعة! فقال ابن وهب: خبرني عن الواحد ما هو، قال: فتبسم ابن أبي عقب ثم قال: هذه مسألة قد مضت في الدهر، الواحد هو الله وحده لا شريك له. قال: فخبرني عن الاثنين لم يكن لهما في عصر ثالث، قال: آدم وحواء. قال: فخبرني عن ثلاث لا رابع لها، قال: الطلاق. قال: فخبرني عن أربع لا خامس لها، قال: أربع نسوة حلال ولا تحل خامسة. قال: فخبرني عن خامسة ليس لها سادسة، قال: الخمس صلوات مكتوبة. قال: فخبرني عن ستة لا سابع لها، قال: الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. قال: فخبرني عن سبعة ليست لها ثامنة، فقال له ابن أبي عقب: يا هذا الرجل! إن السبعة في كتاب الله عز وجل كثير، وهن السماوات سبع والأرضون (١) سبع، والبحار سبع، وقال الله تعالى: (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (٢)، وقال: (وسبعة إذا رجعتم) (٣)، وقال الريان بن الوليد ملك مصر: (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) (٤)، وقال يوسف النبي: (تزرعون سبع سنين دأبا) (٥) ومثل هذا في

---

(١) بالأصل: الأرضين.
(٢) سورة الحجر الآية ٤٤.
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٦.
(٤) سورة يوسف الآية ٤٣.
(٥) سورة يوسف الآية ٤٧.

كتاب الله كثير. قال: فخبرني عن سبع وثمانية. قال: نعم، قول الله عز وجل (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) (١). قال: صدقت، فخبرني عن ثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثمان، قال: فتبسم عبد الله بن أبي عقب ثم قال: يا سبحان الله! من جمع هذه الجموع وخرج على مثل علي بن أبي طالب وهو يعلم أنه أقضى هذه الأمة وأبصر بحلالها وحرامها يسأل رسوله عن مثل هذه المسائل! قال الله تبارك وتعالى: (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) (٢) فهذا ما سألت.

فقال حرقوص: أيها الرجل! فإني سائلك عن غير ما سألك صاحبي، قال: سل عما بدا لك! قال: من يتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أتولى أولياء الله

المؤمنين، أتولى أبا (٣) بكر وعمر وعثمان ومقدادا وسلمان وأبا ذر وصهيبا وبلالا وأسلاف المؤمنين. قال: فممن تتبرأ؟ قال: ما أتبرأ من أحد، (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) (٤) قال: فما تقول في صاحبك علي وما تقول في عثمان وطلحة والزبير ومعاوية والحكمين عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس؟ فقال: أما صاحبي علي فلو قلت فيه سوءا لم أكن بالذي أصحبه، ولا أقاتل بين يديه، ولا أقول بفضله، وأما عثمان فإنه ابن عم النبي، وابن ابنة عمه، وختنه على ابنته رقية وأم كلثوم، وله فضائل كثيرة وقد جاءت بها العلماء ولا أقول فيه إلا خيرا، وأما طلحة والزبير فإنهما حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

ولم أسمع صاحبي يقول فيهما إلا خيرا ولا أقول فيهما إلا كقوله، وأما معاوية والحكمان فمعاوية رضي برجل وعلي صاحبي برجل، فخدع أحدهما صاحبه، والخلافة لا تثبت لأحد بالمكر والخديعة، ونحن على رأس أمرنا إلى انقضاء المدة.

فقال حرقوص: أيها الرجل! إنك قد أوجبت على نفسك القتل، قال: ولم ذاك؟ فقال: لأنك توليت قوما كفروا بعد إيمانهم وأحدثوا الأحداث، فقال له ابن أبي عقب، أيها الرجل! إنك لم تبلغ في العلم ما يجب عليك أن تفتش عن علم الإمام، ولكني أسألك عن مسائل يسأل صبياننا بعضهم بعضا عنها في المكتب،

---

(١) سورة الحاقة الآية ٧.
(٢) سورة الكهف الآية ٢٢.
(٣) بالأصل: أبو.
(٤) سورة البقرة الآية ١٣٤.

قال: سل عما بدا لك! فقال ابن أبي عقب: خبرني أيها الرجل عن المتحابين ما هما؟ وعن المتباغضين ما هما؟ وعن المستبقين والجديدين والدائبين وعن الطارف والتالد وعن الطم والرم وعن نسبة الله عز وجل ما هي؟ قال حرقوص: ما رأيت أحدا يسأل عن مثل هذا، ولكن خبرني عنها وأنت آمن! فقال له ابن أبي عقب: أما المتحابان فالمال والولد، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما المستبقان فالنور والظلمة، وأما الجديدان فالليل والنهار، وأما الدائبان، فالشمس والقمر، وأما الطارف والتالد فالمال المستحدث والمال القديم، وأما الطم والرم فالطم البحر والرم الثرى، وأما نسبة الله عز وجل فإن قريشا سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا محمد! صف
لنا ربك، فنزلت سورة الإخلاص وهي: (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد) (١).
قال: فتعجب القوم من كلام ابن أبي عقب وعلمه، ثم أجاب عبد الله بن
وهب إلى علي بن أبي طالب جوابا: ورد علي كتابك مع رسولك، فقرأته وفهمت ما فيه، وأما قولك تأمرني أن ألزم الحق يوم لا يقضى بالحق، فقد صدقت وأنا لازم الحق جهدي وطاقتي، وأما قولك لا أزيغ فيزيغ من معي، فأنت معدن الزيغ وأهله، وقد قال الله تعالى: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) (٢)، وأما قولك إن السعيد من سعدت به رعيته والشقي من شقيت به رعيته، فقد صدقت وما أعلم سعيدا سعدت به رعيته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أبي بكر ومن بعده عمر، ولا
أعلم شقيا شقيت به رعيته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم غيرك وغير عثمان بن عفان، والقول كما
قلت كثير والتفسير يسير، فمن شاء هذر ونثر، ومن شاء قال بقدر، وأما قولك أن ادفع (٣) إلينا قاتل عبد الله بن خباب فكلنا قتله (٤)، وأما ذكرك المسير إلينا لقتالنا، فإذا شئت فاقدم فإنا عازمون على حربك - والسلام -.
قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى ابن أبي عقب، فأخذه وأقبل إلى علي كرم الله وجهه، فخبره بالذي دار بينه وبين القوم من المسائل.

---

(١) سورة الصمد الآيات ١ - ٤.
(٢) سورة الصف الآية ٥.
(٣) بالأصل: ادفعوه.
(٤) وكان علي قد بعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا. فقالوا: كلنا قتلنهم وكلنا نستحل دماءهم وماءكم (الطبري ٦ / ٤٧).

قال: وعندها نادى علي في أصحابه وأمرهم بالمسير إلى النهروان، فرحل ورحل الناس معه في السلاح والآلة الكاملة والعدة القوية (١)، حتى إذا صار قريبا من النهروان نظر فإذا برجل من أصحابه قد عدل عن الطريق وجلس على ترسه، فعلم علي رضي الله عنه أنه قد شك في قتال أهل النهروان، فعدل إليه علي بن أبي طالب وقام الرجل فجلس علي في موضعه، فإذا برجل قد أقبل من ناحية نهروان يركض على فرس له، فصاح به علي كرم الله وجهه: إلي! فجاء إليه، فقال له علي: ما وراءك؟ فقال: إن القوم لما علموا أنك تقاربت منهم عبروا النهروان هاربين، فقال له علي رضي الله عنه: أنت رأيتهم حين عبروا؟ قال: نعم، قال علي: كلا والذي بعث بالحق نبيا لا يعبرون ولا يبلغون إلى قصر بوران بنت كسرى حتى يقتل الله مقاتلهم على يدي، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة، ذلك عهد معهود وقضاء مقضي (٢).

قال (٢): ثم نهض علي فركب حتى وافى القوم، وإذا هم قد مدوا الرماح في وجه علي وأصحابه وهم يقولون: لا حكم إلا لله. فقال علي رضي الله عنه: لا أنتظر فيكم إلا حكم الله. قال: ثم عبي علي أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين، ثم دعا بعبد الله بن عباس فقال له: تقدم إلي هؤلاء واحتج عليهم وانظر ماذا يقولون! قال: فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين أفألقي عني حلتي هذه وألبس درعي؟ فإني أخاف القوم على نفسي، فقال له علي: إني لا أخافهم عليك، فتقدم فها أنا ذا من وراءك.

قال: فتقدم عبد الله بن عباس حتى واجه القوم، ثم قال: أيها الناس! ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟ فقالوا له: يا بن عباس! إن الذي نقمناه عليك في وقتنا هذا أشد مما نقمناه على علي، وذلك إنك قد جئتنا في حلة يمانية ونحن نريد حربك وحرب ابن عمك، فقال ابن عباس: أما هذه الحلة فقد رأيت خيرا منها على من هو خير مني وهو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الحرب فقد دنت منا ومنكم ولا شك

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٤٩ انفصل علي عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفا، وأتاه من البصرة من قبل ابن عباس عشرة آلاف.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٤٥٠ الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٥ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٥ شرح نهج البلاغة لابن
أبي الحديد ١ / ٤٦٣.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩١ - ١٩٢.

في ذلك، فهاتوا ما الذي نقمتم على علي رضي الله عنه! قالوا: نقمنا عليه أشياء، لو كان حاضرا لكفرناه بهن.
فالتفت ابن عباس إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد سمعت الكلام فأنت أحق بالجواب (١).
قال: فتقدم علي كرم الله وجهه، حتى إذا واجه القوم فسلم عليهم، فردوا عليه السلام، ثم قال: أيها الناس! أنا علي بن أبي طالب، فتكلموا بما نقمتم به علي! فقالوا: إن أول ما نقمنا به عليك أنا قاتلنا يوم البصرة بين يديك، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما كان في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية، وكنت تستحل ما كان في العسكر ولا تستحل النساء والذرية، قال: فقال لهم علي: يا هؤلاء! إن أهل البصرة قاتلونا وبدأوا بقتالنا، فلما أظفرني الله بهم قسمت بينكم سلب من قاتلكم، ومنعتكم النساء والذرية، لأن النساء لم يقاتلن، والذرية ولدوا على فطرة الإسلام، فمنعتكم الذرية والنساء لأجل ذلك، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على أهل مكة يوم
فتحها فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم، وإذا كان النبي من على المشركين فلا تعجبوا مني إذا مننت على المسلمين، فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم.
قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، نقمنا عليك يوم صفين في وقت الكتاب الذي كتبته بينك وبين معاوية أنك قلت لكاتبك: اكتب " هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان "، فأبى معاوية أن يقبل أنك أمير المؤمنين، فمحوت اسمك من الخلافة وقلت لكاتبك: اكتب " هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان "، فإن لم تكن أمير المؤمنين فأنت أمير الكافرين ونحن مؤمنون، ولا يجب أن تكون أميرا علينا. فقال علي: يا هؤلاء!
إنكم قد تكلمتم فاسمعوا الجواب! أنا كنت كاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية فقال لي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اكتب " هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة "، فقال أبو

---

(١) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٢: قالت طائفة من الخوارج - وقد سألهم ابن عباس ماذا نقمتم على علي -. نقمنا على علي خصالا كلها موبقة لو لم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه: محا اسمه من إمرة أمير المؤمنين يوم كتب إلى معاوية، ورجعنا عنه يوم صفين، فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى الله، وحكم الحكمين، وزعم أنه وصي فضيع الوصية.

سفيان (١): إني لو علمت يا محمد أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن أكتب صحيفتك باسمك واسم أبيك، فأمرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمحوت الرسالة من الكتاب
وكتبت " هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأهل مكة "، وإنما محوت اسمي من الخلافة كما محا النبي اسمه من الرسالة فكانت لي به أسوة. قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، إنك قلت للحكمين: " انظرا في كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة، وإن كان معاوية أفضل مني فأثبتاه في الخلافة " (٢)، فإن كنت شاكا في نفسك أن معاوية أفضل منك فنحن فيك أعظم شكا. قال: فقال لهم علي: إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية، لأني لو قلت للحكمين: احكما لي وذرا معاوية، كان معاوية لا يرضى بذلك، وإنما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم [لو] (٣) قال
للنصارى لما قدموا عليه من نجران (٤): تعالوا حتى نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، كانوا لا يرضون بذلك، ولكنه أنصفهم فقال: (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٥)، فأنصفهم من نفسه، وكذلك أنصفت أنا معاوية، ولم أعلم لما أراد عمرو بن العاص من خديعة صاحبي. قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، إنك حكمت حكما في حق هو لك، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم
يفعل، فحكم فيهم سعد بقتل النساء والرجال وسبي الذرية والأموال، وإنما أقمت حكما كما أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه حكما، فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي؟
قال: فسكت القوم وجعل بعضهم يقول لبعض: صدق فيما قال: ولقد دحض جميع ما احتججنا عليه، ثم صاح القوم من كل ناحية وقالوا: التوبة! التوبة! يا أمير المؤمنين.
فاستأمن إليه منهم ثمانية آلاف، وبقي على حربه أربعة آلاف، وأقبل علي

---

(١) كذا بالأصل، وهو خطأ فادع، وقد تقدم التعليق على هذه الرواية قريبا. والصواب " سهيل بن عمرو ".
(٢) كذا، ولم يرد ذلك في وثيقة التحكيم، راجع نص الوثيقة، فيما تقدم قريبا من كتابنا.
(٣) سقطت من الأصل، وزدناها لمقتضى السياق.
(٤) بالأصل: " بحران " تحريف.
(٥) سورة آل عمران الآية ٦١.

رضي الله عنه إلى هؤلاء المستأمنين إليه فقال: اعتزلوا عني في وقتكم هذا وذروني والقوم.
قال: فاعتزل القوم وتقدم علي بن أبي طالب من أصحابه حتى دنا منهم، وتقدم عبد الله بن وهب حتى وقف بين الجمعين، وجعل يقول: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (١) ألا! إن الذين عدلوا بربهم علي بن أبي طالب وأصحابه الذين حكموا في دين الله عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس، والله تعالى يقول: (اتبع ما أوحي إليك من ربك) (٢) وقال تعالى: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٣) وقال: (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (٤).
قال: فصاح به رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يكنى بأبي حنظلة فقال له: يا عدو الله! ما أنت والخطباء في مثل هذا الموضع، وأنت والله ما فهمت في دين الله ساعة قط وما زلت جلفا جافيا مذ كنت ثكلتك أمك، يا بن وهب! أتدري ويلك لمن تتكلم ولمن تتنازع؟ أما علمت أنه أمير المؤمنين أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه ووصيه وصفيه وزوج ابنته وأبو سبطية؟ فقال له علي: ذره يا أبا حنظلة! فإن الذي هو فيه من العمى والضلالة أعظم من كلامه إياي لو علم.
قال: فصاح ذو الثدية حرقوص وقال: والله يا بن أبي طالب ما نريد بقتالنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة. قال: فقال علي رضي الله عنه: هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (٥) منهم أهل النهروان ورب الكعبة!.

ذكر ابتداء الحرب

قال: ثم دعا علي برجل من أصحابه يقال له رويبة (٦) بن وبر البجلي فدفع إليه

---

(١) سورة الأنعام الآية ١.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٦.
(٣) سورة المائدة الآية ٥٠.
(٤) سورة الأنعام الآية ٦٢.
(٥) سورة الكهف الآية ١٠٤.
(٦) بالأصل: رويبية.

اللواء وأمره بالتقدم إلى القوم، قال: فتقدم إلى القوم وهو يقول:
لقد عقد الإمام لنا لواء * وقدمنا أمام المؤمنينا
بأيدينا مثقفة طوال * وبيض المرهفات إذا حلينا
نكر على الأعادي كل يوم * ونشهد حربهم متواريينا
ونضرب في العجاج رؤوس قوم * تراهم جاحدين وعابدينا
قال: فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد. وتقدم من بعده عبد الله بن حماد لحميري فقاتل فاستشهد. وتقدم من بعده رفاعة (١) بن وائل الأرحبي فقاتل واستشهد. ثم تقدم من بعده كيسوم بن سلمة الجهني فقاتل فقتل. وتقدم من بعده عبد بن عبيد الخولاني فقاتل فقتل.
قال: فلم يزل يخرج رجل بعد رجل من أشد فرسان علي حتى قتل منهم جماعة وهم ثمانية، وأقبل التاسع واسمه حبيب بن عاصم الأزدي فقال: يا أمير المؤمنين! هؤلاء الذين نقاتلهم أكفارهم؟ فقال علي: من الكفر هربوا وفيه وقعوا. قال: أفمنافقون؟ فقال علي: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قال: فما هم يا أمير المؤمنين حتى أقاتلهم على بصيرة ويقين؟ فقال علي: هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية، يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم (٢)، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه. قال: فعندها تقدم حبيب بن عاصم هذا نحو الشراة وهو التاسع من أصحاب علي فقاتل وقتل، واشتبك الحرب من الفريقين فاقتتلوا قتالا شديدا ولم يقتل من أصحاب علي إلا أولئك التسعة (٣).

---

(١) بالأصل: رقاية.
(٢) إشارة إلى ما روي عن النبي (ص) قال: يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء... يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم. يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية... أخرجه مسلم في صحيحه.
وقد ورد في الخوارج أحاديث عديدة من طرق عديدة نقلها ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٢١ وما بعدها. والبيهقي في الدلائل ٦ / ٤٣٤.
(٣) كذا بالأصل أنه قتل تسعة من أصحاب علي ولم يذكر المؤلف سوى ستة رجال فقط.
وفي شرح نهج البلاغة ذكر أنه قتل تسعة ولم يذكر أيضا إلا خمسة رجال وفي الطبري ٦ / ٥١ عن أبي مخنف أنه لم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة.
وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥١ قتل من أصحاب علي تسعة. وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٧: " سبعة " وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٣: " أقل من عشرة " وفي تاريخ خليفة ص ١٩٧: اثنا عشر

قال: وتقدم رجل من الشراة يقال له الأخنس العيزار (١) الطائي حتى وقف بين الجمعين، وكان من أشد فرسان الخوارج، وكان ممن شهد يوم صفين وقاتل فيه، فلما كان ذلك اليوم تقدم حتى وقف بين الجمعين وأنشأ يقول:

ألا ليتني في يوم صفين لم أءب * وغودرت في القتلى بصفين ثاويا
وقطعت إربا أو ألقيت جثة * وأصبحت ميتا لا أجيب المناديا
ولم أر قتلى سنبس ولقتلهم * أشاب غداة البين مني النواصيا
ثمانون من حي جديلة قتلوا * على النهر كانوا يحضبون العواليا
ينادون لا لا حكم إلا لربنا * حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا
هم فارقوا من جار لله حكمه * وكل عن الرحمن أصبح راضيا
فلا وإله الناس ما هان معشر * على النهر في الله الحتوف القواضيا
شهدت لهم عند الإله بفلحهم * إذا صالح الأقوام خافوا المخازيا
وإيلوا إلى التقوى ولم يتبعوا الهوى * فلا يبعدن الله من كان شاريا

قال: ثم حمل على أصحاب علي كرم الله وجهة حملة فشق الصفوف وقصده علي، فالتقيا بضربتين فضربه علي فألحقه بأصحابه. وحمل ذو الثدية على علي ليضربه بسيفه، وسبقه علي فضربه على بيضته فهتكها، وحمل به فرسه وهو كما به من الضربة، حتى رمى به في آخر معركة على شط النهروان في جرف دالية خربة.

قال: وخرج من بعده ابن عم له يقال له مالك بن الوضاح (٢)، حتى وقف بين الجمعين وهو يقول:

إني لبائع ما يفنى بباقية (٣)، ولا أريد لذي الهيجاء تربيصا (٤) (٥)

رجلا. وذكر منهم: يزيد بن نويرة الأنصاري وأبو عامر عقبة بن عامر الجهني (لعله غير عقبة بن عامر الصحابي الذي ولي إمرة مصر لمعاوية سنة ٤٠ ه عن التهذيب، أو أن إيراده هنا خطأ وقع فيه خليفة).

(١) في الطبري ٦ / ٥٠ العيزار بن الأخنس، رجل من بني سدوس.

(٢) في الكامل للمبرد ٣ / ١١٨٩ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٥٧ وشعراء الخوارج ص ٧٦ الرهين المرادي، وفي أنساب الأشرف ٤ / ٢: ٨٨ الزهير. والأبيات في هذه المصادر

(٣) في الكامل للمبرد: لعاقبة.

(٤) في الكامل للمبرد وشعر الخوارج: إن لم يعقني رجاء العيش تربيصا.

(٥) وقبله في المصادر:

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

أخشى فجاءة قوم أن يعاجلني * ولم أرد بطوال العمر تنقيصا
فأسأل (١) الله بيع النفس محتسبا * حتى أرافق (٢) في الفردوس حرقوصا
والزبرقان (٣) ومرداسا وإخوته * إذا فارقوا زهرة (٤) الدنيا مخاميصا
قال: ثم حمل على علي، وحمل علي فضربه ضربة ألحقه بأصحابه.
وتقدم عبد الله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين ثم نادى بأعلى صوته: يا بن أبي طالب! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك! والله لا نبرح هذه العرصة أبدا أو تأبى على نفسك، فابرز إلي حتى أبرز إليك وذر الناس جانبا.
قال: فتبسم علي رضي الله عنه ثم قال: قاتله الله من رجل ما أقل حياءه! أما إنه ليعلم أني حليف السيف وجديل الرمي، ولكنه أيس من الحياة أو لعله يطمع طمعا كاذبا.
قال: وجعل عبد الله يجول بين الصفين وهو يرتجز ويقول:
أنا ابن وهب الراسبي الثاري (٥) * أضرب في القوم لأخذ الثار
حتى تزول دولة الأشرار * ويرجع الحق إلى الأخيار
ثم حمل فضربه علي ضربة ألحقه بأصحابه.
قال: واختلط القوم فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم (٦)، وقد كانوا أربعة آلاف، فما فلت منهم إلا تسعة نفر، فهرب منهم رجلان إلا خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعة، وصار رجلان إلا بلاد اليمن فيها نسلهما إلى الساعة، ورجلان صارا إلا بلاد الجزيرة إلى موضع يقال له سوق التوريخ (٧)

---

(١) عند المبرد وشرح النهج: وأسأل.
(٢) المبرد وشرح النهج وشعر الخوارج: ألاقي.
(٣) المصادر السابقة: وابن المنيح.
(٤) عن الكامل للمبرد، وفي شرح النهج: إذ فارقوا هذه الدنيا مخاميصا.
والمخاميص يعني ضامر البطون.
وبعده في شعر الخوارج:
تخال صفهم في كل معترك * للموت سورا من البنيان مرصوصا
(٥) شعر الخوارج: ص ٤٣: الشاري.
(٦) في الأخبار الطوال ص ٢١٠: وقتلت الخوارج كلها ربضة واحدة.
(٧) كذا ولم نعثر عليه.

وإلى شاطىء الفرات فهناك نسلهما إلى الساعة، وصار رجل إلى تل يسمى تل موزن (١).

قال: وغنم أصحاب علي في ذلك اليوم غنائم كثيرة. وأقبل علي نحو الكوفة، وسبقه عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - حتى دخل الكوفة (٢)، فجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة. قال: ومر بدار من دور الكوفة فسمع فيها صوت زمر وصوت طبل يضرب، فأنكر ذلك، فقيل له: هذه دار فيها وليمة، قال: فنهى عن صوت الزمر والطبل، قال: وخرجت (٣) النساء من تلك الدار، وفيهن امرأة يقال لها قطام بنت الأضبع التميمي (٤) وكان بها مسحة من جمال، قال: ونظر إليها عبد الرحمن بن ملجم فأعجبه ما رأى من قدها وحسن مشيتها، فتبعها وقال: يا جارية! أيم أنت أم ذات بعل؟ فقالت: بل أيم، قال: فهل لك في زوج لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه؟ فقالت: إني لمحتاجة إلى ذلك، ولكن لي أولياء أشاورهم في ذلك فاتبعني.

قال: فتبعها المرادي حتى دخل دارها، ثم إنها لبست من الثياب ما يحسن عليها، ثم قالت لمن عندها من خدمها: قولوا لهذا الرجل فليدخل! فإذا دخل

---

(١) تل موزن: بلد بالجزيرة ثم ديار مضر، بين رأس عين وسروج. بينه وبين رأس عين نحو عشرة أميال.

(٢) كذا بالأصل: وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٧: " وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج (وكانت طائفة منهم قد خرجت نحو مكة في الموسم ولما انقضى أمر الموسم نظرت الخوارج في أمرها - الكامل للمبرد) فتذاكروا الناس، وما هم فيه من الحرب والفتنة، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وتواعدوا واتفقوا على ألا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه، حتى يقتله أو يقتل دونه، وهم عبد الرحمن بن ملجم، لعنه الله، وكان من نجيب، وكان عدادهم في مراد، فنسب إليهم، وحجاج بن عبد الله الصريمي، ولقبه البرك، وزادويه مولى بني العنبر. فقال أبو ملجم لعنه الله: أنا أقتل عليا. وقال البرك: أنا أقتل معاوية. وقال زادويه: أنا أقتل عمرو بن العاص.

واتعدوا أن يكون ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين " وانظر الطبري ٦ / ٨٣ والكامل للمبرد ٣ / ١١١٥. زيد في الكامل للمبرد: فخرج كل واحد منهم إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة.

(٣) بالنسخ: وخرجن.

(٤) في الطبري: ٦ / ٨٣ وابن سعد ٣ / ٢٣ قطام بنت الشجنة، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٧ قطام بنت عمه (أي ابنة عم ابن ملجم) وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٦ قطام بنت علقمة بن تيم الرباب. وفي الأخبار الطوال ص ٢١٣ أن قطام أمها وأن التي خطبها ابن ملجم ابنتها الرباب.

وأروني فأرخوا الحجاب بيني وبينه. ثم أذنت لعبد الرحمن بن ملجم بالدخول عليها، فلما دخل ونظر إليها أرخوا الستر بينها وبينه، فقال لها: التأم أمرنا أم لا؟ فقالت: أوليائي أبوا أن ينكحوني إياك إلا على ثلاثة ألف درهم وعبد وقينة، قال: لك ذلك. قالت: وشرط آخر، فقال: وما هذا الشرط؟ قالت: قتل علي بن أبي طالب، قال: فاسترجع المرادي ثم قال: ويحك! من يقدر على قتل علي وهو فارس الفرسان، ومغالب الأقران، والسباق إلى الطعان فقالت: لا تكثر علينا، أما المال فلا حاجة لنا فيه، ولكن قتل علي بن أبي طالب هو الذي قتل أبي يوم كذا وكذا (١). فقال ابن ملجم: أما قتل علي إن رضيت مني بضربة أضرب عليا بسيفي فعلت. قالت: قد رضيت على أن يكون سيفك عندي رهينة. قال: فدفع إليها سيفه وانصرف إلى منزلة.

وقدم علي كرم الله وجهة من سفره، واستقبله الناس يهنئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسنا ثم التفت إلى ابنه الحسين فقال: يا أبا عبد الله! كم بقي من شهرنا هذا - يعني شهر رمضان الذي هم فيه؟ فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين. قال: فضرب بيده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء (وقال): والله ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها. قال ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي * خليلي من عذيري من مراد (٢)

قال: فسمع ذلك عبد الرحمن بن ملجم لعنة الله فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك، فجاء حتى وقف بين يدي علي رضي الله عنه فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعهما أو اقتلني! فقال علي كرم الله

---

(١) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٤ " قتل أبوها وأخوها يوم النهر " وفي الأخبار الطوال ص ٢١٣: كان علي قتل أباها وأخاها وعمها يوم النهر وفي ذلك يقول ابن ملجم (وقيل قائله: ابن أبي مياس المرادي - الطبري).

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

(٢) البيت من شعر عمرو بن معدي كرب قاله في قيس بن مكشوح المرادي وروايته في الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨.

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

وجهه: وكيف أقتلك ولا ذنب لك عندي، إني لم أردك بذلك المثل، ولكن خبرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قاتلي رجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك (١)، ولكن هل كان
لك لقب في صغرك؟ فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين! قال علي: فهل لك حاضنة يهودية فقالت لك يوما من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح! قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين! قال: فسكت علي وركب وصار إلى منزله.
فلما كان يوم ثالث وعشرين (٢) من شهر رمضان خرج علي من منزله، فلما صار في صحن الدار كان في داره شيء من الوز، فتصايح الوز في وجهه، فقال علي رضي الله عنه: صوائح تتبعها نوائح. فقال له ابنه الحسين: يا أبة! ما هذه الطيرة؟ فقال: يا بني! لم أتطير، ولكن قلبي يشهد أني مقتول في هذا الشهر. قال: وجاء علي رحمه الله إلى باب دار مفتحة ليخرج، فتعلق الباب بمئزره فحل مئزره وهو يقول:
اشدد حيازيمك للموت (٣) * فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * فقد (٤) حل بواديكا
فقد أعرف أقواما * وإن كانوا صعاليكا
مصاريع إلى النجدة * وللغي متاريكا
قال: ثم مضى يريد المسجد وهو يقول:
خلوا سبيل المؤمن المجاهد * في الله لا يعبد غير الواحد
ويوقظ الناس إلى المساجد

---

(١) وفي خبر رواه المبرد في الكامل ٣ / ١١١٧ أن ابن ملجم سمع يقول: والله لأريحنهم منك، فأتي به ملبيا، فأشرف عليهم، فقال: ما تريدون؟ فخبروه بما سمعوا، فقال: ما قتلني بعد! فخلوا عنه.
وفي خبر آخر ص ١١١٨ قيل لعلي: كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك، أفلا تقتله؟ فقال: كيف أقتل قاتلي.
(٢) في الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية: ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وفي شرح النهج ٢ / ١٧٥ تسع عشرة. وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨ ليلة إحدى وعشرين.
(٣) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر، وجمعه حيازيم. ويقال للرجل: " اشدد حيازيمك لهذا الأمر أي وطن نفسك عليه ".
قال المبرد: والشعر إنما يصح بأن تحذف " اشدد " وتقول:
حيازيمك للموت * فإن الموت لاقيكا
(٤) المبرد ٣ / ١١٢١ ومروج الذهب ٢ / ٤٦٥ وشرح النهج ٢ / ٣٣٩: إذا.

قال: ثم جاء حتى وقف في موضع الأذان، فأذن ودخل المسجد. وقد كان عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة في منزل قطام بنت الأضبع، فلما سمعت أذان علي رضي الله عنه قامت إليه وهو نائم وكان تناول نبيذا، فأيقظته وقالت: يا أخا مراد! هذا أذان علي، قم فاقض حاجتنا وارجع قرير العين مسرورا، ثم ناولته سيفه، فقال ابن ملجم: بل أرجع والله سخين العين مثبورا، وقد سمعت عليا يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " إن أشقى الأولين قذاز (١) بن سالف عاقر ناقة صالح،
وأشقى الآخرين قاتل علي بن أبي طالب "، فما أخوفني أن أكون ذلك الرجل.
قال: ثم تناول سيفه وجاء حتى دخل المسجد ورمى بنفسه بين النيام، وأذن علي رضي الله عنه ودخل المسجد، فجعل ينبه من في المسجد من النيام، ثم صار إلى حرابه فوقف فيه، فافتتح الصلاة (٢) وقرأ، فلما ركع وسجد سجدة واستوى قاعدا، وأراد أن يسجد الثانية ضربه ابن ملجم ضربه على رأسه. فوقعت الضربة على الضربة التي كان ضربها عمرو بن عبد ود يوم الخندق بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم
بادر فخرج من المسجد هاربا، وسقط علي رحمة الله عليه لما به، وتسامع الناس بذلك وقالوا: قتل أمير المؤمنين ودنت الصلاة، فقام الحسن بن علي (٣) فتقدم فصلى بالناس ركعتين خفيفتين.
ثم احتمل علي إلى صحن المسجد وأحدق الناس به، فقالوا: من فعل هذا بك يا أمير المؤمنين! فقال: لا تعجلوا، فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب - وأومأ بيده إلى بعض الأبواب، قال: فخرج رجل من عبد القيس في ذلك الباب فإذا هو بابن ملجم، وقد سدت عليه المذاهب فليس يدري إلى أين يهرب، فضرب العبدي بيده إليه ثم قال: ويحك لعلك ضارب أمير

---

(١) كذا بالأصل، وفي تفسير القرطبي ٧ / ٢٤١ " قدار " وعن ابن إسحاق: ممن كان ممن عقر الناقة مصدع وأخوه ذؤاب.
(٢) في مروج الذهب ٢ / ٤٥٩ وخرج علي رضي الله عنه ينادي: أيها الناس، الصلاة، فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون: الحكم لله لا لك، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب، وأما مجاشع بن وردان فهرب. وقال علي: لا يفوتنكم الرجل. وانظر الطبري ٦ / ٨٤ ابن الأثير ٢ / ٤٣٥ الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨ - ١١١٩ الأخبار الطوال ص ٢١٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٢.
(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٥ جعدة ابن هبيرة، ابن أخت علي أم هاني.

المؤمنين، فأراد أن يقول لا، فقال: نعم، فكبه وأدخله المسجد (١)، فجعل الناس يلطمونه من كل ناحية حتى أقعدوه بين يدي علي، فقال له: أخا مراد! بئس الأمير كنت لك؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، قال: ويحك! ما حملك على أن فعلت ما فعلت وأيتمت أولادي من بعدي؟ قال: فسكت المرادي ولم يقل شيئا (٢)، فقال علي رضي الله عنه: (وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٣).

قال: ثم أمر به علي رضي الله عنه إلى السجن وقال: احبسوه فنعم العون كان لنا على عدونا! فإذا أنامت فاقتلوه كما قتلني (٤). قال: فكان علي رضي الله عنه يفتقده ويقول لمن في منزله: أرستم إلى أسيركم طعاما؟

قال: وجعل الطبيب يختلف إلى علي واشتدت العلة به جدا، فأحس من نفسه بالموت وعلم أنه لا ينتعش من مصرعه، فدعا بابنيه الحسن والحسين وأقعدهما بين يديه، ودعا أيضا بمن حضر من ولده وأهل بيته وأقبل عليهم بوجهه.

---

(١) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٢ قثم بن العباس احتمله وضرب به الأرض... وأتى به إلى علي.
وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٩: تلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض.

(٢) في الطبري ٦ / ٨٤ فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قال: فما حملك عن هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال عليه السلام: لا أراك إلا مقتولا به ولا أراك إلا من شر خلقه.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٨.

(٤) في الكامل للمبرد ٣ / ١١١٩ قال علي: ان أعش فالأمر لي، وإن أصب فالأمر لكم، فإن آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة، وإن تعفوا أقرب للتقوى.
وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٥ في قوله لابنه الحسن: انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

ذكر وصية علي رضي الله عنه عند مصرعه (١)
فقال: يا بني (٢)؟ إني موصيكم بتقوى الله وطاعته، وأن لا تبغوا هذه الدنيا وإن بغتكم على شيء زوى عنكم، وقولوا الحق ولو على أنفسكم، وارحموا اليتيم وأطعموا المسكين، وأشبعوا الجائع، واكنفوا الضائع، وكونوا للظالم خصما وللمظلوم أعوانا، ولا تأخذكم في الله لومة لائم.
ثم التفت إلى ابنه محمد ابن الحنفية فقال: يا بني! أفهمت ما أوصيت به (٣) إخوتك وغيرهما؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! فقال علي رضي الله عنه: فإني موصيك بمثل ذلك وأوصيك أيضا بتوقير إخوتك (٤) الحسن والحسين وأن لا تقطع أمرا
دونهما. ثم أقبل عليهما فقال: يا حسن ويا حسين! إني قد أوصيت أخاكما بكما وأوصيكما به، وقد علمتما بأن أباكما كان يحبه، فأحباه بحب أبيكما له، وعليكم بتقوى الله عز وجل! (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (٥)، فإني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " إن صلاح ذات البين
أفضل من الصلاة والصيام "، ألا! وانظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون عليكم الحساب، واتقوا الله في الأيتام والأرامل وأحسنوا إليهم بما استطعتم فإنها وصية

---

(١) قارن مع الطبري ٦ / ٨٥ - ٨٦ والبداية والنهاية ٧ / ٣٦٢ - ٣٦٣ شرح نهج البلاغة ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣.
(٢) كلامه هذا موجه في الطبري إلى الحسن والحسين، بصيغة المثنى.
(٣) في الطبري: أخويك.
(٤) الطبري: أخويك.
سورة آل عمران الآيتان ١٠٢ و ١٠٣.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١)، والله الله في القرآن! لا يسبقنكم بالعمل به أحد غيركم (٢)، والله الله
في الصلاة! فإنها عمود دينكم، ثم الزكاة! فإنها تطفئ غضب ربكم، وصيام رمضان! فإن صيامه جنة لكم، ثم الحج إلى بيت الله الحرام! فهو الشريعة التي بها أمرتم، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٣)، ثم
قال: حفظكم الله يا أهل بيتي وحفظ فيكم سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم! وأستغفر الله العظيم
لي ولكم.
فلما كان يوم السابع والعشرين من شهر رمضان خرجت أم كلثوم إلى عند أبيها، فقال لها علي: أي بنية! أخفي عليك الباب، ففعلت ذلك. قال الحسن:
وكنت جالسا على باب البيت فسمعت هاتفا آخر وهو يقول: (أفمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيامة) (٤). قال: وسمعت هاتفا آخر وهو يقول: توفي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتوفي أبو بكر، وعمر فقد قتل، وعثمان قتل، والآن قد قتل علي بن
أبي طالب إذا تضعضع ركن الإسلام.
قال الحسن: فلم أصبر أن فتحت الباب ودخلت، فإذا أبي فارق الدنيا (٥)، فأحضرنا أكفانه وقد كان عنده حنوط له من بقية حنوط النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فغسله الحسن
والحسين، ومحمد ابن الحنفية يصب على أيديهما الماء، ثم كفن (٦) وحمل على

---

(١) زيد عند الطبري: والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم (ص) ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه.
(٢) زيد في الطبري: والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم... والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم.
(٣) سورة المائدة الآية ٢.
(٤) سورة فصلت الآية ٤٠.
(٥) وكان قد جمع له أطباء الكوفة، ولم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانىء السكوني، وكان متطببا صاحب كرسي يعالج الجراحات... فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقا، وأدخله في الجرح، ثم نفخه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣٤٢).
(٦) انظر في غسله وتكفينه الطبري ٦ / ٨٦ مروج الذهب ٢ / ٤٦١، اليعقوبي ٢ / ٢١٣ ابن سعد ٣ / ٣٧ الكامل لا بن الأثير ٢ / ٤٣٦ البداية والنهاية ٧ / ٣٦٣.

أعواد المنايا وحمل، ودفن في جوف الليل الغابر بموضع يقال له الغري (١)، وقال قوم بأنه دفن ما بين منزله إلى المسجد - والله أعلم.
فلما كان الغد أذن الحسن وأقام، وتقدم فصلى بالناس صلاة الفجر، ثم وثب فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن جهلني أنبأته باسمي على أن الناس بي عارفون. أيها الناس! (٢) قد دفن في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون بعلم ولا الآخرون بحلم، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا
قدمه للحرب فجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يلبث أن يفتح الله على يديه. أيها الناس! إنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم (٣) قد كان أراد أن يبتاع بها لأختي أم كلثوم خادما، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال.
قال: ثم نزل عن المنبر، وأمر الحسن فأتي بابن ملجم من السجن، وضربه الحسن على رأسه ضربة (٤)، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية فقطعوه بسيوفهم إربا إربا، وفي ذلك يقول العبدي (٥):

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بينا غير مبهم (٦)
ثلاثة آلاف وعبدا (٧) وقينة (٨) * وضرب علي بالحسام المسمم (٩)
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك (١٠) ابن ملجم

---

(١) الغري: نصب كان يذبح عليه العتائر والغريالان طريالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب (رض).
وفي مقاتل الطالبيين: دفن بالرحبة، مما يلي أبواب كندة.
(٢) الطبري ٦ / ٩١ ابن الأثير ٢ / ٤٤٢ مروج الذهب ٢ / ٤٦١.
(٣) مروج الذهب: سبعمئة درهم... وقال بعضهم: ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه.
(٤) اختلفوا في قتله. انظر مروج الذهب ٢ / ٤٦١ الكامل للمبرد ٣ / ١١٢٠ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٦ الأخبار الطوال ص ٢١٥.
(٥) الطبري ٦ / ٨٧ ابن أبي إياس، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٨ والكامل للمبرد ٣ / ١١١٦ نسبت لابن ملجم نفسه. ولم تنسب في الأخبار الطوال ص ٢١٤.
(٦) في الطبري والأخبار الطوال: ولم... كمهر قطام من فصيح وأعجم.
(٧) كذا بالأصل والأخبار الطوال، وفي بقية المصادر: وعبد.
(٨) بالأصل: فتية، وما أثبت عن المصادر.
(٩) في المصادر: المصمم.
(١٠) الطبري: ولا قتل... قتل ابن ملجم.

ليبشر بخزي في الحياة معجل * وطول خلود ثاويا في جهنم
فيأكل من الزقوم تعسا بجده * ويخلد في قعر من النار مظلم
ويشرب من الغساق والمهل ويله * وسربال قطران لقلب متيم

ذكر كتاب عبد الله بن عباس من البصرة إلى
الحسن بن علي رضي الله عنهما

قال: فلما مضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى سبيل الله اجتمع الناس إلى ابنه الحسن، فبايعوه ورضوا به وبأخيه الحسين من بعده.

قال: فنادى الحسن في الناس فجمعهم في مسجد الكوفة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إن الدنيا دار بلاء وفتنة، وكل ما فيها فآئل إلى زوال واضمحلال، وقد نبأنا الله عنها لكي نعتبه، وتقدم إلينا فيها بالوعد لكي نزدجر، فلا يكون له علينا حجة بعد الإعذار والإنذار، فازهدوا فيما يفنى، وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السر والعلانية، ألا! وقد علمتم أن أمير المؤمنين عليا رحمه الله حيا وميتا، عاش بقدر ومات بأجل، وإني أبايعكم على أن تحاربوا من حاربت وتسالموا من سالمت. فقال الناس: سمعنا وأطعنا، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين.

قال: فأقام الحسن بالكوفة بعد وفاة أبيه شهرين كاملين لا ينفذ إلى معاوية أحدا ولا ذكر المسير إلى الشام.

قال: وإذا بكتاب عبد الله بن عباس قد ورد عليه من البصرة وإذا فيه (١):

لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس، أما بعد يا بن رسول الله! فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد أبيك رضي الله عنه، وقد أنكروا أمر قعودك عن معاوية وطلبك لحقك، فشمر للحرب وجاهد عدوك، ودار (٢) أصحابك وول أهل البيوتات والشرف ما تريد من الأعمال، فإنك تشتري بذلك قلوبهم، واقتد بما جاء عن أئمة العدل (٣) من تأليف القلوب والإصلاح بين الناس، واعلم بأن الحرب خدعة، ولك

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩١ لابن أبي الحديد.
(٢) شرح النهج: وقارب.
(٣) عبارة شرح النهج: فقد جاء عنهم: أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس.

في ذلك سعة ما كنت محاربا ما لم ينتقص مسلما حقا هو له، وقد علمت أن أباك عليا إنما رغب الناس (عنه) وصاروا إلى معاوية لأنه واسى بينهم في الفيء وسوى بينهم في العطاء، فثقل ذلك عليهم، واعلم بأنك إنما تحارب من قد حارب الله ورسوله حتى أظهره الله أمره، فلما أسلموا ووحدوا الرب، ومحق الله الشرك وأعز الدين، وأظهروا الإيمان وقرأوا القرآن وهم بآياته مستهزئون، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون، فلما رأوا أنه لا يغزو (١) في هذا الدين إلا الأنبياء الأبرار والعلماء الأخيار وسموا (٢) أنفسهم لسيما الصالحين، ليظن بهم المسلمون خيرا (٣) وهم عن آيات الله معرضون، وقد منيت أبا محمد بأولئك القوم وأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غيا، ولا زادهم في ذلك لأهل الدين إلا غشا (٤)، فجاهدهم رحمك الله، ولا ترض منهم بالدنية، فإن أباك عليا رضي الله عنه لم يجب إلى الحكومة في حقه حتى غلب على أمره فأجاب وهو يعلم أنه أولى بالأمر إن حكم القوم بالعدل، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه، وعزم على حرب القوم حتى وافاه أجله، فمضى إلى ربه رحمه الله، فانظر رحمك الله أبا محمد! ولا تخرجن من حق أنت أولى به من غيرك وإن أتاك دون ذلك – والسلام عليك ورحمة الله وبركاته –.

قال: فلما ورد كتاب عبد الله بن عباس وقرأه سره ذلك، وعلم أنه قد بايعه وأنه قد أمره بما يجب عليه في حق الله، دعا بكتابه وأمره أن يكتب إلى معاوية.

ذكر كتاب الحسن بن علي إلى معاوية (١)

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين، فأظهر به الحق وقمع به أهل الشرك،

وأعز به العرب عامة، وشرف من شاء منهم خاصة (٦)، فقال تبارك وتعالى (وإنه

---

(١) شرح النهج: لا يعز.

(٢) شرح النهج: توسموا بسيما الصالحين.

(٣) زيد في شرح النهج: فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين.

(٤) شرح النهج: مقتا.

(٥) نسخته في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٢ – ٦٩٣.

(٦) شرح النهج: وشرف به قريشا خاصة.

لذكر لك ولقومك) (١)، فلما قبضه الله عزو جل تنازعت العرب من بعده، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقالت قريش: نحن أولياؤه وعشيرته فلا تنازعونا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش، ثم جاحدتنا قريش ما عرفه العرب لهم، وهيهات ما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين وسابقة في الإسلام، فرحمة الله عليهم، والآن فلا غرو إلا منازعتك إيانا بغير حق في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، والموعد لله بيننا وبينك، ونحن نسأله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئا ينقصنا به في الآخرة، وبعد فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولاني هذا الأمر من بعده، فاتق الله يا معاوية! وانظر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما
تحقن به دماءكم وتصلح به أمورهم - والسلام -.
ثم دفع الحسن كتابه هذا إلى رجلين من أصحابه يقال لأحدهما جندب بن عبد الله الأزدي والآخر الحارث بن سويد التميمي، ووجههما إلى معاوية ليدعواه إلى البيعة والسمع والطاعة. قال: فلما قرأه كتب إليه في جوابه.
جواب كتاب الحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان (١)
أما بعد، فقد فهمت كتابك وما ذكرت به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير الأولين
والآخرين، فالفضل كله فيه صلى الله عليه وآله وسلم، وذكرت تنازع المسلمين الأمر من بعده، فصرحت
منهم بأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وطلحة، والزبير،
منهم بأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وطلحة، والزبير،
وصلحاء المهاجرين، وكرهت ذلك لك أبا محمد، وذلك أن الأمة لما تنازعت الأمر من بعد نبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم علمت أن قريشا أحقها بهذا الشأن لمكان نبيها منها، ثم رأت
قريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يولوا هذا الأمر أعلمها بالله، وأخشاها له، وأقدمها إسلاما، فاختاروا أبا بكر الصديق، ولو علموا مكان رجل هو أفضل من أبي بكر يقوم مقامه ويذب عن حوزة (٣) الإسلام كذبه لما عدلوا ذلك عنه، فالحال بيني وبينك على ما كانوا عليه، ولو علمت أنك أضبط لأمر الرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جميع الأمور (٤)،

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩٣.
(٣) في شرح النهج: حرم.
(٤) شرح النهج: وأقوى على جمع الفيء.

لسلمت لك هذا الأمر بعد أبيك، لأني قد علمت بأنك إنما تدعي ما تدعيه نحو أبيك، وقد علمت أن أباك سار إلينا فحاربنا، ثم صار من أمره إلى أن اختار رجلا واخترنا رجلا، ليحكما بما يصلح عليه أمر الأمة وتعود به الألفة والجماعة، وأخذنا على الحكمين بذلك عهد الله وميثاقه، وأخذا منا مثل ذلك على الرضا بما حكما، ثم أنهما اتفقا على خلع أبيك فخلعاه، فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك وقد خرج أبوك منه؟ فانظر لنفسك أبا محمد ولدينك - والسلام (١) -.

ثم وجه الكتاب إلى الحسن، ودعا معاوية بالضحاك بن قيس واستخلفه على الشام.

ذكر خروج معاوية من الشام يريد العراق وخروج
الحسن بن علي من الكوفة يريد الشام

قال: ثم جمع معاوية الناس وخرج في ستين ألفا يريد العراق، وكتب الحسن بن علي إلى عماله يأمرهم بالاحتراس، ثم ندب الناس إلى حرب معاوية، ودعا بالمغيرة بن نوفل بن الحارث فاستخلفه على الكوفة وخرج في نيف عن أربعين ألفا حتى نزل بدير عبد الرحمن (٢)، ثم دعا قيس بن سعد بن عبادة وضم إليه ألف رجل (٣) وجعله على مقدمته.

قال: فمضى قيس وأخذ على الفرات يريد الشام (٤)، وخرج الحسن بن علي حتى أتى ساباط المدائن (٥)، فأقام بها أياما.

---

(١) زيد في شرح النهج: ثم قال للحارث وجندب (رسولا الحسن إليه): ارجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف.

(٢) دير عبد الرحمن: هو مفرق الطريق بين معسكري الحسن في المدائن ومسكن.

(٣) في الطبري ٦ / ٩٢ وابن الأثير ٢ / ٤٤٥ في اثني عشر ألفا.

(٤) أخذ على الفرات وقرى الفلوجة ثم إلى مسكن (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٣).

(٥) ساباط قرية في المدائن، عندها قنطرة على نهر الملك ولعلها إنما سميت بهذا الاسم لوجود سقيفة نادرة من السوابيط فيها.

وكانت خطة الحسن العسكرية أن يتخذ من المدائن - نظرا لموقعها من الناحية العسكرية والاستراتيجية مقرا لقيادته العليا. فالمدائن رأس جسر صوب فارس والبلاد المتاخمة لها، وهي بموقعها الجغرافي النقطة الوحيدة التي تحمي الخطوط الثلاثة التي تصل كلا من الكوفة والبصرة وفارس بالأخرى.

وإقامته - كما خطط - بالمدائن لاستقبال النجدات المحتملة والمتوقعة من كل من البصرة أو الكوفة أو

فلما أراد الرحيل (١) قام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
أيها الناس! إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، والله لقد أصبحت وما أنا محتمل على أحد من هذه الأمة ضغنة في شرق ولا غرب ولما تكرهون في الجاهلية، والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون من الفرقة والخوف والتباغض والعداوة - والسلام -.
قال: فلما سمع الناس هذا الكلام من الحسن كأنه وقع بقلوبهم أنه خالع نفسه من الخلافة ومسلم الأمر لمعاوية، فغضبوا لذلك، ثم بادروا إليه من كل ناحية، فقطعوا عليه الكلام، ونهبوا عامة أثقاله، وخرقوا ثيابه، وأخذوا مطرفا كان عليه، وأخذوا أيضا جارية كانت معه، وتفرقت عنه عامة أصحابه، فقال الحسن: لا حول ولا قوة إلا بالله.
قال: فدعا بفرسه فركب، وسار وهو مغموم لما قد نزل به من كلامه. وأقبل

فارس ثم ليكون من وراء ميدانه الذي سينازل به معاوية وأهل الشام، وليس بين معسكري الحسن بين المدائن ومقدمة جيشه (قيس بن سعد) التي أرسلها إلى مسكن أكثر من خمسة عشر فرسخا.

(١) كذا بالأصل، والأخبار الطوال ص ٢١٦. ويفهم من رواية الطبري ٦ / ٩٢ أنه لا شيء مهم حصل إبان إقامة الحسن بن علي بساباط، وأنه انتقل منها إلى المدائن.

وفي المدائن حصلت تطورات هامة وخطيرة كانت تزيد من خيبة أمله، وتزيد من ضعف ثقته بجيشه ووضعته أمام اتخاذ موقف واحد لا ثاني له، موقف يتناسب مع خطورة الأوضاع التي تتابعت بسرعة.

أما التطورات التي حصلت فمنها:

١ - تثاقل الناس عن الحرب، فإذا كان تقديرنا - على اختلاف الأقوال - للمستنفرين ما بين ٤٠ ألفا إلى مئة ألف يجب أن نشير إلى أن القوة القتالية المفترضة في العراق تتعدى ثلاثمئة ألف.

٢ - دور أصحاب الفتن وأصحاب الطمع بالغنائم وأصحاب العصبيات في تفتيت وحدة جيش الحسن.

٣ - دور الخوارج، الذين طالما نادوا بالقتال، في تذكية نار الحقد بين الفريقين المتحاربين وظهورهم بأنهم الجنود المناصحين في حين أنهم في ذلك إلى اغتنام الفرص من أجل تنفيذ مخططاتهم، والتي نذكر أقلها، في إضعاف الطرفين. ولم يطل تظاهرهم فقدموا على تنفيذ مؤامرتهم الدنيئة في محاولة اغتيال الحسن بن علي، حيث طعنة أحدهم، ابن سنان الأسدي ولكن هذه الطعنة لم تبلغ من الحسن وكانت سلامته بلطف من الله وعنايته.

٤ - تكون جيش الحسن (رض) من عناصر مختلفة وألوان متعددة أفقدته المصداقية وأذنت بسرعة تفرقه وتشرذمه.

(٥) الدساس والإشاعات والحرب النفسية التي خاضها معاوية كان لها الأثر المدمر في الروح المعنوية للجيش. ومن ذلك ما أشار إليه الطبري ٦ / ٩٢ إذ نادى مناد في العسكر ألا إن قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا وسرقوا سرادق الحسن.

رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح (١) حتى وقف في مظلم ساباط المدائن، فلما مر به الحسن بادر إليه فجرحه بمعول (٢) كان معه جراحة كادت تأتي عليه، قال: فصاح الحسن صيحة وخر عن فرسه مغشيا عليه، وابتدر الناس إلى ذلك الأسدي فقتلوه (٣).

قال: وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن (٤)، قال: وعامل المدائن يومئذ سعد (٥) بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، قال: فأنزل الله في القصر الأبيض، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين. قال: فأقام الحسن بالمدائن يداوى.

وأقبل معاوية من الشام حتى صار إلى موضع يقال له جسر منبج ثم عبر الفرات، حتى نزل بإزاء قيس بن سعد بن عبادة، فأمر أصحابه بمحاربته. قال: فتناوش القوم يومهم ذلك، وكانت بينهم مساولة، ثم أنهم تحاجزوا عن غير قتل إلا جراحات يسيرة.

قال: وجعل قيس بن سعد ينتظر الحسن بن علي أن يقدم عليه، وهو لا يعلم ما الذي نزل به. قال: فبينا هو كذلك إذ وقع الخبر في العسكرين أن الحسن بن علي قد طعن في فخذه وأنه قد تفرق عنه أصحابه، فاغتم قيس بن سعد [وأراد] أن يشغل الناس بالحرب لكي لا يذكروا هذا الخبر، فزحف القوم بعضهم إلى بعض فاختلطوا للقتال، فقتل من أصحاب معاوية جماعة وجرح منهم بشر كثير، وكذلك من أصحاب قيس بن سعد، ثم تحاجزوا.

وأرسل معاوية إلى قيس فقال: يا هذا! على ماذا تقاتلنا وتقتل نفسك؟ وقد أتانا الخبر اليقين بأن صاحبك قد خلعه أصحابه. وقد طعن في فخذه طعنة أسفى

---

(١) عند اليعقوبي ٢ / ٢١٥ جراح بن سنان الأسدي.

(٢) المعول: حديدة ينقر بها الصخر.

(٣) في شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩٤: ابتدره أصحابه، فسبق إليه عبيد الله الطائي، فصرع سنانا وأخذ ظبيان بن عمارة المعول من يده، فضربه به فقطع أنفه، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله.

(٤) الطبري: إلى المقصورة البيضاء بالمدائن.

(٥) الأخبار الطوال: سعيد.

منها على الهلاك، فيجب أن تكف عنا ونكف عنك إلى أن يأتيك علم ذلك.
قال: فأمسك قيس بن سعد عن القتال ينتظر الخبر، قال: وجعل أهل العراق يتوجهون إلى معاوية قبيلة بعد قبيلة، حتى خف عسكره.
فلما رأى ذلك كتب إلى الحسن بن علي يخبره بما هو فيه. فلما قرأ الحسن الكتاب أرسل إلى وجوه أصحابه فدعاهم، ثم قال: يا أهل العراق! ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية، أما والله ما هذا بمنكر منكم لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه. ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه. ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا، والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلي ما كان، يا أهل العراق! فحسبي منكم لا تعزوني في ديني فإني مسلم هذا الأمر إلى معاوية (١).
قال: فقال له أخوه الحسين: يا أخي! أعيذك بالله من هذا! فقال الحسن:

---

(١) مر قريبا أن الحسن بن علي، وبعد الموقف الهجومي الذي اتخذه معاوية في الرد على كتاب للحسن يدعوه لبيعته، إذ فاجأه معاوية بتجهيز أكثر من ستين ألفا وبالمسير نحو العراق. فأسرع الحسن في استنفار قواته وعماله وتعبئة جيشه والتوجه إلى المدائن فمسكن، وقد ذكرنا - انظر ما لاحظناه قريبا - أنه حدثت تطورات وأوضاع هامة وخطيرة وهو في المدائن تركت الحسن في موقف بالغ الدقة والخطورة حيث غلبت عليه الحيرة في الموقف المفترض اتخاذه ثم طرأ أيضا ظروف أدق - حتمت عليه - اتخاذ الموقف الجريء الواضح والذي لم يرض أن يهرق في أمره محجمة دم، فكانت خطة حقن الدماء التي أقرها وقررها.
وأما الظروف المستجدة - إلى جانب التطورات التي ذكرناها سابقا - والتي أملت عليه اتخاذ هذا الموقف فهي:
١ - خطة الحرب النفسية والدعائية التي شنها معاوية والتي قضى من ورائها تدمير مقاومة الجيش في مسكن.
٢ - نشر الشائعات في جيش الحسن، وكانوا من أغرار الناس والمتأرجحين بين الطاعة والعصيان والمتأهبين للفتنة والاضطرابات في كل حين.
٣ - تهديم معنويات جيش الحسن. ولعبة تفتيته على قاعدة العناصر والألوان التي كثرت فيه.
أمام هذا كله وقف الحسن غير عابىء بما يدور حوله، ووضع خطته فيما يريده الله وما يؤثره عن رسول الله (ص) وما يجب لصيانة المبدأ، وأما ما يقوله الناس فلم يكن ذلك ما يعنيه كثيرا (الطبري - اليعقوبي - ابن كثير).

والله لأفعلن ولأسلمن هذا الأمر إلى معاوية.
ذكر بيعة الحسن بن علي لمعاوية كيف كانت
قال: ثم دعا الحسن بن علي بعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (١) وهو ابن أخت معاوية، فقال له: صر إلى معاوية فقل له عني: إنك إن أمنت الناس على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم بايعتك، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك.
قال: فقدم عبد الله بن [نوفل بن] الحارث على معاوية، فخبره بمقالة الحسن. فقال له معاوية: سل ما أحببت! فقال له: أمرني أن أشرط عليك شروطا، فقال معاوية: وما هذه الشروط؟ فقال: إنه مسلم إليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال، وله خراج دارا بجرد من أرض فارس، والناس كلهم آمنون بعضهم من بعض. فقال معاوية: قد فعلت ذلك.
قال: فدعا معاوية بصحيفة بيضاء، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه، ثم قال: خذ هذه الصحيفة فانطلق بها إلى الحسن، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحب ويشهد أصحابه على ذلك، وهذا خاتمي بإقراري.
قال: فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة وأقبل إلى الحسن ومعه نفر من أصحابه من أشراف قريش، منهم عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام. قال: فدخلوا فسلموا على الحسن، ثم قالوا: أبا محمد! إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أحببت، فاكتب الذي تحب. فقال الحسن: أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه، وأما المال، فليس لمعاوية أن يشرط لي في المسلمين، ولكن أكتب غير هذا وهذا كتاب الصلح.
قال: ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب: " هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على:

---

(١) في الأخبار الطوال ص ٢١٨ أرسل إلى عبد الله بن عامر.

[أولا] أن يسلم إليه ولاية أمير المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين.
[ثانيا] وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.
[ثالثا] وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله [في] شامهم وعراقهم و تهامهم وحجازهم.
[رابعا] وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.
وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه.
[خامسا] وعلى أنه لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرا وعلانية، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق.
شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان (١).

---

(١) كذا بالأصل وفي المصادر أقوال في تقديم وتأخير ما اتفق عليه، وزيادة بند في الاتفاق وإنقاص آخر. وذكر أنه اتفق بينهما على معاهدة صلح وقعها الفريقان وصورتها - كما أخذناها من مصادرها حرفيا: عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤ / ٨] وبسيرة الخلفاء الراشدين [فتح الباري فيما رواه ابن عقيل في النصائح الكافية ص ١٥٦].
- المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده [تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ والإصابة ٢ / ١٢ و ١٣، دائرة معارف وجدي ٣ / ٤٤٣] وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد [المدائني فيما يرويه عنه ابن أبي الحديد ٤ / ٨ والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهما].
- المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر عليا إلا بخير [مقاتل الطالبين ص ٢٦ شرح النهج ٤ / ١٥. وقال آخرون أنه أجابه على أن لا يشتم عليا وهو يسمع. وقال ابن الأثير: ثم لم يف به أيضا].
- المادة الرابعة: يسلم ما في بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف للحسن وله خراج دار ابجرد [الطبري ٦ / ٩٢ وفي الأخبار الطوال ص ٢١٨: أن يحمل لأخيه الحسين في كل عامه ألفي ألف، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس].

ثم رد الحسن بن علي هذا الكتاب إلى معاوية مع رسل من قبله ليشهدوا عليه بما في هذا الكتاب.

قال: وبلغ ذلك قيس بن سعد، فقال لأصحابه: اختاروا الآن واحدة من ثنتين: قتالا مع غير إمام أو بيعة لضلال (١)! قالوا: بل البيعة أيسر علينا من سفك الدماء. قال: فعندها نادى قيس بن سعد فيمن بقي من أصحابه، فانصرف بهم نحو العراق وهو يقول:

أتاني بأرض العال (٢) من أرض مسكن * بأن إمام الحق أضحى مسلما
فما زلت مذ نبئته متلددا * أراعي نجوما خاشع القلب ناجما

قال: ثم أقبل قيس بن سعد حتى دخل الكوفة والحسن بن علي رضي الله عنه بها.

ذكر مسير معاوية إلى العراق لأخذ البيعة لنفسه من الحسن بن علي رحمة الله عليه

قال: وسار معاوية في جيشه حتى وافى الكوفة، فنزل بها في قصر الإمارة، ثم أرسل إلى الحسن بن علي فدعاه، وقال: هلم أبا محمد إلى البيعة. فأرسل إليه الحسن أبايعك على أن الناس كلهم آمنون. فقال معاوية: الناس كلهم آمنون إلا قيس بن سعد، فإنه لا أمان له عندي. فأرسل الحسن إليه إني لست مبايعا أو تؤمن الناس جميعا، وإلا لم أبايعك. قال: فأجابه معاوية إلى ذلك.

قال: فأقبل إليه الحسن فبايعه، فأرسل معاوية إلى الحسين بن علي فدعاه إلى البيعة، فأبى الحسين أن يبايع، فقال الحسن: يا معاوية! لا تكرهه فإنه لن يبايع أبدا أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى تقتل شيعته، ولن تقتل شيعته حتى يبيد أهل الشام. قال: فسكت معاوية عن الحسين ولم يكرهه.

- المادة الخامسة: أن لا يأخذ أحدا من أهل العراق بإحنة، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم، [الأخبار الطوال ص ٢١٨] وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم [هذا ما مر بالأصل هنا].

(١) في الأخبار الطوال ص ٢١٨: القتال بلا إمام، أو الدخول في طاعة معاوية.

(٢) يقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن الاستان العال لكونه في علو مدينة السلام (معجم البلدان).

ثم أرسل إلى قيس بن سعد فدعاه إلى البيعة، فأبى أن يبايع، فدعاه الحسن وأمره أن يبايع معاوية، فقال له قيس: يا بن رسول الله! إن لك في عنقي بيعة، وإني والله لا أخلعها أبدا حتى تكون أنت الذي تخلعها! فقال له الحسن: فأنت في حل وسعة من بيعتي، فبايع! فإني قد بايعت، فعندها بايع قيس لمعاوية. فقال له معاوية: يا قيس! إني قد كنت أكره أن تجتمع الناس إلي وأنت حي. فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن يصير هذا الأمر إليك وأنا حي (١).

قال: ثم انصرف الناس يومهم ذلك، فلما كان من الغد أقبل الحسن إلى معاوية حتى دخل عليه، فلما اطمأن بن المجلس قال له معاوية: أبا محمد! إنك قد جدت بشيء لا تجود به أنفس الرجال، ولا عليك أن تتكلم (٢) وتعلم الناس بأنك قد بايعت حتى يعلموا ذلك! قال الحسن: فإني أفعل.

ثم تكلم الحسن وقال (٣): أيها الناس! إن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرص (٤) رجلا جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدي محمد، وأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وكثركم به بعد القلة، وإن معاوية نازعني على حق هو لي دونه، فنظرت صلاح الأمة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإن معاوية واضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم، (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) (٥).

---

(١) كذا بالأصل، وفي الطبري ٦ / ٩٤ أن قيس بن سعد رفض مبايعة معاوية مع إخباره بتسليم الأمر إليه: " فأرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك. فاشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال... وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته ".

(٢) وفي مروج الذهب ٢ / ٤٧٩ أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بأن يتكلم أمام الناس لكي " يبدو عليه للناس بأن يتكلم بأمور لا يدري ما هي، ولم يزل به حتى أطاعه ".

(٣) الطبري ٦ / ٩٣ مروج الذهب ٢ / ٤٨٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٦٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٥ باختلاف النصوص.

(٤) في معجم البلدان: جابرس، وفي رواية: حابلص.

(٥) سورة الأنبياء الآية ١١١.

قال: ثم سكت، وقام عمرو بن العاص، فقال: يا أهل العراق! إنا كنا نحن وأنتم جميعا على كلمة هي السوى ففرق بيننا وبينكم الأهواء، ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا، فتداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة، يصلح لكم دينكم ودنياكم - والسلام -.

قال: ثم تكلم معاوية فقال: أيها الناس! إنه لم تتنازع أمة كانت قط من قبلنا في شيء من أمرها بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا هذه الأمة، فإن الله تعالى أظهر خيارها على أشرارها، وأظهر أهل الحق على أهل الباطل ليتم لها بذلك ما أسداها من نعمة عليها، فقد استقر الحق قراره، وقد كنت شرطت لكم شروطا أردت بذلك الألفة واجتماع الكلمة وصلاح الأمة وإطفاء النائرة، والآن فقد جمع الله لنا كلمتنا وأعز دعوتنا، فكل شرط شرطته لكم فهو مردود، وكل وعد وعدته أحدا منكم فهو تحت قدمي (١).

قال: فغضب الناس من كلام معاوية وضجوا وتكلموا، ثم شتموا معاوية وهموا به في وقتهم ذلك، وكادت الفتنة تقع، وخشي معاوية على نفسه فندم على ما تكلم به أشد الندم.

وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله

---

(١) أما بالنسبة لوفاء معاوية بالشروط والوعود التي قطعها على نفسه ووافق عليها في معاهدة الصلح التي مر ذكرها قريبا:

- بالنسبة للشرط الأول - المادة الأولى - فكان هو الشرط الوحيد الذي حظي بالوفاء من شروط المعاهدة.

- بالنسبة للشرط الثاني - المادة الثانية في المعاهدة - فثمة إجماع بين المؤرخين على نقضه (إن كان في نصه أن يؤول الأمر بعد معاوية إلى المسلمين يختارون من يشاؤون، أو إن كان يؤول - كما في بعض المصادر - إلى الحسن بن علي) وعهد معاوية من بعده - علنا - إلى ابنه يزيد.

- بالنسبة للشرط الثالث - المادة الثالثة في المعاهدة - فقد ورد في كتب السير والتاريخ ما حفلت به من سب علي على المنابر. وقد ورد في الطبري ٦ / ١٤١ في وصية معاوية للمغيرة بن شعبة لما ولاه الكوفة سنة ٤١: "... ولست تاركا إيصاءك بخصلة لا تتحم على شتم علي وذمه... ".

- بالنسبة للشرط الرابع - المادة الرابعة - لم يطبق، حيث أن أهل البصرة منعوا خراج دار أبجرد بحجة أنه من فيئهم بأمر معاوية. (ابن الأثير).

- بالنسبة للشرط الخامس - المادة الخامسة: وهو العهد بالأمان العام فهو أيضا لم ينفذ، حيث عانى رجالات الشيعة من السياسة الأموية المتعسفة والمتحيزة ضدهم.

فداك، ما ينقضي تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهدا وميثاقا في عقد طاهر، لكنه أعطاك أمرا بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت، والله ما أراد بهذا الكلام أحدا سواك. فقال له الحسن: صدقت يا مسيب! قد كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: أرى والله أن ترجع إلى ما كنت عليه وتنقض هذه البيعة، فقد نقض ما كان بينك وبينه! قال: ونظر الحسن بن علي إلى معاوية وإلى ما قد نزل به من الخوف والجزع، فجعل يسكن الناس حتى سكنوا، ثم قال للمسيب: يا مسيب! إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه، ولو أني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء. ولا أثبت عند الوغاء، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء، ولكني أردت بذلك صلاحكم وكف بعضكم عن بعض، فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

قال: فبينما الحسن بن علي يكلم المسيب بهذا الكلام إذا برجل من أهل الكوفة يقال له عبيدة بن عمرو الكندي قد دخل، وفي وجهه ضربة منكرة، قال: وعرفه الحسن فقال: ما هذا الذي بوجهك يا أخا كندة؟ قال: هذه ضربة أصابتني مع قيس بن سعد. فقال حجر بن عدي الكندي (١): أما والله لقد وددت أنك مت في ذلك ومتنا معك ثم لم نر هذا اليوم، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا.

قال: فتغير وجه الحسن ثم قام عن مجلس معاوية وصار إلى منزله، ثم أرسل إلى حجر بن عدي فدعاه، ثم قال له: يا حجر! إني قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كرأيك، وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن.

قال: فبينا الحسن يكلم حجر بن عدي إذا برجل من أصحابه قد دخل عليه يقال له سفيان بن الليل البهمي (٢) فقال له (٣): السلام عليك يا مذل المؤمنين، فلقد جئت بأمر عظيم، هلا قاتلت حتى تموت ونموت معك! فقال له الحسن: يا هذا!

---

(١) انظر مقالة حجر بن عدي وجواب الحسن بن علي (رض) عليه في الأخبار الطوال ص ٢٢٠.
(٢) الأخبار الطوال: سفيان بن ليلى.
(٣) في الأخبار الطوال أن القائل هو علي بن محمد بن بشير الهمداني.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم
يصعدون منبره واحدا بعد واحد، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا فقال: (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) (١) يقول: إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية (٢).
قال: فالتفت الحسين إلى أخيه الحسن فقال: والله لو اجتمع الخلق طرا على أن لا يكون الذي كان إذا ما استطاعوا، ولقد كنت كارها لهذا الأمر ولكني لم أحب أن أغضبك، إذ كنت أخي وشقيقي.
قال: فقال المسيب: أما والله يا بن رسول الله! ما يعظم علينا هذا الأمر الذي صار إلى معاوية، ولكنا نخاف عليكم أن تضاموا بعد هذا اليوم، وأما نحن فإنهم يحتاجون إلينا وسيطلبون المودة منا كلما قدروا عليه.
قال: فقال له الحسن: لا عليك يا مسيب! فإنه من أحب قوما كان معهم.
قال: ثم رحل معاوية وأصحابه إلى الشام، ورحل الحسن بن علي ومن معه إلى المدينة وهو عليل.

ذكر خبر أهل البصرة وما كان من خلافهم على معاوية

قال: وبلغ أهل البصرة ما كان من بيعة الحسن لمعاوية، فشغبوا وقالوا: لا نرضى أن يصير الأمر إلى معاوية. ثم وثب رجل منهم يقال له حمران بن أبان فتغلب على البصرة فأخذها، ودعا للحسين بن علي، وبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن [أبي] أرطاة وهو أخو بسر فضم إليه جيشا ووجه به إلى البصرة (٣). فأقبل عمرو في جيشه ذلك يريد البصرة، وتفرق أهل الشغب فلزموا منازلهم.
ودخل عمرو بن [أبي] أرطاة البصرة مغضبا وأقبل حتى نزل دار الإمارة، فلما

---

(١) سورة القدر الآيات ١ - ٣.
(٢) أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي (رض). قال القاسم بن الفضل الحداني: فعددناها فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما.
وذكر القرطبي أقوالا أخرى في تفسيرها. (تفسير القرطبي ٢٠ / ١٣٣).
وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٤٨.
(٣) في الطبري ٦ / ٩٦ وابن الأثير ٢ / ٤٢٥ بعث بسر بن أبي أرطأة.

كان من الغد دخل المسجد الأعظم ثم صعد المنبر، ثم إنه شتم علي بن أبي طالب وولده ثم قال: يا أهل البصرة! نشدت الله رجلا علم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني. قال: فوثب إليه رجل يكنى أبا بكرة فقال له (١): كذبت يا عدو الله! قد كان علي بن أبي طالب خير منك ومن صاحبك الذي ولاك علينا، فقال عمرو بن [أبي] أرطاة: خذوه! فبادرت إليه الجلاوزة ووثب رجل من بن ضبة (٢) فألقى نفسه عليه، ثم خلصه الناس وغيبوه فلم يقدر عليه (٣).

وأقام عمرو بن [أبي] أرطاة بالبصرة ستة أشهر، ثم عزله معاوية وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثمان بن عفان، فأقام بها أشهرا يسيرة، ثم عزله معاوية وولى مكانه زياد بن أبيه.

---

(١) ابن الأثير: اللهم لا نعلمك إلا كاذبا.

(٢) الطبري وابن الأثير: أبو لؤلؤة الضبي. وقد أقطعه أبو بكرة - بعد انقاذه - مائة جريب.

(٣) زيد في ابن الأثير أنه قيل لأبي بكرة: ما حملك على ذلك؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه؟

ذكر زياد بن أبيه حين كان مع علي
ابن أبي طالب وكيف ادعاه معاوية بعد ذلك
وزعم أنه أخوه
قال: وقد كان زياد بن أبيه بديا من أصحاب علي بن أبي طالب وقد كان علي ولاه أرض فارس، فأخذ قلاعها وتمكن منها، وبلغ ذلك معاوية فثقل عليه أمر زياد ومكانه من علي فكتب إليه: أما بعد فإنك رجل سفيه غرتك مني قلاع في يدك تأوي إليها، وإنما تأوي الطير إلى أوكارها، وأيم الله لو لا انتظاري فيك أمر لست منه بآئس لكنت أنا وأنت كما قال العبد الصالح سليمان بن داود: (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) (١) ثم أثبت في أسفل كتابه: هذه الأبيات (٢).

لله در زياد أيما رجل * لو كان يعلم ما يأتي وما يذر
أنى يكون له رأي يعاش به * وقد مضى خبر من بعده خبر
تنسى أباك عبيدا في سخافته * إذ تخطب الناس والوالي بها عمرو
فافخر بوالدك الأدنى ووالده * ان ابن حرب له في قومه خطر
وابعد ثقيفا فإن الله أبعدها * وليس يجمعها في أهلها مضر
والعقل مستطرف والرأي تجربة * فيه لصاحبه الإيراد والصدر

قال: فلما انتهى الكتاب إلى زياد بن أبيه قام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن من أعجب أن ابن آكلة الأكباد أوعدني،

---

(١) سورة النمل الآية ٣٧.
(٢) الأبيات في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٤١٠ باختلاف بعض الألفاظ.

وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار واضعو سيوفهم (١) على
عواتقهم لا يريدون إلا الله تبارك وتعالى، أما والله لو كتب إلى أمير المؤمنين يأذن لي فيه لوجدني ابن آكلة الأكباد بحيث يسوؤه.
قال: وبلغ عليا ما كتب به معاوية إلى زياد، فكتب إليه علي رضي الله عنه:
أما بعد فإني وليتك ما أنت فيه، وأنا أراك له أهلا، وإنك لن تضبط ما أنت فيه إلا بالصبر، فاستعن بالله وتوكل عليه وكن من خديعة معاوية على حذر - والسلام -.
قال: وكان هذا في حياة علي، فلما كان بعد ذلك وصار الأمر إلى معاوية
وبايعه الحسن واستوى له الأمر كان أحب أن يدعي زيادا لما قد علم بما عنده من الحزم والعزم، وجعل يكاتبه، فلما ادعاه (٢) اتصل ذلك بالحارث بن حكم وهو أخو مروان بن الحكم، قال: أما والله ما ادعى معاوية زيادا إلا ليتكثر به على بني
العاص بن أمية، لأنه إنما خاف من شغب مروان عليه في الخلافة، وأما أنا فإنه يخاف مني.
قال: وبلغ ذلك معاوية فكتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة:
أما بعد فقد بلغني قول أخيك الحارث بن الحكم إني خفت من شغبك علي في الخلافة، وأيم الله لقد وددت أنك أحق بهذا الأمر مني فسلمته إليك، وأيم الله

---

(١) العبارة في الأخبار الطوال ص ٢١٩: في تسعين ألف مدجج من شيعته أما والله لئن رامني ليجدني ضرابا بالسيف.
والعبارة في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨: واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت، أما والله لئن وصل إلي ليجدني أحمز، ضرابا بالسيف.
(٢) في مروج الذهب ٣ / ٧ وكان ذلك سنة ٤٤ حيث " شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي ومالك بن ربيعة السلولي ومنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه، وأن أبا سفيان قال لعلي
عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب:
أما والله لو لا خوف شخص * يراني يا علي من الأعادي
لبين أمره صخر بن حرب * ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكني أخاف صروف كف * لها نقم ونفي عن بلادي
فقد طالت محاولتي ثقيفا * وتركي فيهم ثمر الفؤاد
وشهادة أبي مريم السلولي، وكان أخبر الناس ببدء الأمر وذلك أنه جمع بين أبي سفيان وسمية أم زياد في الجاهلية على زنا. وكانت سمية من ذوي الرايات بالطائف تؤد الضريبة إلى الحارث بن كلدة.
وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨ - ٢١٩ والأخبار الطوال ص ٢١٩ والعقد الفريد ٥ / ٥ - ٦.

ليكفن الحارث بن الحكم عن بعض كلامه أو ليأتيه مني شيء لا قبل له به والسلام.
ثم كتب في أسفل كتابه هذه الأبيات:
إن مروان أبت لي رحمة * قطعة الدهر وفي المرء زلل
يأكل الخبز وفيه نخوة * واعتراض عن هوى وملل
منع المرء أخاه حارثا * بالتي يسحب أذيال الخطل
غره حكمي وحلمي شيمة * فارتقى فيما يسوى ونزل
أبلغ الحارث عني مالكا * كل شيء ما خلا صخرا جلل
فاطلب اليوم جفاي جاهدا * وارحل الناقة فيها والجمل
ثم لا تنزع عما سرني * أنني مر وحلو كالعسل
إن من سب زيادا مرة * شرب الدهر عليه وأكل
عرضه عرضي وشيخي شيخه * ولهذا الدهر في الناس دول
قال: فلما نظر مروان إلى كتاب معاوية دعا بأخيه الحارث بن الحكم فقال له: هلكت وأهلكت: إن معاوية قد ادعى زيادا وهذا كتابه إلي فارحل إليه تائبا ومعتذرا ولا تقم، فو الله ما رجع معاوية حتى كاد أن لا يرجع.
قال: فرحل الحارث بن الحكم من المدينة حتى قدم على معاوية، فلما دخل وسلم رد عليه معاوية السلام ثم أمره بالجلوس، فجلس فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لو استقبلتنا من أمر زياد الذي استدبرناه منه لاتبعنا هواك فيه، وزياد أخونا وأخوك - والسلام -. قال: فضحك معاوية ثم قال: أحسنت يا حارث! ثم أمر له معاوية بجائزة سنية، فأنشأ يقول:
إن من يقطع فينا رحمة * فابن هند اليوم فينا قد وصل
غفر الذنب وأعطى عتبه * فكأن ما كان منا لم يقل
سن في حي قريش سنة * وضع التاج عليها فاعتدل
عبشمي (١) أموي ملكه * آفة النحل وتسريب العلل
وله كف بها في عدله * آفة المال وتقويم الميل
لو إلينا منتهى آجالنا * لفديناه وزدنا في الأجل

---

(١) عبشمي نسبة إلى بني عبد شمس.

قد وهبنا لزياد عرضه * وأرحنا عنه ما كان سأل

قال: فكانت هذه قصة زياد مع معاوية لما ادعاه أخا، فلما كان من أمر البصرة ما كان، دعاه معاوية فولاه إياها وأمره بالعدل والإنصاف وحذره الشكوى، فقال زياد: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فلما ولى زياد البصرة حذر الناس نفسه، وألزمهم طاعة معاوية، وجرد السيف، وأخذ بالظنة وعاقب بالشبهة.

قال: فخاف الناس في إمارة زياد خوفا شديدا حتى أمن بعضهم من بعض، فكان ربما سقط الشيء من الرجل والمرأة فلا يتعرض (١) إليه أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه.

قال: وكانت المرأة تبيت في منزلها فلا تغلق بابها، ولا تخاف لصا يدخل إليها.

قال: فأقام زياد بالبصرة مدة وساس أهلها سياسة لم يروا مثلها، وهابه الناس هيبة شديدة، فأحبه الأخيار ونفر عنه الأشرار، فأنشأ حارثة بن بدر الغداني (٢) في ذلك يقول (٣):

ألا من مبلغ عني زيادا * فنعم أخو الخليفة والأمير

أخوك خليفة الله ابن صخر (٤) * وأنت وزيره نعم الوزير

وأنت إمام معدلة وقصد * وحزم حين يحضرك الأمور

تصيب على الهوى منه ويأتي (٥) * محبك ما يجن لنا الضمير

بأمر الله منصور مغاث (٦) * إذا كان الرعية لا تجور (٧)

---

(١) في الطبري ٦ / ١٢٦ يعرض.

(٢) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطين بن غدانة بن يربوع (ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٨ / ١٣٣) وسياق نسبه في الجمهرة لابن الكلبي: حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع.

(٣) الأبيات في الطبري ٦ / ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) في الطبري: ابن حرب.

(٥) عن الطبري، وبالأصل: وتأبى محبة ما تضمنه الضمير.

(٦) الطبري: معان.

(٧) بعده في الطبري:

وتقسم بالسواء فلا غني * لضيم يشتكيك ولا فقير
فكنت حمى وجئت على زمان * بعدل ظاهر منه الشرور (١)
تقاسمت الرجال به هواها * فما تخفى ضغائنها الصدور
وخاف الجاحدون (٢) وكل باد * يقيم على المخافة أو يسير
فلما قام سيف الله فيهم * زياد قام (٣) أبلج مستنير (٤)

ذكر خطبة زياد بالبصرة وهي الخطبة التي لم يسبقه إلى مثلها أحد من أمراء البصرة (٥)

قال: ثم إن زيادا نادى في أهل البصرة فجمعهم، فلما تكاملوا في المسجد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الجهالة (٦) الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لأهله النار (٧) والنامي عليه علق الشنار ما يأتي به سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام التي هي يشيب منها (٨) الصغير ولا يتحاشى (٩) منها الكبير، كأن لم تسمعوا نبي الله، ولم تعرفوا كتاب الله، ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته (١٠) في اليوم

= يدر على يديك لما أرادوا * من الدنيا لهم حلب غزير

(١) البيت في الطبري:
وكنت حيا وجئت على زمان * خبيث ظاهر فيه شرور

(٢) الطبري: الحاضرون.

(٣) عن الطبري، وبالأصل: نام.

(٤) بعده في الطبري:
قوي لا من الحدثان غر * ولا جزع ولا فان كبير

(٥) هذه الخطبة وردت في الطبري (حوادث سنة ٤٥) ابن الأثير ٣ / ٤٤٧ أنساب الأشراف ٤ / ١ / ١٧٩ البيان والتبيين ٢ / ٧١ عيون الأخبار ٢ / ٢٤١ النوادر للقالي ٣ / ١٨٥ العقد الفريد ٤ / ١٠١ باختلاف بين النصوص، وتقديم وتأخير، وزيادة ونقصان.

(٦) بالأصل: الجاهلية " وما أثبتناه عن المصادر.

(٧) في البيان والتبيين " والغي الموفي بأهله على النار " وفي العقد: " العمى الموفي... " وفي ابن الأثير " الفجر الموقد... " وفي أنساب الأشراف: " والغي المورد أهله النار ".

(٨) المراجع: ينبت فيها.

(٩) أنساب الأشراف: ينحاش.

(١٠) في أنساب الأشراف: في الدار التي لا تزول شدتها ورخاؤها.

السرمد الذي لا يزول، بل قد اخترتم (١) الفانية على الباقية، و [لا تذكرون أنكم] أحدثتم في الإسلام [الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم] هذه المواخير المنصوبة، وغفلتم من الضعيفة المسلوبة (٢)، ألم تكن منكم نهاة تمنع هؤلاء الغواة عن دلج الليل وغارة النهار (٣)، كل امرئ يذب عن سفيهه صنيع (٤) من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا، فهيهات هيهات لما توعدون! ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم (٥) السفهاء، فحرام (٦) على زياد الطعام والشراب أو أسوي مدينتكم بالأرض هدما وإحراقا، فإني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح عليه أوله لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وأقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن (٧)، والمقبل بالمدبر، والصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول له: انج سعد فقد هلك سعيد (٨)، أو تستقيم لي قناتكم، واعلموا أن كذبة الأمير مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي (٩)، يا أهل البصرة! إنه من يبيت (١٠) منكم في منزله فلا يغلقن بابه، فأنا الضامن لما ذهب له، وإياكم ودلج الليل، فإنه لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك إلى أن يرد علي الخبر (١١) من أمير المؤمنين، فأعمل فيكم بما تسمعونه مني، وإياكم ودعاء الجاهلية يا آل فلان ويا آل بني فلان، فإن لا أوتى بأحد دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد رأيتكم أحدثتم أحداثا لم تكن فيكم، وقد أحدثت لكل ذنب عقوبة. فمن أغرق (١٢) قوما أغرقناه،

---

(١) في المراجع: أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية...
(٢) في العقد: المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل.
(٣) زيد في المراجع: قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون (تغطون) على
المختلس.
(٤) بالأصل: لصنيع.
(٥) بالأصل: اتبعتكم، أثبتنا عن المراجع.
(٦) في العقد: فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم، كنوسا في مكانس الريب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما واحراقا.
(٧) عن المراجع، بالأصل: بالضاعن.
(٨) مثل. يضرب في العناية بذي الرحم ويضرب في الاستخبار عن الأمرين الخير والشر أيهما وقع. (اللسان: سعد).
(٩) زيد في البيان: وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في واعلموا أنه عندي أمثالها.
(١٠) في العقد والبيان: من نقب منكم عليه فأنا ضامن... ".
(١١) العقد: يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم.
(١٢) المراجع: غرق قوما غرقناه.

ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا، فكفوا عن (١) أيديكم وألسنتكم أكف عنكم لساني ويدي، ولا يظهرن لي من أحد منكم خلاف فأضرب عنقه، واعلموا أنه قد كانت بيني وبين قوم إحن وعداوة وشحناء، وقد جعلت ذلك كله خلف أذني وتحت قدمي، فمن كان مسيئا (٢) فلينزع عن إساءته، فإننا قد (٣) أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بتقوى (٤) الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف كما وفينا فأوفوا لنا بطاعتنا تستوجبوا بذلك عدلنا (٥)، واشربوا قلوبكم محبة ولاتكم فإنهم ساستكم المؤدبون وكنفكم (٦) الذي إليه تلجأون وتأوون ولا تشربوا قلوبكم بغضنا فيشتد لذلك غيظكم (٧) ويطول لذلك حزنكم (٨) - أسأل الله أن يعين كلا منا على كل (٩)، وأستغفر الله العظيم لي ولكم -.

قال: فلما فرغ زياد بن خطبته هذه وثب إليه رجل من أهل البصرة يقال له عبد الله بن الأهتم (١٠) فقال: أيها الأمير! أشهد أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب! فقال له زياد: كذبت، ذاك نبي الله داود عليه السلام (١١).

---

(١) العقد: عني.

(٢) المراجع: فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه ومن كان مسيئا...

(٣) قبلها في المراجع: إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإن فعل ذلك لم أنظره، فاستأنفوا أموركم، واستعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

(٤) العقد: بفيء.

(٥) العبارة في العقد: فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أنه مهما أقصر عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم.

(٦) العقد: وكفهكم.

(٧) العقد: أسفكم.

(٨) زيد في العقد: ولا تدركوا له حاجتكم، مع أنه لو أستجيب لكم فيهم لكان شرا لكم.

(٩) زيد في العقد: وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمرا فأنفذوه على أذلاله. وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.

(١٠) في أمالي القالي " صفوان بن الأهتم " وهو ابن عبد الله. وفي عيون الأخبار نعيم بن الأهتم. وما أثبتناه يتوافق مع الطبري وابن الأثير والبيان والتبيين والعقد الفريد، وهو موقف يتطلب الجرأة والشجاعة وهذا متوفر بعبد الله.

(١١) زيد في العقد الفريد ٤ / ١٠٣ مقالتين للأحنف بن قيس ولأبي بلال مرداس بن أدية.

ثم نزل زياد عن المنبر ودخل إلى منزله، واستقامت له البصرة. وكان يجيء منها ومن كورتها ستون ألف ألف درهم، ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف، وينفق في البنيان وما يحتاج إليه من العمارة وغير ذلك ألفي ألف، ويدخر في بيت المال ألف ألف درهم، ويوجه باقي ذلك إلى معاوية.

قال: ونظر معاوية إلى عدل زياد بالبصرة، فزاده الكوفة وضمها إليه وجعلها زيادة في عمله (١). قال: فكان زياد يقيم ستة أشهر بالبصرة وستة أشهر بالكوفة.

ذكر أخبار خراسان في أيام معاوية بن أبي سفيان

قال: ثم دعا معاوية برجل يقال له خالد بن المعمر السدوس، فعقد له عقدا وعزم على أن يوجهه إلى بلاد خراسان. قال: وكان خالد بن المعمر هذا من خيار أصحاب علي بن أبي طالب ممن قاتل معه بصفين، فلما قتل علي وكان من أمر الحسن ما كان واستوسق الأمر لمعاوية قدم عليه خالد بن المعمر هذا والأعور بن عبد الله الشني، فاستأذنا (٢) على معاوية، فأذن لهما، فلما دخلا وسلما رد عليهما معاوية ردا ضعيفا، ثم أمرهما بالجلوس فجلسا، وجعل معاوية يذكر ما كان من قتالهما بصفين، فأمسكا عنه حتى فرغ من كلامه، ثم رفع خالد صوته وأنشأ يقول (٤):

معاوي لا تجهل علينا فإننا * نذلك في اليوم العصيب معاويا
متى تدع منا دعوة ربعية * تجبك رجال يخضبون العواليا
أجابوا عليا إذ دعاهم لنصره * بصفين إذ جروا عليك الدواهيا
فإن تصطنعنا يا بن حرب لمثلها * نكن خير من تدعو إذا كنت داعيا
ألم ترني أهديت بكر بن وائل * إليك وكانوا بالعراق أفاعيا
إذا نهشت قال السليم لأهله * ألا فابتغي لي لا أبالك راقيا

---

(١) وكان ذلك سنة ٤٩ ه وقبل سنة ٥٠ ه وذلك بعد موت المغيرة. وكان زياد أول من جمع له الكوفة والبصرة. ثم جمعت لابنه عبيد الله، ولم تجتمع العراق قط لقرشي غيرهما.
وقد كتب بعد زياد إلى معاوية: إني قد أخذت العراق بيميني، وبقيت شمالي فارغة، وهو يعرض بالحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر (رض) فقال: اللهم اكفنا شماله، فعرضت له قرحة في شماله فقتلته (وانظر مروج الذهب ٣ / ٣٢).

(٢) بالأصل، وفي الخبر كله، استعمل صيغة الجمع، قمنا بتصحيحه.

(٣) مرت الأبيات، راجع حوادث وقعة صفين.

فأصبحت قد أهدوا ثمار قلوبهم * إليك وأسرار القلوب كما هيا
وكنت امرءا أهوى العراق وأهلها * وكنت حجازيا ولم أك شاميا
فلا تجفنا واجمع إليك قلوبنا * فإنك ذو حلم ولم تك جافيا
ودع عنك شيخا قد مضى لسبيله * على أي حاليه مصيبا وخاطئا
فإنك لا تسطيع رد الذي مضى * ولا دافعا شيئا إذا كان جائيا

قال: فقال له معاوية: يا بن المعمر! فإني قد صفحت عن الذي كان، يا غلام! احمل إلى رحمة ثلاثين ألف درهم يفرقها في بني عمه، وعشرين ألف درهم خاصة له، واحمل إلى ابن عمه الشني مثل ذلك - جرى ذكر هذه القصة مرة (١) فتكرت لأجلها.

قال: فلما كان ذلك اليوم دعا معاوية بخالد بن المعمر السدوسي، فعقد له عقدا وعزم على أن يوليه بلاد خراسان، قال: وأقبل سعيد بن عثمان بن عفان حتى دخل على معاوية.

ذكر ولاية سعيد بن عثمان خراسان (٢)

قال: فلما دخل سعيد بن عثمان على معاوية قربه، وأدناه ثم قال: يا سعيد! ما هذا الذي بلغني عنك وعن أهل المدينة؟ قال: وما ذاك؟ قال: بلغني أنهم يقولون:

والله لا ينالها يزيد * حتى يعض هامه الحديد
هذا ابن هند عندنا شهيد * إن الإمام بعده سعيد

كأنك يا سعيد أحق بهذا الأمر من ابني يزيد! فقال له سعيد: وما تنكر من ذاك يا معاوية؟ فو الله إن أبي خير من أب يزيد، وأمي لخير من أم يزيد، ولأنا خير من يزيد، ومع ذلك فإننا ولياناك فما عزلناك، ورفعناك فما وضعناك، ثم صارت هذه

---

(١) راجع حوادث وقعة صفين، وقد مرت القصة تحت عنوان: حديث خالد بن المعمر السدوسي وصاحبه الأعور الشني مع معاوية.

(٢) وكان ذلك سنة ٥٦ ه. وانظر خبر سعيد مع عثمان في الطبري باختلاف وفيه أن سعيد بن عثمان هو الذي طلب ولاية خراسان من معاوية بن أبي سفيان، فاحتج بوجود عبيد الله بن زياد عليها ثم عاد وو لاه حربها بعد تدخل يزيد ابنه لمصلحة سعيد بن عثمان.

الأمور كلها إليك وفي يديك، فأخرجتنا عن جميع ذاك (١). قال: فتبسم معاوية ثم قال: يا بن أخ! أما قولك إن أباك خير من أب يزيد، فصدقت، يرحم الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان، كان والله خيرا مني (٢)، لا أشك في ذلك، وأما قولك إن أمي خير من أم يزيد، فصدقت، إن امرأة من قريش خير من امرأة من اليمن (٣)، وحسب امرأة أن تكون من صالحي قومها، وأما قولك بأنك خير من يزيد، فو الله (٤) يا بن أخ! ما يسرني أن حبلا مدلى فيما بيني وبين العراق فنظم لي فيه أمثالك بيزيد، ولكن اذهب فقد وليتك بلاد خراسان، فسر إليها فعسى الله أن يفتحها على يديك.

قال: ثم عقد معاوية له عقدا، وكتب إلى البصرة إلى زياد بن أبيه (٥) يأمره أن يفرض لسعيد فرضا وأن يقويه بالمال والسلاح، وأن لا يجعل له في ذلك علة، وأن يبعث معه على الخراج رجلا حازما يجبي (٦) عليه المال ويحفظه.

قال: فلما سمع سعيد بن عثمان الخروج من الشام إلى البصرة أقبل إليه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأخوه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: هذا كتابي إلى وكيلي بالبصرة. فخذه فادفعه إليه، وخذ ما يعطيك فاستعن بذلك على سفرك، فقد كتبت إليه بمعونتك.

قال: فأخذ سعيد بن عثمان كتاب معاوية وكتاب ابن أبي بكرة وسار حتى قدم البصرة، فدفع كتاب معاوية إلى زياد (٧)، فلما قرأه قال: سمع وطاعة، ثم أمر

---

(١) العبارة في الطبري (حوادث سنة ٥٦): فقال: أما لقد اصطنعك أبي ورفاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجارى إليه ولا يسامى، فما شكرت بلاءه، ولا جازيته بآلائه وقدمت علي هذا - يعني يزيد.

(٢) زيد في الطبري، وأقرب برسول الله (ص).

(٣) الطبري: من كلب.

(٤) الطبري: فو الله ما أحب أن الغوطة دحست ليزيد رجالا مثلك.

(٥) كذا بالأصل، قلت: وقد ولى معاوية سعيد بن عثمان خراسان سنة ٥٦ ه أما زياد بن أبيه فكان قد مات سنة ٥٣ ه بالكوفة (تاريخ خليفة ص ٢١٩). وقد ولى على البصرة بعد زياد عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي الذي حل بدلا من سمرة بن جندب الذي استخلفه عليها زياد. ثم ولي عليها عبيد الله بن زياد سنة ٥٥.

(٦) في الطبري أن معاوية ولي سعيد حرب خراسان، وولى إسحاق بن طلحة خراجها وكان إسحاق ابن خالة معاوية، فلما صار بالري مات إسحاق فولى سعيد خراج خراسان وحربها.

(٧) لعله عبيد الله بن زياد، انظر الحاشية ٥.

فعرض عليه أهل السجون والدعار ومن يصلح للحرب، فانتخب سعيد بن عثمان منهم أربعة آلاف رجل، كل رجل يعد برجال. قال: فالتأم الناس إلى سعيد بن عثمان ممن يريد الجهاد، فصار سعيد في جيش كثير، وقواه زياد بأربعة آلاف ألف درهم، فقبضها سعيد وفرقها في أصحابه.

ثم دعا بوكيل عبد الله بن أبي بكرة ثم دفع إليه كتاب صاحبه، فلما قرأه قال: نعم والله وكرامة! إنه قد أمرني أن أجهزك بمائتي ألف درهم إلى أربعمائة ألف درهم. قال: فقال له سعيد بن عثمان: ويحك! لعلك أوهمت، هذا كثيرا جدا؟ فقال له الوكيل: ما أوهمت، بذلك كتب إلي، فخذ حاجتك ودعني وصاحبي.

قال: فبقي سعيد بن عثمان لا يدري ما يقول: فقال له مولى له: اقتصر، جعلت فداك على جائزة ابن أبي بكرة ولا نرد ولاية خراسان. فقال له سعيد: الآن اقتصر وقد اجتمع إلي الناس ورغبوا في الجهاد؟ ثم أخذ سعيد بن عثمان من وكيل ابن أبي بكرة ما أمره به ونادى فيهم بالرحيل.

ذكر مسير سعيد بن عثمان إلى خراسان

وخبر مالك بن الريب (١) المازني

قال: ثم خرج سعيد بن عثمان من البصرة ومعه وجوه الناس (٢) وسادات العرب، فأخذ على طريق فارس، فلما دخلها أقبل إليه مالك بن الريب (٣) المازني، وكان من أجمل العرب، وأشدهم بأسا، وأفصحهم لسانا.

وكان السبب الذي صار به مالك به الريب (١) إلى فارس أنه كان قبل ذلك يقطع الطريق بناحية المدينة مع أصحاب له، قال: فطلبه مروان بن الحكم، ومروان يومئذ نائب معاوية على المدينة، فطلبه الحارث بن حاطب الجمحي وهو أيضا عامل

---

(١) عن الطبري ٦ / ١٧١ وفتوح البلدان ص ٤٠٣ والأغاني ٢٢ - ٢٨٦ وانظر فيها سياق نسبه. وبالأصل: الذئب.

(٢) في الطبري ٦ / ١٧١: خرج معه أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، والمهلب بن أبي صفرة وربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع.

(٣) بالأصل: الذيب.

مروان، فهرب مالك بن الريب (١)، ووجه الحارث بن حاطب في طلبه، وطلب أصحابه برجل من الأنصار، قال: فظفر به الأنصار فأخذه وأخذ معه رجلا من أصحابه يكنى أبا حردبة (٢) مع غلام له، فجعل الغلام يسوقهم. قال: وغلام الأنصاري يومئذ متقلد بسيفه، فتعلق به مالك بن الريب كيما ينزع منه السيف، ثم ضربه على رأسه فقتله، ومضى هاربا حتى قدم البحرين، وصار منها إلى فارس ثم أنشأ يقول (٣):

أحقا على السلطان أما الذي له * فيعطي وأما من (٤) أراد فيمنع
إذا ما جعلت الرمي (٥) بيني وبينه * واعراض شهب دون نيرين تلمع (٦)
وأرض فلاة قد يحار بها القطا * تظل رياح دونها تتقطع (٧)
فشأنكم يا آل مروان فاطلبوا * سقاطي وهل في ذاك أمر ومطمع (٨)
فما أنا بالمرء المقيم لأهله * على القيد في بحبوحة الظلم يرفع (٩)
فلا ورسول الله إذ كان منكم * تبين من بالنصف يرضى ويقنع

قال: فلما نظر سعيد بن عثمان إلى مالك بن الريب أعجبه ما رأى من حسنه وجماله وهيبته، فقال له: ويحك يا مالك! ما الذي يدعوك إلى ما بلغني عنك من قطع الطريق والفساد في الأرض؟ فقال (١٠): أصلح الله الأمير يحملني على ذلك العجز عن مكافأة الإخوان. قال له سعيد: فإن أغنيتك عن ذلك واستصحبتك أتكف عما تفعله وتعينني بنفسك وتجاهد معي العدو؟ فقال مالك بن الريب، نعم أصلح الله الأمير وأشكرك على ذلك. فقال سعيد: فإني قد جعلت لك في كل شهر

---

(١) مرت الإشارة إليه.
(٢) وهو أحد بني أثالة بن مازن.
(٣) الأبيات في الأغاني ٢٢ / ٢٩١.
(٤) الأغاني: ما يراد.
(٥) الأغاني: الرمل.
(٦) الأغاني: وأعراض سهب بين يبرين بلقع.
(٧) البيت في الأغاني:
من الأدمى لا يستجم بها القطا * تكل الرياح دونه فتقطع
(٨) الأغاني: سقاطي فما فيه لباغيه مطمع.
(٩) الأغاني: الضيم يرتع.
(١٠) الأغاني ٢٢ / ٢٨٦: يدعوني إليه العجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الاخوان.

خمسمائة درهم تصنع بها ما تشاء، وكسوتك وحملاتك علي ويدك مع يدي. قال مالك بن الريب: فإني قد رضيت بذلك (١).

قال: وسار سعيد بن عثمان بن فارس ومعه مالك حتى صار إلى نيسابور: وبها يومئذ نفر من المسلمين من بقايا أصحاب عبد الله بن عامر بن كريز، فصاروا إلى سعيد بن عثمان، وفرض لهم فرضا وخلطهم بأصحابه، وأقام بنيسابور شهرا كاملا حتى أخذ جزية أهلها، ففرقها في أصحابه.

ثم سار من مرو يريد سمرقند، فصار إلى نهر بلخ، فنزل على شاطئه ثم أمر بعقد الأطواف، فعقدت، ونادى في الناس أن يعبروا فعبروا، وعبر سعيد بن عثمان في أول الناس (٢) وتبعه أصحابه، فجعلوا يعبرون على الأطواف وسعيد ينظر إليهم، حتى عبروا بأجمعهم.

قال: وصاح رجل منهم بغلام له: يا علوان! وصاح آخر: يا ظفر! فقال سعيد بن عثمان: علونا وظفرنا إن شاء الله.

قال: وسار سعيد حتى صاروا إلى بخارا، فنزل على أبوابها. قال: وببخارا ملكة يقال لها يومئذ خيل خاتون (٣)، وقد كان زوجها قبل ذلك ملك بخارا، فلما مات زوجها ملكها أهل بخارا على أنفسهم.

قال: فعزم سعيد بن عثمان على محاربتها، فأرسلت إليه فصالحته على ثلاثمائة ألف درهم (٤) وعلى أنها تسهل له الطريق إلى سمرقند. قال: فقبل سعيد ذلك منها، وأخذ منها ما صالحته عليه وأخذ منها رهائن أيضا عشرين غلاما من أبناء ملوك بخارا كأن وجوههم الدنانير، ثم بعثت إليه بالهدايا ووجهت معه الأدلاء يدلونه على طريق سمرقند.

فسار سعيد بن عثمان من بخارا والأدلاء بن يديه يدلونه على الطريق الذي

---

(١) وكان قد قيل لسعيد بن عثمان أن هاهنا قوما يقطعون الطريق على الحاج ويخيفون السبيل، فلو أخرجتهم معك، قال: فأخرج قوما من بني تميم، منهم مالك بن الريب المازني في فتيان كانوا معه (الطبري ٦ / ١٧٢).

(٢) في فتوح البلدان ص ٤٠١: وكان سعيد بن عثمان أول من قطعه بجنده.

(٣) في فتوح البلدان ص ٤٠١: خاتون.

(٤) في فتوح البلدان ص ٤٠١: ألف ألف درهم.

يوصله إلى سمرقند - فنزل على سمرقند وبها يومئذ خلق كثير من السغد (١)، قال: فخرج إليهم السغد ودنا بعضهم من بعض، فاقتتلوا قتالا شديدا.
قال: وجعل ملك السغد أخشيد بن شارك يحرض أصحابه على الحرب، والناس يقتتلون قتالا شديدا. قال: وخرج رجل من السغد على برذون له أصفر، فجعل يدعو الناس إلى البراز، قال: فتطاطأ الناس عنه وتحاموه، فقال مالك بن الرب، أيها المسلمون! ما الذي يقول هذا العلج؟ قالوا: يدعو إلى البراز، قال: أفما منكم من يجيبه؟ فقال مالك بن الريب: فهذه والله لفضيحة! فقال له بعض أصحابه: فهل عندك شيء يا مالك؟ فقال مالك: إني سأبكي نفسي في مثل هذا اليوم. ثم قنع فرسه وخرج نحو العلج وهو يقول:

ألا أيها البراز بقرنى... (٢) * أساقيك بالطعن الذعاف المقشبا
فأي فتى في الحرب والموت سيبه * على شاربيه فاسقني منه واشربا
ودونكها نجلاء ينضح فرعها * نجيعا دما من داخل الجوف متعبا
حباك بها من لا يصرد كأسه * إذا ما سقاها من إلى الموت ثوبا
أخو غمرات لا يروع لجأشه * إذا الموت بالموت ارتدى وتعصبا
يباشر في الحرب السيوف ولا يرى * لمن لا يباشرها إلى الموت مهربا
أغر نماه مارن بفعاله * فكان نجيب الأمهات فأنجبا

قال: ثم حمل مالك على ذلك السغدي، والتقيا بطعنتين طعنه السغدي طعنة، فوقعت في قربوص مالك، وسقط مالك إلى الأرض، فوثب مسرعا ورمحه في يده، فطعن السغدي طعنة رمى به عن فرسه إلى الأرض، وذهب السغدي يقوم، فبادر إليه مالك فاحتمله من الأرض حملا وجمل يعدو به حتى رمى به بين يدي سعيد بن عثمان. فقال سعيد: أحسنت! لله درك! خذه إليك فاصنع به ما أحببت. فأخذه مالك فباعه بأربعمائة درهم، وباع برذونه وسلاحه بثمانمائة درهم.
قال: واشتبك الحرب بين المسلمين وبين أهل سمرقند يومهم ذلك إلى الليل، ثم انصرف بعضهم بن بعض. قال: ودامت الحرب بين القوم شهرا

---

(١) السغد، وربما قيلت الصغد. وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند.
(٢) كذا بالأصل.

كاملا (١)، حتى قتل منهم سعيد بن عثمان مقتلة عظيمة وسبى منهم كثيرا. قال: وجعل ما لك يفعل في كل يوم بين يدي سعيد من الأفاعيل ما تعجب منه المسلمون، فلا يرى أن سعيد بن عثمان يزيده في أرزاقه شيئا فأنشأ يقول:

يا قل خير أمير زلت أتبعه * ألست ترهبني أم زلت ترجوني
منيتموني أمانيا قنعت بها * حتى إذا ما جعلتم مقنعا دوني
كانت أمانيكم ريحا شآمية * ظلت بمختلف الأرواح تؤذيني
فإن وقعت لجنب الرمل منقصفا * أوليت كل امرئ ما كان يوليني

قال: فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فلم يلتفت إلى ذلك، فأنشأ مالك وجعل يقول (٢):

سعيد بن عثمان أمير مروع * تراه إذا ما عاين الحرب أخزرا
وما زال يوم السغد يرعد خائفا * من الروع حتى خفت أن يتنصرا (٣)
فلولا بنو حرب لهدت عروشكم (٤) * بطون العظايا من كسير وأعورا
وما كان من عثمان شيء علمته * سوى نسله في عقبه (٥) حين أدبرا

قال: فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فهم بقتله، ثم إنه راقب فيه عشيرته، فأكرمه ووصله بصلة سنية واعتذر إليه، فقبل مالك ذلك.

وأقام سعيد على سمرقند لا يفتر من حرب القوم، وعلم أنه لا يقدر على فتحها بالسيف فعزم على صلحهم، قال: وطلب أهل سمرقند أيضا الصلح (٦)، فصالحهم

---

(١) في فتوح البلدان ص ٤٠١: فقاتل أهلها ثلاثة أيام وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث. ثم لزم العدو المدينة وقد فشت فيهم الجراح، وأتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم فسار إليهم وحصرهم (انظر الطبري ٦ / ١٧١).

(٢) الأبيات في الطبري، باستثناء البيت الأول، ٦ / ١٧١.

(٣) البيت في الطبري:
ما زلت يوم الصغد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت أن تتنصرا

(٤) الطبري: لظلت دماؤكم.

(٥) الطبري: رهطه.

(٦) في فتوح البلدان ص ٤٠٢: فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة ويقتل من فيه طلبوا الصلح.

على خمسمائة (١) ألف درهم وعلى أنهم يفتحون له باب المدينة، فيدخل من باب ويخرج من باب، ثم ينصرف عنهم. فرضي القوم بذلك، وأعطاه أخشيد ملك سمرقند ما صالحه عليه، ثم فتح له باب المدينة (٢)، فدخلها سعيد في ألف فارس، وسار في شارع واحد حتى خرج من الباب الآخر، ثم صار إلى عسكره، ووافته هدايا أهل سمرقند فقبلها، ثم وضع العطاء لأصحابه فأعطاهم، وتزود (٣) القوم.

ورحل سعيد بن عثمان عن باب سمرقند إلى بخارا، فأقام على بابها أياما، ثم بعثت إليه ملكة بخارا أنك قد صرت إلى حاجتك وقد وفيت لك بمال الصلح، فرد علي رهائني فإنهم غلمان من أبناء ملوك بخارا، فأبى سعيد أن يردهم عليها.

ثم رحل حتى صار إلى نهر بلخ فنزل عليه وعقدت له الأطواف فعبر وعبر أصحابه وسار حتى صار إلى مرو فنزلها.

ومرض مالك بن الريب بمرو مرضا شديدا (٤)، فأيقن بالموت وعلم أنه غير راجع إلى بلده، فقال القصيدة التي تعد في جياد المراثي وهي (٥):

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي (٦) الغضا أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه * وليت الغضا ماشي الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا [الغضا] (٧) * مزار ولكن الغضا ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى * وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا

فذكروا أنه مات بمدينة مرو وقبره بها معروف.

---

(١) فتوح البلدان: سبعمائة ألف درهم.

(٢) زيد في فتوح البلدان: وأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم، وقيل أربعين ويقال ثمانين.

(٣) الأصل: وتزودوا.

(٤) كذا بالأصل والأغاني، وفي العقد الفريد ٣ / ٢٠٨ أنه لما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه، فإذا بأفعى في داخلها فلسعته.

وذكر القالي في الأمالي ٣ / ١٣٥ أسبابا أخرى. وانظر خزانة الأدب ١ / ٣١٩.

(٥) القصيدة في العقدة الفريد ٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ والأمالي للقالي ٣ / ١٣٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٤٣

(قال: وهي ٥٣ بيتا، وقال أبو عبيدة - نقله صاحب الأغاني -: الذي قاله ١٣ بيتا والباقي منحول: ولده الناس عليه) وانظر الشعر والشعراء وفيه تسعة أبيات.

(٦) جمهرة أشعار العرب: بجنب الغضا.

(٧) عن جمهرة أشعار العرب. وغير واضحة بالأصل.

قال: ونقل سعيد بن عثمان من بلاد خراسان وقد ملأ يداه من الأموال، حتى إذا صار إلى المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى معاوية يستعفيه من ولاية خراسان،
فعلم معاوية أنه استظهر بالأموال فأعفاه (١). قال: وعمد سعيد إلى الرهائن الذين حملهم من بخارا فجعلهم فلاحين في نخل له وحرث بالمدينة، فغضبوا لذلك واتفقوا وأجمعوا على قتل سعيد، قال: وجاءهم سعيد يوما لينظر إلى نخلة، فوثبوا عليه فقتلوه بخناجر كانت معهم، ثم هربوا فصاروا إلى جبل هناك فتحصنوا فيه، وبلغ ذلك أهل المدينة وساروا إليهم وحاصروهم في ذلك الجبل حتى ماتوا فيه جوعا وعطشا.
قال: فأخرجت ابنة لسعيد جارية له حسناء فزينتها بكل زينة ثم قالت: من يرثي لي أبي ببيتين يقعان (٢) من قلبي فله هذه الجارية بحليها! قال: فاجتمع (٣) إليها شعراء بالمدينة فقالوا فلم يصنعوا شيئا، حتى جاء رجل من عبد القيس يقال له خالد بن عبد الله فقال: أنا أقول ما يعلق بقلبك! فقالت: قل حتى أسمع! فأنشأ يقول:

يا عين أذري دمعة * وأبكي الشهيد ابن الشهيد
فلقد قتلت بغرة * وجلبت حتفك من بعيد

قال: فرضيتهما ابنة سعيد ووصلته بالجارية وما عليها.

ذكر فتوح خراسان أيضا بعد سعيد بن عثمان

قال: وبقيت خراسان ليس بها نائب، فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه (٤) بالبصرة يأمره أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها. فدعا زياد بغلام له فقال:

---

(١) كذا بالأصل، وفي فتوح البلدان ص ٤٠٣ أن معاوية خاف سعيدا على خلعه ولذلك عاجله بالعزل، وولى مكانه عبد الرحمن بن زياد على خراسان.
(٢) الأصل: يقعون.
(٣) الأصل: فاجتمعوا.
(٤) كذا وهو خطأ فادح والمعروف أن زياد مات سنة ٥٣. إلا أن يكون زياد قد ولاه خراسان وهو حي، وهذا ما أشار إليه في الإصابة: ولاه زياد خراسان ومات بها. وفي فتوح البلدان ص ٤٠٠: ولي زياد الحكم بن عمرو الغفاري... فمات بها في سنة خمسين. فعلى هذا تكون ولاية الحكم قبل ولاية سعيد بن عثمان بمدة ليست بقصيرة وليس بعد عزله وموته.

اذهب فادع إلي الحكم بن بشر الثقفي (١)! وقعد زياد فكتب العهد على خراسان، وذهب الغلام فغلط فدعا الكم بن عمرو الغفاري، فلما رآه زياد علم أن الغلام قد غلط فتبسم ثم قال: يا حكم! أردت أمرا وأراد الله أمرا، فخذ هذا العهد واضمم إليك الناس وسر إلى خراسان فقد وليتك حربها وخراجها.

قال: وكان الحكم بن عمرو هذا رجلا من الصالحين، وكانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢): فأخذ العهد ونادى في الناس، فصار إليه خلق كثير من قبائل من

أهل البصرة ممن يريد الجهاد في سبيل الله، فوضع لهم الأرزاق وأعطاهم وقواهم.

ثم خرج بهم نحو بلاد خراسان، فأخذ عن طريق فارس وسلك من فارس على الطريق الأعظم إلى خراسان، فلم يزل من مدينة إلى مدينة يتقدم ويفتح حتى صار إلى مدينة مرو فنزلها.

ثم كتب إلى زياد بن أبيه يخبره بما فتح الله على يديه، وما عنده من الغنائم.

فكتب زياد بذلك إلى معاوية، فكتب معاوية إلى زياد أن اكتب إلى الحكم بن عمرو أن يحتفظ بالصفراء والبيضاء فيحمل ذلك إلى بيت المال بالشام ويقسم باقي ذلك في المسلمين. قال: فكتب زياد بذلك إلى الحكم.

فلما ورد كتاب زيد على الحكم قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن معاوية كتب إلى زياد بن أبيه يأمره أن يأمرني أن أحتفظ بالصفراء والبيضاء، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لو أن السماوات والأرض

كانتا حلقة على رجل اتقى الله لفرج الله عنه. وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى أن يؤخذ به

من قول معاوية وزياد (٣)، فاجتمعوا رحمكم الله إلى فيئكم الذي أفاء الله به عليكم!

قال: ثم أخرج الحكم بن عمرو الخمس من تلك الغنائم فوجه بها إلى زياد، وقسم باقي الغنائم في المسلمين، ثم قال: اللهم! إني سئمت بني أمية وسأموني فأرحهم

---

(١) في فتوح البلدان: الحكم بن أبي العاصي الثقفي.

(٢) الاستيعاب - الإصابة.

(٣) في الطبري (حوادث سنة ٥٠): أن زيادا كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له صفراء وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك.

فكتب إليه الحكم: أما بعد! فإن كتابك ورد، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كل

فكتب إليه الحكم: أما بعد! فإن كتابك ورد، تذكر أن أمير المؤمنين والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد اتقى عز وجل جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا.

مني وأرحني منهم. ثم لم يلبث الحكم إلا جمعة واحدة ثم مات - رحمه الله -.
فبلغ ذلك زيادا فدعا برجل يقال له غالب بن عبد الله الليثي (١) فعقد له عقدا ووالاه بلاد خراسان. قال: وكان غالب بن عبد الله هذا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد
كان أيضا على مقدمته يوم فتح مكة.
قال: فسار غالب حتى صار إلى خراسان ونزل مدينة مرو ثم جعل يغزو أهل طخيرستان (٢) وما والاها حتى فتح فتوحا كثيرة وغنم غنائم جمة، فأخرج منها الخمس
ووجه إلى زياد، وقسم باقي ذلك في المسلمين.
قال: وتكاثر العدد على غالب بن عبد الله، وبلغ ذلك زياد بن أبيه فدعا بالربيع بن زياد الحارثي وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي وهو عم الحجاج بن يوسف، فضم إليهما جيشا كثيرا ووجه بهم إلى خراسان وغلبوا على طخيرستان وغنموا غنائم كثيرة، فأخرجوا منها الخمس فوجهوا به إلى زياد وقسموا باقي الغنائم في المسلمين. قال: ونزلوا مدينة مرو وكانوا يغزون أطراف خراسان.

ذكر موت زياد بن أبيه

قال: وجعل زياد يتتبع شيعة علي بن أبي طالب فيقتلهم تحت كل حجر ومدر حتى قتل منهم خلقا كثيرا، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم، وجعل أيضا يغري بهم معاوية، فقتل منهم معاوية جماعة، وفيمن قتل منهم حجر بن عدي الكندي وأصحابه (٣). وبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: اللهم! خذلنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلا، إنك على كل شيء قدير!
قال: فخرج به خراج في إبهام يده، وفشا ذلك الخراج في يده اليمنى حتى ثقلت يده، فاستشار الناس (٤) في قطعها فلم يشيروا عليه بذلك، واشتد به الأمر

---

(١) كذا، وفي فتوح البلدان ص ٤٠٠ أن زيادا ولى خراسان الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥١. وفي الطبري (حوادث سنة ٤٨) ان زياد وجه غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة من رسول الله (ص).
(٢) طخيرستان (في معجم البلدان: طخارستان) (ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان.
(٣) وكذلك سنة ٥١ ه. انظر في كيفية قتلهم الطبري (حوادث سنة ٥١ ه).
(٤) استشار شريح بن الحارث بن قيس الكندي، قاضي الكوفة. انظر في مروج الذهب ٣ / ٣٣ والطبري =

ولقي من يده جهدا شديدا، ثم مات بعد ذلك (١)، فدفن بموضع يقال له الثوية (٢).

ذكر أخبار خراسان وغير خراسان بعد موت
زياد بن أبيه

قال: فلما مات زياد بن أبيه دعا معاوية بسمرة بن جندب الفزاري فولاه البصرة (٣) فأقام بها ثمانية أشهر، ثم شكاه أهل البصرة فعزله، وولى مكانه عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي، فأقام على العراق أميرا ستة أشهر، ثم عزله معاوية وولى مكانه [عبد الله بن] (٤) خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية. قال: وقدم عبد الله بن زياد على معاوية فقال (٥): يا أمير المؤمنين! إنك لو وليتني العراق لقمت به مقاما لم يقم به أحد قبلي! فقال له معاوية: إنه قد كان أبوك على العراق خمس سنين، فما الذي منعه من أن يوليك إياها بعد وفاته؟ قال: فقال له عبيد الله: أنشدك الله أن خرجت هذه الكلمة من فيك! فإنها عار علي وسبة. فقال له معاوية: إني سأوليك العراق وأجعلك في مكان أبيك، ولكن اذهب فقد وليتك خراسان، فإذا فرغت من أمرها وليتك العراق بعد إن شاء الله تعالى. قال: تم عقد له معاوية عقدا وقواه بسلاح وأموال.

قال: فخرج عبيد الله بن زياد حتى قدم أرض خراسان، فجعل يفتح ويقدم ويجمع الأموال، حتى قطع النهر وعبر حتى صار إلى بخارا (٦) وإلى سمرقند وغنم غنائم كثيرة، واتخذ لنفسه عبيدا من أولاد ملوك خراسان، فكان يصول بهم على الناس.

---

٦ / ١٦٣ مقالة شريح له يشير عليه.

(٢) وانظر ما لاحظناه حول موته ص ١١٤ حاشية ١ وانظر مروج الذهب ٣ / ٣٢ والطبري ٦ / ١٦٢.

(٢) الثوية: موضع قريب من الكوفة. وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٥: دفن في مقابر قريش وقد صلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد.

(٣) في الطبري (حوادث سنة ٥٣) استخلف زياد سمرة على البصرة، فأقر عليها ثمانية عشر شهرا. وقيل: سنة أشهر.

(٤) سقطت من الأصل. وما أثبتناه يوافق الطبري.

(٥) انظر خبر وفادته على معاوية في الطبري (حوادث سنة ٥٤).

(٦) في الطبري: فكان هو أول من قطع إليهم جبال بخارى في جند، ففتح رامين ونصف بيكند - وهما من بخارى -.

قال: ثم نقل عبيد الله بن زياد من خراسان واستخلف عليها رجلا يقال له خويلد بن طريف بن قرة الحنفي (١)، ثم سار حتى صار إلى معاوية بالأموال والغنائم. قال: فعندها عقد له معاوية عقدا وولاه البصرة (٢)، وكان بها أمير كما كان أبوه زياد بن أبيه من قبل.

قال: ولم يزل معاوية على ذلك من شأنه تجبى إلى الأموال من خراسان ومن غير خراسان ومن جميع أرض الإسلام إلى أن مضى من عمره في خلافته ما مضى.

[وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب -]

قال: وتوفي الحسن بن علي بالمدينة (٣)، فأقبل عمرو بن العاص حتى دخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! إنه توفي الحسن بن علي بالمدينة وقد قر هذا الأمر فيك وفي ولدك وفيمن تؤمي إليه من أهل بيتك، ويجب عليك أن تعقد لرجل من أهلك عقدا في أعناق المسلمين يقوم بأمرهم من بعدك، ولكن ذلك عن الرضا والاختيار. فقال له معاوية: ننظر في ذلك أبا عبد الله وتنظر أنت أيضا، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى (٤).

[سمعنا من الثقات أنه حين قرر معاوية بن أبي سفيان أن يجعل ولده يزيدا ولي عهده، مع علمه بأن هذا الأمر صعب المنال نظر لأن الصلح الذي أبرم بينه وبين الحسن بن علي كان من بين شروطه أن يترك معاوية أمر المسلمين شورى بينهم بعد وفاته (٥).

لذلك سعى في موت الحسن بكل جهده، وأرسل مروان بن الحكم (طريد)

---

(١) في الطبري ٦ / ١٦٨ ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان.

(٢) وقد عزل عنها عبد الله بن عمرو بن غيلان.

(٣) وكان ذلك في سنة ٤٩ ه. (ابن الأثير - مروج الذهب - المعارف - البداية والنهاية). وقيل في موته أنه سقي سما وفي ذلك يقول المسعودي في مروج الذهب ٢ / ٤٧٦ " وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، وقد كان معاويد دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمئة ألف درهم وزوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه. فلما مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولو لا ذلك لوفينا لك بتزويجه ".

(٤) ما بين معكوفتين استدرك من الترجمة الفارسية ص ٣٣٩ بعد تعريبه.

(٥) انظر معاهدة الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية، وما لاحظناه بشأنها وخاصة المادة الأولى منها.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وأعطاه منديلا مسموما وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن
جعدة بنت الأشعث بن قيس بما استطاع من الحيل لكي تجعل الحسن يستعمل ذلك المنديل المسموم بعد قضاء حاجته وأن يتعهد لها بمبلغ خمسين ألف درهم (١) ويزوجها من ابنه.
فذهب مروان تنفيذا لأمر معاوية واستفرغ جهده حتى خدع زوجة الحسن
ونفذت المؤامرة وعلى إثر ذلك انتقل الحسن إلى دار السلام واغترت جعدة بمواعيد مروان وأقدمت على تلك الجريمة الشنعاء.
ويروي عن عمر بن إسحاق أنه قال: ذهبت مع بعض أصحاب لعيادة أمير المؤمنين الحسن فلما اقتربنا منه سلمنا عليه وجلسنا، سمعته يقول لرجل: اسألني حاجتك. فقال: ما لم تتماثل إلى العافية فلن أسأل. ثم سأله مرة أخرى وقال: سلني حاجتك قبل أن لا أستطيع الجواب. فرد عليه بنفس الجواب، ثم قال الإمام الحسن: لقد سقيت السم عدة مرات (٢) ولكنه هذه المرة كان مختلفا.
وفي اليوم الثاني عندما ذهبت لعيادته رأيت أمير المؤمنين حسينا جالسا على طرف الوسادة وهو يقول: يا أخي من سقاك السم؟ وبمن تظن؟ فأجابه إن أخبرك فسيقتلونك؟ فقال: نعم.
فقال ذلك السيد (الحسن) (٣): إن يكن هذا السم سببا لموتي سيزداد نكاله وضلاله. وإن عشت فلا أرى جواز قتل شخص بريء.
ثم بعد ذلك اشتد المرض على الإمام العالي وأيقن بقرب حلول الأجل فأوصى للإمام الحسين بأمر الإمامة وقال له: ادفني إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. إن غلب على
ظنك عدمه قيام فتنة تكون سببا لإراقة الدماء وإلا فادفني في بقيع الغرقد.
وبعد أن حلقت روحه المقدسة نحو رياض الجنة، وبعد إتمام الغسل والتكفين

---

(١) انظر ما مر قريبا. وفي مروج الذهب: مئة ألف درهم. وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٥.
(٢) كذا بالأصل ومروج الذهب، وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٥ أنه قال لأخيه الحسين إن هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السم. ولم أسقه مثل مرتي هذه، وأنا ميت من يومي.
(٣) في مروج الذهب: قال: وما تريد بذلك؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء.

لجثمانه الطاهر أراد الإمام الحسين أن يدفنه في الروضة المباركة بجانب جده الأكرم.
ولكن سعيد بن العاص والي المدينة أرسل إلى أم المؤمنين الصديقة لكي تمانع في هذا الدفن.
وفعلا قام جمع من العثمانية بالمعارضة فقابلتهم فرقة من الشيعة وكادت تنشب فتنة بين الفريقين.
ثم بعد ذلك ذهب الحسين بجنازة شقيقه (الجوهر العالي) طبقا لوصيته فدفنه قرب جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم (١).
ولما وصل خبر وفاة أمير المؤمنين الحسن إلى معاوية أرسل الجائزة التي كان وعد بها جعدة ولكنه رفض تزويج يزيد منها. ثم تزوجها أحد أبناء طلحة وأولدها أولادا كان كثيرا ما يقع بينهم وبين القريشيين جدال حتى قيل لهم: يا أبناء سمحة الأزواج.
وذات يوم كان عبد الله بن العباس في مجلس معاوية. فقال له معاوية شامتا: هل سمعت يا أبا العباس بموت الحسن بن علي؟
فاسترجع ابن عباس ثم قال: يا معاوية إنك لن تمنع نفسك من ورود الحفرة المقررة لك في العالم الثاني بموت الحسن. ولن تظل مسرورا على عرش الظفر وإننا معاشر أهل بيت النبوة قد أصبنا بمصائب أكبر من مصيبة موت الحسن ولكن الله سبحانه قد فرج عنا تلك المصائب. ثم خرج ابن عباس.
وقد تعجب بمعاوية من سرعة بديهته وقال: إني لم أر في حياتي شخصا عاقلا وسريع الجواب مثل عبد الله بن عباس (٢).

---

(١) كذا بالترجمة. ولكن دفنه رضي الله عنه تم إلى جنب أمة فاطمة بنت محمد (ص) بالبقيع كما في مروج الذهب ٢ / ٤٧٥. وكان قد جرى غسله وتكفينه رضي الله عنه ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله - قال اليعقوبي في تاريخه ٢ / ٢٢٥ فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة... فقال الحسين: إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم. فدفن الحسن في البقيع.
(٢) خبر ابن عباس ومعاوية في مروج الذهب ٢ / ٤٧٩ باختلاف بسيط.

ولما شاع خبر وفاة الإمام الحسن بين الناس جاء عمرو بن العاص إلى معاوية وقال له: يا أمير المؤمنين بما أن الحسن بن علي قد لقي وجه ربه فالفرصة الآن مؤاتية لك لتستقل بالخلافة بدون منازع لك أو لأولادك، فبادر إلى تعيين أحد من أهل بيتك وليا لعهدك. بموافقة عامة الناس لكي يقوم بالأمر بعدك ويتفق الناس على طاعته وتبقي الخلافة حينئذ في بيتك.

فقال له معاوية: أحسنت، دعني أفكر في الأمر، حتى أرى من يصلح للقيام بالأمر بعدي فأوليه ولاية العهد، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى].

ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل
والحسين بن علي وولده وشيعته من ورائه
وأهل السنة وما ذكروا في ذلك من الاختلاف
حدثني أبو الحسن أحمد بن الحسين النيسابوري قال: حدثني محمد بن القاسم المديني عن أبي حازم مولى ابن عباس عن ابن عباس، قال: وحدثني علي بن عاصم عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس، قال: وحدثني أبو حاتم سهل بن محمد الصانع قال: حدثني نعيم بن مزاحم المنقري عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي، قال الواقدي: وحدثني معاذ بن محمد بن يعقوب بن عتبة القرشي عن محمد ابن الحنفية، أبو الوليد بن رزين عن أبي إسحاق الهمداني، قال: وحدثني أبو عمر حفص بن محمد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه. قال الواقدي أيضا وحدثني محمد بن عبيد الله بن عنبسة عن محمد بن عبيد الله عن عمرو عن أبيه، وعبد الله بن بجير السهمي عن سعيد بن قيس
الهمذاني، ومحمد بن خالد الهاشمي عن يعقوب بن سليمان من بني عبد الله الأوسي عن عبد الرحمن بن المنذر من بني عدي بن النجار عن العلاء بن يعقوب العجلاني، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي عن الحسين بن كثير الأزدي عن أبيه، وأبو المنذر أيضا عن محمد بن عوانة بن الحكم بن الهيثم بن عدي عن عبد الملك بن سليمان عن أيوب بن بشير بن عبد الله المعافري والهيثم بن عدي عن غالب بن عثمان الهمداني عن عبد الله بن المعافى المعافري وعبد الرحمن بن المنذر الأنصاري وعبد الواحد بن أبي عون وهبيرة ابن مريم وعيسى بن دأب عن رجاله وأبو البختري عن رجاله كلهم قد حدث بهذا الحديث وبعضهم أو عما له من بعض وزيادته ونقصانه على من نقله إلينا وقرأه علينا.

فأول خبر ورد علي من ذلك حديث يحيى بن عبد الرحمن القرشي عن
محمد (١) بن مصعب القرقسائي عن الأوزاعي عن ابن عفان عن أم الفضل بنت
الحارث بن حزن (٢) امرأة العباس بن عبد المطلب أنها قالت: رأيت في منامي رؤيا
هالتني وأفزعتني، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله!
رأيت كأن قطعة
من جسدك (٣) قد قطعت فوضعت في حجري، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
خيرا رأيت يا أم
الفضل! إن صدقت رؤياك فإن فاطمة حامل وستلد غلاما فأدفعه إليك لترضعيه (٤).
قالت أم الفضل: فوضعت فاطمة بعد ذلك غلاما فسمي بالحسين، ودفعه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم
إلي فكنت أرضعه قالت أم الفضل: فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم
والحسين في حجري
فأخذه وجعل يلاعبه وهو مسرور به، قالت أم الفضل: فبال الحسين فقطر من بوله
على ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقرصته (٥) فبكي، فقال صلى الله عليه وآله
وسلم: مهلا يا أم الفضل! فهذا الذي
أصاب ثوبي يغسل، وقد أوجعت ابني. قالت (٦): فتركته في حجره وقمت لآتيه
بماء أغسل ثوبه، فلما جئت نظرت إليه وعيناه تذرفان بالدموع فقلت: فداك أبي
وأمي يا رسول الله! دفعته ليك وأنت به مسرور ثم رجعت إليكم وعيناك تذرفان
بالدموع! فلماذا يا رسول الله؟ فقال: نعم يا أم الفضل! أتاني جبريل فأخبرني أن
أمتي تقتل ولدي هذا بشط الفرات، وقد أتاني بتربة حمراء (٧).
قال ابن عباس: لقد رأيت حين هبط جبريل عليه السلام في قبيل من الملائكة
قد نشروا أجنحتهم يبكون حزنا منهم على الحسين، وجبريل معه قبضة من تربة
الحسين تفوح مسكا أذفر، دفعها إلى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال:
يا حبيبة الله! هذه
تربة ولدك الحسين وستقتله اللعناء بأرض كرب وبلاء. قال: فقال له النبي صلى الله
عليه وآله وسلم:
حبيب جبريل! وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ ابنتي؟ فقال جبريل: لا، بل

---

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي، وبالأصل عبد الرحمن. ٦ / ٤٦٩.
(٢) بالأصل " المطلب " وهي لبابة (الكبرى) بنت الحارث بن حزن بن البجير بن الهزم بن رؤيبة بن
عبد الله بن هلال بن عامر... بن قيس بن عيلان بن مضر.
وأم الفضل أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة (رض).
(٣) في طبقات ابن سعد ٨ / ٢٧٨ عضوا من أعضائك في بيتي.

(٤) زيد في ابن سعد: بلبان ابنك قثم.
(٥) بالأصل: فقرضته، وأثبتنا ما وافق ابن سعد.
(٦) بالأصل: قال.
(٧) دلائل البيهقي ٦ / ٤٦٨ وابن كثير في البداية ٦ / ٢٣٠.

يضربهم الله بالاختلاف، فتختلف قلوبهم وألسنتهم آخر الدهر.
قال شرحبيل بن أبي عون: إن الملك الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان ملك
البحار وذلك أن ملكا من ملائكة الفراديس نزل إلى البحر الأعظم تم نشر أجنحته عليه وصاح صيحة وقال: يا أصحاب البحار! البسوا ثياب الحزن فإن فرخ محمد مذبوح مقتول ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا حبيب الله! يقتتل على هذه الأرض فرقتان من
أمتك، إحداهما ظالمة معتدية فاسقة، يقتلون فرخك الحسين ابن ابنتك بأرض كرب وبلاء، وهذه تربته يا محمد! قال: ثم ناوله قبضة من أرض كربلاء وقال: تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك، ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته، فلم يبق ملك في سماء الدنيا إلا شم تلك التربة وصار فيها عنده أثر وخبر.
قال: ثم أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك القبضة التي أتاه بها الملك فجعل يشمها وهو
يبكي ويقول في بكائه: اللهم لا تبارك في قاتل ولدي وأصله نار جهنم! ثم دفع القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين بشاطىء الفرات وقال: يا أم سلمة!
خذي هذه التربة إليك فإنها إذا تغيرت واستحالت دما عبيطا سيقتل ولدي الحسين.
فلما أتي على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر
ملكا، أحدهم على صورة الأسد، والثاني على صورة الثور، والثالث على صورة التنين، والرابع على صورة ولد آدم، والباقون الثمانية على صور شتى محمرة وجوههم، قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون: يا محمد! إنه سينزل بولدك الحسين ابن فاطمة ما نزل بأبيك من قابيل، وسيعطي هابيل أخو قابيل، وسيحمل على قاتله مثل وزر قابيل. قال: ولم يبق في السماوات ملك إلا وقد نزل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كل يعزيه
في الحسين ويخبره بثواب ما يعطي ويعرض عليه تربته، والنبي عليه السلام يقول: اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتعه بما طلبه.
قال المسور بن مخرمة: ولقد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملك من ملائكة الصفيح الأعلى
لم ينزل إلى الأرض مذ خلقت الدنيا، وإنما استأذن ذلك الملك ربه ونزل شوقا منه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما نزل إلى الأرض أوحى الله عز وجل إليه: أيها الملك! أخبر
محمدا بأن رجلا من أمته يقال له يزيد يقتل فرخه الطاهر ابن الطاهرة نظيرة البتول ابنة

عمران. فقال الملك: إلهي وسيدي! لقد نزلت من السماء وأنا مسرور بنزولي إلى

نبيك محمد، فكيف أخبره بهذا الخبر، ليتني لم أنزل إليه! فنودي الملك من فوق رأسه أن امض لما أمرت.
فنزل وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه فقال: السلام عليك يا حبيب الله! إني استأذنت ربي في النزول إليك فأذن لي، فليت ربي دق جناح ولم آتك بهذا الخبر، ولكني مأمور، يا نبي الله! اعلم أن رجلا من أمتك يقال له يزيد - زاده الله عذابا - يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة، ولن يمتع بالملك من بعد ولدك، وسيأخذه الله مغافضة على أسوء عمله، فيكون من أصحاب النار.
قال: فلما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر
له، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطىء الفرات يقال لها كربلا، يقتل بها ولدي الحسين ابن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له يزيد، لا بارك الله له في نفسه! وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها، وقد أهدي برأسه، وو الله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرع إلا خالف الله بين قلبه ولسانه.
قال: ثم رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ذلك مغموما ثم صعد المنبر فخطب ووعظ
والحسين بن علي بين يديه مع الحسن، قال: فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم! إني محمد عبدك ونبيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلفهم في أمتي، اللهم! وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم! فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، إنك على كل شيء قدير، اللهم! ولا تبارك في قاتله وخاذله. قال: وضج الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتبكون ولا تنصرونه! اللهم! فكن أنت له وليا وناصرا.
قال ابن عباس: ثم رجع وهو متغير اللون محمر الوجه فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه يهملان دموعا ثم قال: أيها الناس! إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومراح مماتي وثمرتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا! وإني أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم المودة في القربى، فانظروا أن لا تلقوني غدا على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا! وإنه سيرد علي في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة، راية سوداء مظلمة قد فزعت لها

الملائكة، فتقف علي فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا أحمد نبي العرب والعجم، فيقولون: نحن من أمتك يا أحمد! فأقول لهم: كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعنا ومزقنا، وأما عترتك فحرصنا على أن يندهم من حديد الأرض فأولى عنهم وجهي، فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم. ثم يرد علي راية أخرى أشد سوادا من الأولى، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون كما تقول الأول إنهم من أهل التوحيد نحن من أمتك، فأقول لهم: كيف خلفتموني في الثقلين الأصغر والأكبر، في كتاب الله وفي عترتي؟ فيقولون: أما الأكبر فخالفنا، وأما الأصغر فخذلنا ومزقناهم كل ممزق، فأقول: إليكم عني! فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم. ثم يرد علي راية أخرى تلمع نورا، فأقول لهم: من أنتم؟
فيقولون: نحن كلمة التوحيد، نحن أمة محمد ونحن بقية أهل الحق الذين حملنا كتاب ربنا، فأحللنا حلاله وحرمنا حرامه، وأحببنا ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنصرناهم بما
نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم وقتلنا من ناواهم، فأقول لهم: أبشروا! فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم. ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين. ألا! وإن جبريل عليه السلام قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء. ألا! فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر.
قال: ثم نزل على المنبر، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا واستيقن أن الحسين مقتول، حتى إذا كان في أيام عمر بن الخطاب وأسلم كعب الأحبار وقدم المدينة، جعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان وكيف تحدثهم بأنواع الملاحم والفتن، ثم قال كعب: نعم وأعظمها ملحمة التي لا تنسى أبدا وهو الفساد الذي ذكره الله تعالى في الكتب، وقد ذكره في كتابكم، فقال عز وجل (ظهر الفساد في البر والحبر) (١)، وإنما فتح بقتل هابيل، وختم بقتل الحسين بن علي.
ثم قال كعب: أظنكم تهونون قتل الحسين، أو لا تعلمون أنه يفتح كل يوم وليلة أبواب السماء كلها، ويؤذن للسماء بالبكاء، فتبكي دما عبيطا؟ فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها شرقا وغربا فاعلموا بأنها تبكي حسينا، فتظهر هذه

---

(١) سورة الروم، الآية ٤١.

الحمرة في السماء. قال: فقيل له: يا أبا إسحاق! فكيف لم تفعل السماء ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل وبمن كان خيرا من الحسين؟ فقال كعب: ويحكم! إن قتل الحسين أمر عظيم لأنه ابن بنت خيرة الأنبياء، وإنه يقتل علانية ظلما وعدوانا، لا تحفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مراح مائة وبضعة من لحمه، ثم
يذبح بعرصة الكرب والبلاء، والذي نفس كعب بيده! لتبكينه زمرة من الملائكة في السماوات لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر، وأن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع بعد ثلاث: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وما من نبي إلا وقد زارها وبكى عندها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم، فإذا كانت ليلة جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف ملك يبكونه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم، وإنه يسمى في السماوات حسينا المذبوح، وفي الأرض أبا عبد الله المقتول، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم، وإنه يوم يقتل تنكسف من النهار الشمس، ومن الليل القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتمطر السماء كما أخبرتكم دما، وتدكدك الجبال، وتغطمط البحار، ولو لا بقية من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومحبي محمد
ومحبي أبيه وأمه يطلبون دمه ويأخذون بثأره لصب الله عز وجل عليهم من السماء نيرانا.
ثم قال كعب، لعلكم تعجبون مما حدثتكم به من أمر الحسين بن علي! إن الله تعالى لم يترك شيئا كان أن يكون في أول الدهر وآخره إلا وقد فسره لموسى عليه السلام، وما من نسمة خلقت ومضت من ذكر وأنثى إلا وقد رفعت إلى آدم عليه السلام وعرضت عليه، ولقد عرضت على آدم هذه الأمة، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على الدنيا فقال: يا رب! ما لهذه الأمة والدنيا وهي خير الأمم وأفضلها؟ وأوحى الله عزو جل إليه: يا آدم! هذا أمري في خلقي وقضائي في عبادي، يا آدم! إنهم أخلفوا فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون في أرضي الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل، ويقتلون فرخ حبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
قال: ثم مثل بآدم عليه السلام في الذروة مقتل الحسين بن علي ووثوب أمة جده عليه، فنظر إليهم آدم عليه السلام مسودة وجوههم فقال: يا رب! ابسط عليهم الأسقام كما قتلوا فرخ هذا النبي الكريم.
قال هبيرة بن يريم فحدثني أبي يريم قال: لقيت سلمان الفارسي فحدثته بهذا

الحديث، فقال سلمان: لقد صدقك كعب وأنا أزيدك في ذلك أن كل شيء في الأرض يبكي الحسين إذا قتل حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم، ويقولون: إلهنا وسيدنا أنت العليم الحكيم، ثم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك بين السماء والأرض أن يا معشر الخليفة! ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لرب العزة. قال: ثم أقبل سلمان الفارسي على يريم ثم قال: يا يريم! إنك لو تعلم يومئذ كم من عين تعود سخنة كئيبة حزينة قد ذهب نورها وغشي بصرها بكاء على الحسين! ولقد صدق كعب فيما حدثك به، ووالذي نفس سلمان بيده! إنني لو أدركت أيامه لضربت بين يديه بالسيف أو أقطع بين يديه عضوا عضوا فأسقط بين يديه صريعا، فإن القتيل معه يعطى أجر سبعين شهيدا من شهداء بدر وأحد وحنين وخيبر. ثم قال سلمان: يا يريم! ويحك أتدري ما حسين! حسين سيد شباب أهل الجنة على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحسين لا يهدر دمه حتى يقف بين
يدي الله عز وجل، وحسين من تفزع لقتله ملائكة السماوات، ويحك يا يريم! أتعلم كم ملك ينزل يوم قتل الحسين وتضمه إلى صدروها! وتقول الملائكة بأجمعها: إلهنا وسيدنا! هذا فرخ رسولك محمد وابن ابنته وبضعة من لحمه. يا يريم إن أنت أدركت أيام مقتله واستطعت أن تقتل معه فكن أول قتيل يقتل بين يديه، فإن كل دم يوم القيامة بعد الأنبياء دم الحسين، ثم دماء أصحابه الذين قتلوا بين يديه. وانظر يا يريمه! إن أنت نجوت فلم تقتل معه فزر قبره، فإن قبره لا يخلو من الملائكة أبدا، ومن صلى عند قبره ركعتين حفظه الله من بغضهم وعداوتهم أبدا حتى يموت.
قال: فأما سلمان فإنه مات بالمدائن في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأما يريم فإنه لم يلحق ذلك.

ثم رجعنا إلى الخبر الأول
قال ثم كتب معاوية إلى جميع نوابه فألقى إليهم هذا الخبر أنه يريد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد (١). قال: فكتب إليه مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر يأمرونه أن يتأنى في أمر يزيد وأن لا يعجل حتى يطالع أهل المدينة في ذلك.
قال: وحج يزيد في تلك السنة ففرق بمكة والمدينة أموالا كثيرة يشتري بها قلوب الناس، ثم إنه انصرف والناس عنه راضون.
قال: وشاع الخبر في الناس بأن معاوية يريد [أن] يأخذ البيعة ليزيد، وكان الناس في أمر يزيد على فرقتين من بين راض وساكت، أو قائل منكر. قال: فكان عقيبة (٢) الأسدي شاعر أهل البصرة ممن يكره بيعة يزيد ويبغضه، فأنشأ في ذلك يقول (٣):

---

(١) بشأن قضية البيعة ليزيد بولاية عهد معاوية، قيل إن أول من أشار على معاوية بذلك، أو أول من نبهه إلى هذا الأمر هو المغيرة بن شعبة وذلك أن كان واليا على الكوفة وقد بلغه أن معاوية بصدد عزله، فقدم الشام على معاوية وعند مقابلته قال له: يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف، وفي عنقك الموت، وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون إليه، واجعل ذلك يزيد ابنك... وأعيد المغيرة بن شعبة إلى الكوفة مكلفا العمل والتحدث مع من يثق إليه بهذا الشأن. فغادر المغيرة إلى الكوفة يعمل في بيعة يزيد، وكانت باكورة ذلك أن أرسل وفدا إلى معاوية يزينون له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها. (الإمامة والسياسة ١ / ١٨٧ ابن الأثير ٢ / ٥٠٨ الطبري ٥ / ٣٠١ - ٣٠٢)
(٢) بالأصل " عقبة " وما أثبتناه عن خزانة الأدب (٢ / ٢٢٦ السلفية).
(٣) الأبيات في العقد الفريد ٥ / ٢٨٢.

معاوي إننا بشر فأسجع * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها * فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع في الخلود (١) إذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
فهبها أمة هلكت ضياعا * يزيد يسوسها وأبو يزيد
دعوا حق الإمارة واستقيموا * وتأميل الأراذل والعبيد (٣)
واعطونا السوية لا تزركم * جنود مردفات بالجنود
قال: فبلغ ذلك معاوية، فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه فأنشأ عقيبة يقول:
إذا المنبر الغربي حل مكانه * فإن أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد * لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولم تزل * وفود يساميها إليك وفود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر * لمروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فإنما * ينوء بها الرحمن حيث يريد
قال: فأرسل إلى معاوية ببدرة أخرى. وبلغ ذلك عبد الله بن همام السلولي (٤) شاعر أهل الكوفة وكان أيضا ممن يبغض يزيد فأنشأ يقول (٥):
فإن باتوا برملة أو بهند * يبايعه (٦) أميرة مؤمنينا
وكل بنيك ترضاهم وإن * شئتم بعمهم المنتمينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى * يعد (٧) ثلاثة متناسقينا
يورثها أكابرهم بنيهم * كما ورث القمامسة القطينا
فيا لهفي لو أن لنا أنوفا * ولكن لا نعود كما عنينا

---

(١) في العقد: بالخلود.
(٢) في العقد:
ذروا جور الخلافة واستقيموا * وتأمير الأراذل والعبيد
(٤) من بني مرة بن صعصعة، شاعر اسلامي، كان يقال له العطار لحسن شعره، وهو الذي حرض يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية.
(٥) الأبيات في مروج الذهب ٣ / ٣٥.
(٦) مروج الذهب: نبايعها.
(٧) مروج الذهب: نعد.

إذا لضربتم حتى تعودا * بمكة تلطعون (١) بها السخينا
حثينا الخيط حتى لو سقينا (٣) * دماء بني أمية ما روينا
ضعوا كلبا على الأعناق منا * وسرحكم أصاغر ورثونا
هبونا لا نريدكم بسوء، ولا نعصيكم ما تأمرونا
فأولوا بالسداد فقد بقينا * لحلفكم عنادا مفترينا
بنيت ملككم فإذا أردتم * بنا الصلعاء قلتم محسنينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم * تصيدون الأرانب غافلينا
فبلغ ذلك معاوية فقال: ما ترك ابن همام شيئا، ذكر الحرم وعيرنا بالسخينة، ماله إلا يخرجنا من جنتنا. قال: ثم وجه إليه معاوية ببدرة، فلما وصلت إليه شكرها لمعاوية ثم كتب إليه بهذه الأبيات:
أتاني كتاب الله والدين قائم * وبالشام أن لا فيه حكم [ولا] عدل
أريد أمير المؤمنين فإنه * على كل أحوال الزمان له الفضل
فهاتيكم الأنصار يرجون فضله * وهلاك أعراب أضر بها المحل
ومن بعدها كنا عباديد شردا * أقمت قناة الدين واجتمع الشمل
فأي أناس أثقلتهم جناية * فما انفك عن أعناقهم ذلك الثقل
أبو خالد أخلق به أن يصيبنا * بسجل من المعروف يتبعه سجل
هو اليوم ذو عهد وفينا خليفة * إذا فارق الدنيا خليفتنا الكهل
قال: ولم يزل معاوية يروض الناس على بيعة يزيد ويعطى المقارب ويداني المتباعد حتى مال إليه أكثر الناس وأجابوه إلى ذلك (٣).
قال: ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فدعاه ثم شاوره في أمر يزيد، فقال له: يا أمير المؤمنين! أنا أناجيك ولا أناديك (٤)، وإن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن

---

(١) مروج الذهب: تلعقون.
(٢) مروج الذهب: خشينا الغيظ حتى لو شربنا.
(٣) قال أبو الحسن المدائني أن معاوية وبعد موت زياد بن أبيه سنة ٥٣ ه، أظهر عهدا مفتعلا فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد ابنه بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد (العقد الفريد ٤ / ٣٤٤).
(٤) العقد الفريد: أني أناديك ولا أناجيك.

تقدم، وفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم. قال: فتبسم معاوية ضاحكا ثم قال (١): يا بن أخ! إنك تعلمت الشجاعة على رأس الكبر، إن دون ما شجعت به على أخيك يكفيك.

قال: ثم أرسل إلى الأحنف بن قيس فدعاه، ثم شاوره في أمر يزيد، فقال:

يا أمير المؤمنين! إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، ولكن عليك بغيري.

قال: فأمسك عنه معاوية، وجعل يروض الناس في كل سنة وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد.

قال: فلم يزل على ذلك سبع سنين، قال: ودخلت سنة خمس وخمسين (٢) فكتب معاوية إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه، فقدم عليه قوم من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيرة ومن جميع البلاد، فاستشارهم معاوية في البيعة ليزيد، فقام إليه رجل من أهل المدينة يقال له محمد بن عمرو (٣) بن حرم فقال: يا معاوية! إن يزيد أهل لما تريد أن ترسمه له، وهو لعمري غني في المال، ووسيط في النسب، غير أن الله تعالى سائل كل راع عن رعيته فاتق الله يا معاوية وانظر من تولي أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم! قال: فتنفس معاوية الصعداء ثم قال:

يا بن عمرو! أنت رجل ناصح وإنما قلت برأيك ولم يكن عليك إلا ذلك، غير أنه لم يبق من أولاد الصحابة إلا ابني وأبناؤهم، وابني أحب إلي من أبنائهم، قال: فسكت الناس وانصرفوا يومهم.

فلما كان من الغد بعث معاوية إلى الضحاك بن قيس فدعاه وقال: إني قد عزمت على الكلام، وإذا غص المجلس بأهله ورأيتني ساكتا فكن أنت الذي تدعوني إلى أمر بيعة يزيد وحضني على بيعته (٤).

---

(١) العقد الفريد: قال: ثعلب رواغ! تعلمت السجع عند الكبر، في دون ما سجعت به على ابن أخيك ما يكفيك.

(٢) كذا بالأصل والعقد الفريد، وفي مروج الذهب ٣ / ٣٣ سنة تسع وخمسين. وفي الإمامة والسياسة أن معاوية بدأ بجس النبض لأخذ البيعة ليزيد قبل وفاة الحسن ولكنه جوبه بالرفض فسكت عن البيعة ولم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين ثم لم يلبث بعد وفاة الحسن بن علي (رض) (يعتبر وفاته سنة ٥١ والمشهور أنه في سنة ٤٩) إلا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق (اليعقوبي ٢ / ٢٢٨).

(٣) عن العقد الفريد، بالأصل: عمر.

(٤) مروج الذهب ٣ / ٣٣ العقد الفريد ٤ / ٣٤٥ الإمامة والسياسة ١ / ١٨٨ وزيد في مروج الذهب:

قال: ثم أرسل معاوية إلى وجوه الناس فأحضرهم بمجلسه، فلما اجتمعوا بدأ معاوية بالكلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم إنه عظم الإسلام وحرمته، ثم ذكر ما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله في قريش وعلمه بالسياسة، فعارضه الضحاك بن قيس وقال (١): يا أمير المؤمنين! إنه لا بد للناس من وال بعدك وولي عهدك، فإنه قد بلونا الجماعة والفرقة فوجدنا الجماعة والألفة أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيرا في العاجلة والآجلة، والأيام عوج رواجع، ولله في كل يوم أمر وشأن، ولا تدري ما يختلف به العصران (٢) وينقلب فيه الحدثان ويزيد ابن أمير المؤمنين في هديه وقصد سيرته (٣) من أفضلنا حلما وأكرمنا (٤) علما، فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك، يكون مفزعا نلجأ إليه، وخليفة نعول عليه، تسكن به القلوب، ونأمن به الفتن.

قال: ثم سكت الضحاك وقام عمرو بن سعيد الأشدق وقال (٥): أيها الناس! والله أن يزيد لطويل الباع واسع الصدر رفيع الذكر، إن صرتم إلى عدله وسعكم وإن (٦) لجأتم إلى جوده أغناكم، وهو خلف لأمير المؤمنين ولا خلف منه. فقال له معاوية: اجلس أبا أمية فقد أوسعت وأحسنت.

قال: فجلس عمرو بن سعيد بن العاص وقام يزيد بن المقنع الكندي (٧) فقال: أيها الناس! إن أمير المؤمنين هذا - وأشار بيده إلى معاوية - قاد الملك [فإذا] مات فوارث الملك هذا - وأشار بيده - إلى يزيد فمن أبي فهذا - وأشار بيده إلى السيف. فقال له: اجلس فأنت سيد الخطباء.

فإني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عصاة الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك، وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه.

(١) انظر مقالته في المصادر السابقة.

(٢) العصران: الغداة والعشى، والليل والنهار.

(٣) قصد سيرته: استقامتها.

(٤) العقد الفريد: أحكمنا علما.

(٥) قارن مع العقد الفريد ٤ / ٣٤٥.

(٦) العقد: وإن طلبتم رفده أغناكم.

(٧) كذا بالأصل والعقد الفريد وعيون الأخبار، وفي مروج الذهب ٣ / ٣٤ " ثم قام رجل من الأزد " وانظر مقالته فيه.

قال: ثم قام الحصين بن نمير السكوني فقال: يا معاوية! والله لئن لقيت الله ولم تبايع ليزيد لتكونن مضيعا للأمة. فالتفت إلى الأحنف بن قيس معاوية وقال: يا أبا بحر! ما يمنعك من الكلام؟ فقال (١): يا أمير المؤمنين! أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ومدخله ومخرجه وسره وعلانيته، فإن كنت تعلمه لله عز وجل ولهذه الأمة رضا فلا تشاورن فيه أحدا من الناس، وإن كنت تعلم لله غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت ماض إلى الآخرة فإن قلنا ما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا. قال: قال معاوية: أحسنت يا [أبا] بحر! جزاك الله عن السمع والطاعة خيرا (٢).

قال: فبايع الناس في ذلك الوقته ليزيد بن معاوية وانصرفوا إلى منازلهم.

ذكر كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم
بالمدينة في أمر يزيد

قال: فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد (٣) ويخبره في كتابه أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا.

---

(١) مقالته باختلاف بسيط في العقد الفريد ٤ / ٣٤٧ وابن الأثير ٢ / ٥١١. وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٣ ومروج الذهب ٣ / ٣٤.

(٢) ذكر في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٩ - ١٩٠ مقالات أخرى تدعم وجهة نظر الضحاك بتأييده ودفعه معاوية
إلى بيعة يزيد، فاطلبها فيه.

(٣) يفهم من رواية ابن الأثير ٢ / ٥٠٩ أن معاوية كان قد كتب إلى مروان بن الحكم كتابا يستشيره، قال فيه: إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك. فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك. فقام مروان في الناس فأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.
ولما جاء كتاب مروان إلى معاوية، كتب له يذكر يزيدا ويدعوه بأخذ البيعة له.
أما المسعودي فيشير إلى أن مروان - عامل معاوية على المدينة - وقد بلغه خبر اختيار زيد وليا لعهد
أما المسعودي فيشير إلى أن مروان - عامل معاوية على المدينة - وقد بلغه خبر اختيار يزيد وليا لعهد معاوية بكتاب بعثه إلى معاوية يأمره فيه ببيعته، وأخذ البيعة ليزيد على من قبله - فقد غضب وخرج إلى الشام قادما على معاوية، وقد قابل معاوية فقال له: أقم الأمور يا بن أبي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان، واعلم أن لك من قومك نظراء وأن لك على مناوأتهم وزراء. فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين وعدته في كل شديدة، وعضده، والثاني بعد ولي عهده. وجعله ولي عهد يزيد، ورده إلى المدينة.
وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٧ - ١٩٨.

قال: فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الطاعة وحض عليها وذكر الفتنة وحذر منها. ثم قال في بعض كلامه: أيها الناس! إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ورق جلده وعظمه، وخشي الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأيا حسنا، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون من بعده لكم مفزعا، يجمع الله به الألفة ويحقن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك من مشورة منكم وتراض، فماذا تقولون؟ فقال الناس من كل جانب: إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضا. فقال مروان: إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وهو ابنه يزيد.

قال: فسكت الناس وتكلم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وقال: كذبت والله يا مروان وكذب من أمرك بهذا، والله (١) ما يزيد برضا ولكن يزيد ورأيه هرقلية. فقال مروان: أيها الناس! إن هذا المتكلم هو الذي أنزل فيه: (والذي قال لوالديه أف لكما) (٢). قال: فغضب عبد الرحمن بن أبي بكر ثم قال: يا بن الزرقاء! أفينا تتأول القرآن وأنت الطريد ابن الطريد! ثم بادر إليه وأخذ برجله ثم قال: انزل يا عدو الله عن هذا المنبر! فليس مثلك من يتكلم بهذا على أعواده.

قال: وضجت بنو أمية في المسجد، وبلغ ذلك عائشة فخرجت من منزلها ملتهفة بملاءة لها ومعها نسوة من نسوان قريش حتى دخلت المسجد، فلما نظر إليها مروان كأنه فزع لذلك ثم قال: نشدتك الله يا أم المؤمنين إن قلت إلا حقا، قالت عائشة: لا قلت إلا حقا. أشهد لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباك ولعنك. وأنت الطريد

---

(١) العبارة في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٠: ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هر قلية كلما مات هرقل قام هرقل.

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٧. في تفسير هذه الآية الكريمة: قال قتادة والسدي: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عز وجل عنه وكان هذا منه قبل إسلامه. وروي أن عائشة (رض) أنكرت أن تكون نزلت في عبد الرحمن. وقال الحسن وقتادة أيضا: هي نعت عبد كافر عاق لوالديه. وقال الزجاج: كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه والله عزو جل يقول: (أولئك الذين حق عليهم القوم في أمم) أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين فالصحيح نزلت في عبد كافر عاق لوالديه " قال القرطبي: أول الآية خاص وآخرها عام. وقد مضى من خبر عبد الرحمن في سورة الأنعام عند قوله " له أصحابه يدعونه إلى الهدى " ما يدل على نزول الآية فيه إذ كان كافرا وعند إسلامه فضله تعين أن ليس المراد بقوله (أولئك الذين حق عليهم القول). القرطبي ١٦ / ٩٧ - ٩٨.

ابن الطريد، أنت تكلم أخي عبد الرحمن بما تكلمه! قال: فسكت مروان ولم يرد عليها شيئا، ورجعت عائشة إلى منزلها وتفرق الناس.
وكتب مروان إلى معاوية يخبره بذلك وبما كان من عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه فقال: عبد الرحمن شيخ قد خرف وقل عقله، ويجب أن نكف عنه ونحتمل ما يكون منه، فليس هذا من رأيه ولكن من رأي غيره، قال: ثم تهيأ معاوية يريد الحج.

ذكر خبر معاوية في خروجه إلى الحج
ومما كان منه بمكة والمدينة إلى رجوعه

قال: فطلعت أثقال معاوية ورحل إلى المدينة، فلما تقارب منها خرج الناس يلاقونه وفيمن خرج إليه عبد الرحمن بن أبي بكر (١) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فلما نظر إليهم قطب في وجوههم ثم قال (٢): ما أعرفني مفهمكم وطيشكم، فقال له الحسين: مهلا يا معاوية! فلسنا لهذه المقالة بأهل، فقال: بلى والله وأشد من هذا القول وأغلظ! فإنكم تريدون أمرا والله يأبى ما تريدون.
قال: ثم دخل إلى المدينة فنزلها، وأقبل إليه الناس مسلمين، وجعل كل من دخل إليه مسلما شكى إليه هؤلاء الأربعة، ثم جاءوا ليدخلوا عليه فلم يأذن لهم، فتركوه ومضوا إلى مكة.
قال: وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش! والله إني لأرى قوة ما يعيبونه، وما ظنهم

---

(١) كذا بالأصل وابن الأثير والعقد الفريد والإمامة والسياسة. قال ابن الأثير أن ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر - وذلك سنة ٦٥ - لا يستقيم على قول من جعل وفاته سنة ٥٣ ه. وقيل إنه مات سنة ٥٨. قال ابن سعد مات سنة قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد (الإصابة - تهذيب التهذيب).
(٢) في ابن الأثير ٢ / ٥١١ فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس، فلما نظر إليه قال: لا مرحبا ولا أهلا، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه. قال: مهلا فإني والله لست بأهل لهذه المقالة. قال: بلى ولشر منها.
(وخصص كلا من عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير بمثل ذلك).

بمقلعين ولا منتهين حتى (١) يصيبهم مني بوائق تخيب أصولهم فليرفع أولئك على ضلعهم من قبل أن تصيبهم مني فاقرة لا يقومون لها، فقد أنذرت إن نفع الإنذار وبينت إن نفع البيان، قال: ثم جعل يتمثل بهذه ويقول:

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عامر ذرني (٢) وانطلق
إنك إن كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق
دونك ما استقيته فأحسن (٣) وذق

قال: ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين (٤) بن علي وقال: والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن!

قال: ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله، وبلغ ذلك عائشة فأقبلت حتى دخلت مغضبة عليه وقالت: يا معاوية! ما كفاك أنك قتلت أخي محمد بن أبي بكر وأحرقته بالنار حتى قدمت المدينة وأخذت بالوقيعة في أبناء الصحابة وأنت من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة وكان أبوك من الأحزاب! فخبرني ما كان يؤمنك مني إن أبعث إليك من يقتلك بأخي محمد وآخذ بثأري! قال فقال لها معاوية: يا أم المؤمنين! أما أخوك محمد فلم أقتله ولم آمر بذلك ولكنه كان ينصر من جهز علي بن أبي طالب فوجهت إليهم معاوية بن خديج وعمرو بن العاص فحاربهما فقتلاه وفعلا به ما فعلا ولم يك ذلك عن رأيي، وأما قولك تقتليني فإنني في بيت أمان. فقالت عائشة: لعمري أنت في بيت أمان ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن أخت عبد الله بن الزبير والحسين بن فاطمة، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء! فقال معاوية: مهلا يا أم المؤمنين! فهو أعز علي من بصري لكني أخذت البيعة لابني يزيد، وقد بايعه كافة المسلمين، أفتريني أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهودهم! فقالت عائشة: إني لا أرى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني، إنهم لا يخالفونك، وانظر لا يبلغني عنك أنك أسأت إلى أحد منهم فتلقى مني ما لا تحب، واذكر المرجع إلى الله والمنقلب إليه.

---

(١) الكامل لابن الأثير: حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم.
(٢) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٢: يا عمرو أطعني.
(٣) عند ابن الأثير: ما استسقيته فأحس.
(٤) بالأصل: الحسن خطأ.

فقال معاوية: أفعل ذلك يا أم المؤمنين وأنت أهل أن يسمع منك وتطاعي في كل ما تأمرين.
قال: فانصرفت عائشة إلى منزلها، وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فأخبر أنهم قد مضوا إلى مكة، فسكت ساعة يفكر في أمرهم، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه، فلما دخل عليه قرب مجلسه ثم قال: يا بن عباس! أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا وأولاهم بمودتنا لأننا بنو عبد مناف وإنما بعد بيننا وبينكم هذا الملك، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم يعترضوا عليهم ولم يظهروا لهم من المباعدة، ثم قتل عثمان بين أظهركم فلم تغيروا، ثم وليت هذا الأمر فو الله لقد قربتكم وأعطيتكم ورفعت مقداركم فما تزدادون مني إلا بعدا، وهذا الحسين بن علي قد بلغني عنه هنات غيرها خير له منها، فاذكروا علي بن أبي طالب ومحاربته إياي ومعه المهاجرون والأنصار، فأبى الله تبارك وتعالى إلا ما قد علمتم، أفترجون بعد علي مثله أما بعد الحسن مثله؟ قال: فقطع عليه ابن عباس الكلام ثم قال: صدقت يا معاوية نحن بنو عبد مناف وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا، وقد مضى أول الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنك صائر إلى ما تريد، وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جود من عيب، وأما قولك: ذهب علي أفترجون مثله؟ فمهلا يا معاوية رويدا لا تعجل! فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبي سواه. فقال معاوية: إني قد قلبت منك يا بن عباس!
قال: ثم رحل معاوية إلى مكة ورحل معه كافة أصحابه وعامة أهل المدينة وفيهم عبد الله بن عباس، حتى إذا قرب من مكة (١) خرج إليه أهلها فتلقوه كما فعل أهل المدينة وفيهم الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير، فلما نظر إليهم قال: مرحبا وأهلا! ثم نظر إلى الحسين فقال: مرحبا بأبي عبد الله مرحبا بسيد شباب أهل الجنة! ثم نظر إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: مرحبا بشيخ قريش وابن صديقها! [ثم نظر إلى ابن عمر وقال: مرحبا بابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرحبا بابن الفاروق ثم نظر إلى ابن الزبير فقال: مرحبا بابن حواري رسول

---

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٢ بالجرف. (وهو موضع بين المدينة ومكة) وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٢: فلقوه ببطن مر.

الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمته! ثم قال معاوية: علي يا غلام بأربعة من الظهر! فأتي بها،
فركبوا وساروا وسار معهم معاوية وجعل يحدثهم ويضاحكهم حتى دخل مكة، ثم بعث إلى كل واحد منهم بصلة سنية وفضل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة، فلم يقبلها الحسين منه.
وأقام معاوية بمكة لا يذكر شيئا من أمر يزيد، ثم أرسل إلى الحسين فدعاه،
فلما جاءه ودخل إليه قرب مجلسه ثم قال: أبا عبد الله! اعلم أني ما تركت بلدا إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد، وإنما أخرت المدينة لأني قلت (١) هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه، ثم إني بعثت إلى المدينة بعد ذلك
فأبى بيعته من لا علم أحدا هو أشد بها منهم، ولو علمت (٢) أن لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير
من ولدي يزيد لما بعثت له. فقال له الحسين: مهلا يا معاوية! لا تقل هكذا،
فإنك قد تركت من هو خير منه أما وأبا ونفسا، فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله! فقال الحسين: فإن أردت نفسي فكان ماذا؟ فقال معاوية: إذا أخبرك أبا عبد الله! أما أمك فخير من أم يزيد (٣)، وأما أبوك فله سابقة وفضل، وقرابته من الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست لغيره من الناس، غير أنه قد حاكم أبوه أباك، فقضى الله لأبيه
على أبيك، وأما أنت وهو فهو والله خير لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منك.
فقال الحسين: من
خير لأمة محمد! يزيد الخمور الفجور! فقال معاوية: مهلا أبا عبد الله! فإنك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلا حسنا، فقال الحسين: إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيما أقول فيه، فقال له معاوية: أبا عبد الله! انصرف إلى أهلك راشدا واتق الله في نفسك واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته فإنهم أعداؤك وأعداء أبيك.
قال: فانصرف الحسين إلى منزله وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فأقبل، فلما دخل وهم معاوية أن يتكلم (٤) سبقه عبد الرحمن بالكلام وقال: والله يا

---

(١) الإمامة والسياسة: قلت: بيضته وأصله، ومن لا أخافهم عليه.
(٢) الإمامة والسياسة: لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له.
(٣) في الإمامة والسياسة: ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش، لكان لنساء قريش فضلهن، فكيف وهي ابنة رسول الله (ص)، ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأمك لعمر الله خير من أمة.
(٤) في الإمامة والسياسة: " قال معاوية لعبد الرحمن... نحو ما قاله لعبد الله بن عمر " انظر مقالة معاوية لابن عمر ١ / ١٨٨.

معاوية: لعل ودك أنا قد وكلناك إلى الله في أمر ابنك يزيد حتى تفعل ما تريد! ولا والله لا نفعل ذلك أبدا أو لتردن الأمر شورى بين المسلمين (١)! فقال معاوية: أما والله! إني لأعرف بك وبسفهك ولقد هممت أن أفعل كذا وكذا - أو كما قال، فقال له عبد الرحمن: إذا والله يا معاوية يدركك الله به في الدنيا ويدخر لك العقوبة في الآخرة. فقال معاوية: اللهم اكفني أمر هذا الشيخ! يا هذا! اتق الله في نقل أن يسمعك أهل الشام، فقال عبد الرحمن: أما نحن فقد اتقينا الله فذرنا نقعد في منازلنا ولا تدعنا إلى بيعة يزيد الخمور ويزيد الفهود ويزيد القرود.

قال: ثم وثب عبد الرحمن بن أبي بكر مغضبا فصار إلى منزله وأرسل معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فدعاه وقال: يا عبد الله! عهدي بك وأنت تكره الفرقة وتقول: ما أحب أن أبيت ليلة وليس علي أمير، وإني أحذرك أن تشق العصا أو (٢) أن تسعى في الأرض الفساد، وإن الناس قد استوسقوا وبايعوا ابني يزيد غيركم أيتها الرهط فقال له عبد الله (٣): يا معاوية! أما من كان من قبلك أئمة ولهم أبناء وليس ابنك بأفضل من أبنائهم غير أنهم اختاروا لأنفسهم الخيار حيث أنهم علموه، وقد حذرتني الشقاق ولم أكن شاقا لأحد غير أني سمعتك تذكر بيعة قد سبقت وعهدا قد أكد وليس لك عندي خلاف، فإذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف، وإن تفرقوا فإني متوقف حتى يجتمعوا على رجل فأكون كواحد من المسلمين، فقال له معاوية: نعم ما قلت يا بن عمر، قم واحذر أهل الشام.

قال: ثم دعا ابن الزبير، فلما دخل ونظر إليه معاوية تبسم ثم قال:

[ثعلب] (٤) رواغ، كلما سد عليه جحر خرج من آخر، يا بن الزبير! إنك قد عهدت إلى هؤلاء الثلاثة فنفخت في مناخيرهم وحملتهم على غير رأيهم، وذلك أن الناس قد استوسقوا في هذه البيعة غيركم أيها النفر، فاتق الله يا بن الزبير! ولا تكن مشاقا قاطعا، فقال عبد الله بن الزبير: والله ما في شقاق يا معاوية، فلا تبن فينا

---

(١) زيد في الإمامة والسياسة: أو لأعيدنها جذعة.

(٢) العبارة في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٧ وتسعى في تفريق ملئهم، وأن تسفك دماءهم، وأن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم، وقد وكد الناس بيعتهم في أعناقهم، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم.

(٣) بالأصل: عبد الرحمن، خطأ.

(٤) زيادة عن الإمامة والسياسة ١ / ١٨٨.

أساسا لنفسك، والزم ما كان عليه السلف الصالح من أخيار المسلمين، ولا يكن الأمر إلا بشورى بينهم، فإن الإسلام يرد على موارده، فإن أبيت ذلك وقد مللت (١) هذا الأمر فاعتزل وهات ابنك حتى نبايعه، واعلم يا معاوية أن خلافة الله في أرضه وخلقه وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمته عظيمة، وأن الله تبارك وتعالى عنهما مسائلك،

والذي يحاجك في القيامة غدا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر لنفسك يا معاوية قبل أن ينظر لها

سواك. فقال معاوية: يا هذا (٢)! أمسك عليك لسانك واحذر أهل الشام، فإذا خلوت بي فقل ما أحببت فإني محتمل لك.

قال: فانصرف عبد الله بن الزبير إلى منزله، وأقام معاوية في مكة أياما، ثم أمر لقريش بجوائز ولم يأمر لبني هاشم بضيء، فكلمه ابن عباس في ذلك (٣) وقال: إنك قد أعطيت بطون قريش الأموال ولم تعط بني هاشم فلم ذلك يا معاوية؟ فقال معاوية: لأن صاحبكم الحسين بن علي أبى علي أن يبايع يزيد، فقال ابن عباس: إنه قد أبى غير الحسين فأعطيته فقال معاوية: صدقت يا بن العباس! ولستم عندي كغيركم، فقال ابن عباس: والله لئن لم تفعل وترض بني هاشم لألحقن بساحل من سواحل البحر ثم لأنطقن بما تعلم ولأتركن الناس عليك خوارج. قال: فتبسم معاوية وقال: بل يعطون ويكرمون ويزادون أبا محمد! قال: ثم أمر معاوية لبني هاشم بجوائز سنية، فكل قبل جائزته إلا الحسين بن علي، فإنه لم يقبل من ذلك شيئا.

حتى إذا أراد معاوية الخروج عن مكة أمر بالمسير، فقرب من الكعبة ثم أرسل إلى الحسين وابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير فأحضرهم إلى مجلسه، ثم أقبل عليهم فقال: إنكم قد علمتم نظري لكم وصلتي أرحامكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا بعد ذلك أنتم الذين تأمرون وتنهون (٤). فقال له ابن الزبير: يا معاوية! إنا نخيرك خصالا ثلاثا (٥) فاختر منها

---

(١) عن الإمامة والسياسة، وبالأصل: ملكت.

(٢) الإمامة والسياسة: ما أراك إلا قاتلا نفسك، ولكأني بك قد تخبطت في الحبالة.

(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٣ والإمامة والسياسة ١ / ١٩٠ أن هذا تم بعدما بايعه أهل المدينة وانصرف عادا إلى الشام. وأن ابن عباس قد لحقه إلى الروحاء.

(٤) زيد في الكامل لابن الأثير: وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك... فسكتوا. فقال: ألا تجيبون؟ مرتين.

وكان هؤلاء النفر - وبعد الجوائز وتقديمات التي منحهم إياها معاوية - قد قالوا بعضهم لبعض: لا

أيتهن شئت فهي لك صلاح (١). قال معاوية: وما ذاك يا بن الزبير؟ قال: إن شئت فاصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه خرج من الدنيا ولم يستخلف، ثم اختار الناس
من بعده أبا بكر الصديق فجعلوه خليفة، فافعل أنت ذلك إلى أن يقضي الله فيك أمره فيختار الناس لأنفسهم كما اختاروا أبا بكر، فقال معاوية: إنه ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر، وإني لا آمن عليكم الاختلاف. قال ابن الزبير: فاصنع كما صنع أبو بكر، إنه ترك ولده ورهطه الأدنين (٢) ممن كان للخلافة أهلا وعهد إلى رجل من قاصية قريش (٣) فجعلها في عمر بن الخطاب، فجنبها أنت أيضا ابنك واجعلها فيمن شئت من قريش ما خلا بني عبد شمس. وإن شئت فاصنع كما صنع عمر بن الخطاب، أن جعلها شورى في ستة نفر من الصحابة (٤) يختارون لأنفسهم رجلا وترك ولده وأهل بيته، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا. فقال معاوية: فهل من شيء غير هذا يا بن الزبير؟ فقال: ما عندي لها رابعة.
فقال معاوية للثلاثة الباقية: ما تقولون أنتم؟ فقالوا: نحن على ما قال ابن الزبير. قال معاوية: فإني أريد أن أرحل عن مكة غير أني عزمت أن أتكلم على المنبر بكلام (٥) والمبقي في ذلك الوقت إنما يبقي على نفسه من أهل الشام وأنتم أعلم، وقد أعذر من أنذر. قال: فانصرف القوم إلى منازلهم.
فلما كان من الغد خرج معاوية وأقبل حتى دخل المسجد، ثم صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، وأقبل الحسين بن علي وابن أبي

تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه إلا لما يريد. فأعدوا له جوابا فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير.
(٥) بالأصل: ثلاثة.
(١) العبارة في تاريخ خليفة ص ٢١٦: أيها ما أخذت فهو لك رغبة.
(٢) الأدنون: أقرب العشيرة نسبا.
(٣) زيد في ابن الأثير: ليس من بني أبيه فاستخلفه.
(٤) في ابن الأثير: ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.
(٥) العبارة في ابن الأثير ٢ / ٥١٣ وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه.
ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. (انظر أيضا العقد الفريد ٤ / ٣٤٨).

بكر وابن عمر وابن الزبير حتى جلسوا إلى المنبر ومعاوية جالس، حتى علم أن الناس قد اجتمعوا وثب قائما على قدميه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنهم قد زعموا أن الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذا سامعين مطيعين، وقد سلموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا (١).

قال: فضرب أهل الشام بأيديهم إلى سيوفهم فسلوها ثم قالوا: يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي تعظمه من أمر هؤلاء الأربعة؟ ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فإنا لا نرضى أن يبايعوا سرا ولكن يبايعوا جهرا حتى يسمع الناس أجمعون، فقال معاوية: سبحان الله! ما أسرع الناس بالشر وما أحلى بقاءهم عندهم! اتقوا الله يا أهل الشام ولا تسرعوا إلى الفتنة، فإن القتل له مطالبة وقصاص.

قال: فبقي الحسين بن علي وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير حيارى لا يدرون ما يقولون، يخافون إن يقولوا: لم نبايع، الموت الأحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام أو وقوع فتنة عظيمة فسكتوا ولم يقولوا شيئا (٢)، ونزل معاوية عن المنبر، وتفرق الناس وهم يظنون أن هؤلاء الأربعة قد بايعوا. قال: وقربت رواحل معاوية فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام.

قال: وأقبل أهل مكة إلى هؤلاء الأربعة فقالوا لهم: يا هؤلاء! إنكم قد دعيتم إلى بيعة يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك، ثم دعيتم فرضيتم وبايعتم! فقال الحسين: لا والله ما بايعنا! ولكن معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به. ثم صعد المنبر وتكلم بكلام، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعا ولا ندري إلى ما ذا يؤول أمرنا، فهذه قصتنا معه.

---

(١) العبارة في العقد الفريد ٤ / ٣٤٨: وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا نبرم أمرا دونهم، ولا نقضي أمرا عن مشورتهم، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا وسلموا وأطاعوا. (انظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٠).

(٢) زيد في ابن الأثير ٢ / ٥١٣: فبايع الناس، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر.

ذكر انصراف معاوية عن مكة وما يلي به من
سفره من المرض وخبر وفاته

قال: ثم رحل معاوية، فلما صار بالأبواء (١) ونزلها قام في جوف الليل لقضاء حاجته فاطلع في بئر الأبواء، فلما اطلع فيها اقشعر جلده وأصابته اللقوة في وجهه (٢) فأصبح لما به، فدخل عليه الناس يعزونه ويتوجعون له مما قد نزل به، فقال: أيها الناس! إن المؤمن ليصاب بالبلاء فإما معاقب بذنب وإما مبتلى ليؤجر، وإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون من قبلي، وأنا أرجو أن أكون منهم، وإن مرض مني عضو فذلك بأيام صحتي وما عوفيت أكثر، ولئن أعطيت حكمي فما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني لأني اليوم ابن بضع وسبعين (٣)، فرحم الله عبدا نظر إلي فدعا لي بالعافية، فإني وإن كنت غنيا عن خاصتكم لقد كنت فقيرا إلى عامتكم. قال: فدعا الناس له بخير وخرجوا من عنده.

وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم: أجزعا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا يا مروان! ولكني ذكرت ما كنت عنه عزوفا ثم إني بليت في أحسني وما ظهر للناس مني، فأخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان مني من دفعي بحق علي بن أبي طالب، وما فعلت بحجر بن عدي (٤) وأصحابه، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي.

قال: ثم رحل معاوية عن ذلك المكان حتى صار إلى الشام، فدخل إلى منزله واشتد عليه مرضه. وكان في مرضة يرى أشياء لا تسره حتى كأنه ليهذي هذيان المدنف (٥) وهو يقول: اسقوني اسقوني! فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى. وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلى صوته: ما لي

---

١) الأبواء: جبل على يمين آرة، ويمين الطريق المصعد إلى مكة من المدينة.
(٢) في الطبري: وكان به النفاثات. وفي ابن الأثير ٢ / ٥٢٤ التفاتات.
(٣) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٩ ابن سبع وسبعين سنة، ويقال: ثمانين سنة.
(٤) وكان زياد بن أبيه قد أخذ حجر بن عدي وجماعة من أصحابه - ثلاثة عشر رجلا - وأشخصهم إلى معاوية
وكتب إليه أن خالفوا الجماعة وزروا على الولاة وأنفذ شهادات قوم عليهم بذلك فقتل معاوية حجرا وستة آخرين وذلك في سنة ٥٢ ه. (الطبري - ابن الأثير - اليعقوبي).
(٥) قال مرة: كم بيننا وبين الغوطة؟ فصاحت بنته: واحزناه! فقال: إن تنفري فقد رأيت منفرا (الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٢٥).

ومالك يا حجر بن عدي! ما لي وما لك يا عمرو بن الحمق! مالي ومالك يا بن أبي طالب! إن تعاقب فبذنوبي وإن تغفر فإنك غفور رحيم.
قال: وابنه يزيد في خلال ذلك لا يفارقه، ومعاوية يتململ على فراشه وينظر إلى أهله وولده ويقول:
لقد سعيت لكم من سعي ذي نصب * وقد كفيتكم التطواف والرحلا (١)
ثم أغمي عليه، فقالت امرأة من قريش: مات أمير المؤمنين، قالت: ففتح معاوية عينيه وجعل يقول:
فإن مات (٢) مات الجود وانقطع الندى * من الناس إلا من قليل مصرد
وردت أكف السائلين فأمسكوا (٣) * من الدين والدنيا بخلف مجدد (٤)
قال: ثم جعل معاوية يضرب بيده إلى تعويذ كان في عنقه فقطعه ورمى به، وجعل يقول:
وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع (٥)
فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين! عجل علي بالبيعة قبل موتك فقد أزف الأمر، فإنك إن لم تذكر البيعة لي خشيت أن ألقى من آل تراب مثل ما لقيت. قال: ومعاوية ساكت لا يتكلم بشيء.
فلما كان من غد يوم الأربعاء دعا معاوية بوزرائه وقواده وخاصته وأهل بيته،

---

(١) البيت في الطبري ٦ / ١٨٢ ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ والمعمرين ص ١٥٩ وعجزه فيه: وقد كفيتكم الترحال والنصبا.
(٢) الطبري ٦ / ١٨٢ ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ إذا مت.
(٣) الطبري وابن الأثير: وأمسكوا.
(٤) بالأصل: " محمد " وما أثبتناه عن الطبري.
والبيتان للأشهب بن رميلة (زميلة) النهشلي يمدح بهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع.
(٥) وقبله في ابن الأثير:
وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
والبيتان لأبي ذؤيب الهذلي، ديوانه ١ / ٣٨.

فأحضرهم مجلسه ثم أمر الحاجب أن لا يحجب عنه الناس. قال: فجعل الناس يدخلون ويسلمون فينظرون إليه ثقيلا مدنفا، فيخرجون إلى الضحاك بن قيس الفهري وهو صاحب شرطته فيقولون: ذهب والله أمير المؤمنين، وكأن البيعة من بعده تخرج من آل أبي سفيان إلى آل أبي تراب، لا والله لا نرضى بذلك أبدا.

قال: ثم اجتمع الناس إلى الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري

فقالوا (١): إنما أنتما صاحبا أمير المؤمنين، وقد حضره من الأمر ما قد علمتما (٢)، ادخلا إليه ولقناه واسألاه أن يوصي إلى ابنه يزيد فإنه لنا رضى. قال: فعندها بادر الضحاك ومسلم بن عقبة فسألاه عن نفسه، فقال معاوية: أصبحت والله ثقيل الوزر، عظيم الذنب، أرجو ربا رحيما، وأخشى عذابا أليما. فقال له الضحاك: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد اضطربوا وضجوا واختلفوا شرعة هذه وأنت حي فكيف وإن حدث بك أمر! فماذا ترى أن يكون حال الناس؟ قال: ثم تكلم مسلم بن عقبة فقال: يا أمير المؤمنين! إنا نرى الناس ونسمع كلامهم، ونرى أن الأمر في يزيد وهو أهم له وهو لهم رضى، فبادر إلى سمعته من قبل أن يعتقل لسانك. فقال: صدقت يا مسلم! إنه لم يزل رأيي من يزيد وهل تستقيم الناس لغير يزيد، ليتها في ولدي وذريتي إلى يوم الدين، وأن لا تعلو ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان! ولكن أخروا لي هذا الأمر إلي غد، فهذا يوم الأربعاء وهو يوم ثقيل ويوم نحس لا يبرم فيه أمر إلا كان عاقبته شرا. فقال الضحاك: يا أمير المؤمنين! إن الناس مجتمعون بالباب وليس يجوز أن ينصرفوا دون أن تعقد البيعة ليزيد. قال معاوية: فأدخلا إلي إذا الناس.

قال: فخرجا واختارا سبعين رجلا من صناديد قريش وأهل الشام، فلما دخلوا على معاوية سلموا فرد عليهم السلام ردا ضعيفا ثم قال: يا أهل الشام! كيف رضاكم عني؟ فقالوا: خير الرضى يا أمير المؤمنين! لقد كنت لنا أبا رؤوفا وكهفا منيعا، وأخذ كل منهم بفرضة وأثنى عليه خيرا، ثم انهم سبوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه و قالوا فيه القبيح، وقالوا: إنه سار إلينا من العراق فقتل سراتنا وأباد حضارنا ولسنا نحب أن تصير الخلافة إلى ولده، فاجعلها في ولدك يزيد فإنه لنا رضى ولجميع

---

(١) الأصل: فقالا.

(٢) الأصل: علمتم.

المسلمين، ومن مال عنه برأسه في بيعته ملنا عليه بسيوفنا، هكذا وجدنا بأنفسنا دون نفسه.

قال: فسر معاوية بما سمع من كلام أهل الشام ونشط لذلك، ثم استوى جالسا وأمر بجميع من على الباب من الناس بالدخول عليه، فدخلوا حتى غصت الدار بهم، فأقبل عليهم معاوية بوجهه ثم قال: أيها الناس! إنكم قد علمتم أن كل شيء في هذه الدنيا فإلى زوال وقد حضرني من القضاء المحتوم ما ترون، فسلوني من تحبون أن أولي عليكم! فقالوا بكلمة واحدة: إنا قد رضينا بابنك يزيد، فوله عهدك فهو الرضى لنا، فقال معاوية: إني قد سمعت إذا كلامكم غير أني قادم على رب رحيم لا يتعاظمه ذنب أو يغفره، وإنه يسألني عن الصغير والكبير، فسلوني ما تحبون أن أولي عليكم! قال: فضج الناس بأجمعهم وقالوا: نريد أن تولي علينا يزيد، فنعم الخلف والمستخلف.

قال: فعندها قال معاوية للضحاك: بايع ليزيد، فبايع الضحاك وبايع مسلم بن عقبة، وأمر الناس بالبيعة حتى بايع الناس أجمعون. ثم خرجوا وأمر معاوية لابنه يزيد أن يلبس ثياب الخلافة ويخرج إلى الناس فيصعد المنبر ويخطب.

قال: فخرج يزيد وعلى رأسه عمامة معاوية ومعه سيفه وخاتمه وقد لبس قميص عثمان الذي قتل عثمان فيه ملطخا بالدم حتى صعد المنبر، فلم يزل يخطب ويتكلم إلى أن انتصف النهار، ثم نزل عن المنبر وقد بايعه الصغير والكبير، فدخل على أبيه معاوية ومعاوية في غشيانه وكربه لا يعقل يومه ذلك شيئا من أمره حتى مضى من الليل ما مضى، فلما أفاق من غشوته وفتح عينيه ونظر إلى ولده يزيد عند رأسه فقال له: ما صنعت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قد بايعني الناس ودخلوا في طاعتي فرحين مسرورين. قال: فدعى معاوية بالضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة فقال لهما: أخرجا ما في وسادتي! فأخرجا كتابا كتب فيه معاوية بخطه قبل ذلك.

ذكر الكتاب والعهد إلى يزيد

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهده معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد، انه قد بايعه وعهد إليه، وجعل له الخلافة من بعده، وأمره بالرعية والقيام بهم والإحسان إليهم، وقد سماه " أمير المؤمنين "، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل

والإنصاف، وأن يعاقب على الجرم ويجازي على الإحسان، وأن يحفظ هذا الحي من قريش خاصة، وأن يبعد قاتلي الأحبة، وأن يقدم بني أمية وآل عبد شمس على بني هاشم، وأن يقدم آل المظلوم المقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفان على آل أبي تراب وذريته، فمن قرىء عليه هذا الكتاب وقبله حق قبوله وبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية فمرحبا به وأهلا، ومن تأبى عليه وامتنع فضرب الرقاب أبدا حتى برجع الحق إلى أهله – والسلام على من قرىء عليه وقبل كتابي هذا –.

قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الضحاك بن قيس وقال: انظر إذا أصبحت أن تصعد المنبر وتقرأ هذا الكتاب على الصغير والكبير وتسمع مقالهم.

فقال الضحاك: إني فاعل ذلك غدا إن شاء الله.

قال: ثم أقبل معاوية على يزيد فقال: يا بني! خبرني الآن ماذا أنت صانع بهذه الأمة! أتسير فيهم بسيرة أبي بكر الصديق الذي قاتل أهل الردة وقاتل في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إني لا أطيق أن أسير بسيرة أبي بكر الصديق، لكني آخذ الرعية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: يا

بني! أتسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب الذي مصر الأمصار وفتح الديار وجند الأجناد وفرض الفروض ودون الدواوين وجبى الفيء وجاهد في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون؟ فقال يزيد: لا يتهيأ لي أن أصنع كما صنع عمر، ولكني آخذ الناس بكتاب الله والسنة. فقال معاوية: يا بني! أتسير فيهم بسيرة ابن عمك عثمان بن عفان الذي أكلها في حياته وورثها بعد مماته واستعمل أقاربه؟ فقال يزيد: قد خبرتك يا أمير المؤمنين أن الكتاب بيني وبين هذه الأمة، به أطالبهم وعليه أقاتلهم.

قال: فتنفس معاوية الصعداء، وقال: إني من أجلك آثرت الدنيا على الآخرة ودفعت حق علي بن أبي طالب وحملت الوزر على ظهري، وإني لخائف أن لا تقبل وصيتي فتقتل خيار قومك ثم تعدو على حرمة ربك فتقتلهم بغير الحق ثم يأتيك اليوم بغتة فلا دنيا تصيب ولا آخرة تحب، يا بني! إني جعلت هذا مطمعا لك ولولدك من بعدك وإني موصيك بوصية فاقبلها فإنك تحمد عاقبتها! كن حازما صارما، انظر إن تأتك نائبة تثب وثوب الشهم البطل، ولا تجبن جبن الضعيف الوكل، فإني قد كفيتك الجد الترحال (١)، وجوامع الكلام والمنطق ونهاية البلاغة، ودفع المؤنة وسهولة

---

(١) في الطبري ٦ / ١٧٩ الرحلة والترحال. وفي ابن الأثير ٢ / ٥٢٣ الشد والترحال.

الحفظ، ولقد وطأت لك يا بني البلاد (١)، وذللت لك رقاب (٢) العرب الصعاب، وأقمت لك المنار وسهلت لك السبل، وجمعت لك اللجين والعقيان، ومهدت لك الملك من بعدي تمهيدا، فعليك يا بني من الأمور ما قرب مأخذه وسهل مطلبه، وذر عنك ما اعتاص عليك، واعلم يا بني أن سياسة الخلافة لا تتم لك إلا بثلاث:
بجأش ربيط، وكف أذى، وخلق رحيب، وثلاث أخر: علم ظاهر، وخلق طاهر، ووجه طلق، ثم تردف ذلك بعشر أخر: بالصبر، والأناة، والتودد، والوقار، والسكينة، والمروءة الظاهرة، والشجاعة، والسخاء، والاحتمال للرعية بما تحب وتكره، ولقد علمت يا بني أني كنت في أمر الخلافة خائفا شبعا يشهى شهوانا أصبح عليها جزعا وأمسى هلعا، حتى أعطاني الناس ثمرة قلوبهم وبادروا إلى طاعتي، فادخل يا بني من هذه الدنيا في حلالها واخرج من حرامها، وأنصف الرعية واقسم فيئهم فيهم بالسوية، واعلم يا بني أني أخاف عليك من هذه الأمة أن تنازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده، وخصوصا أربعة نفر من قريش، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر (٣) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وشبيه أبيه الحسين بن
علي، فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه إذا صنع أصحابه شيئا صنع مثلهم وإن لم يصنعوا أمسك، وهو رجل همه النساء (٤) ولذة الدنيا، فذره يا بني وما يريد ولا تأخذ عليه في شيء من أمره فلقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمة وقد يرعى ذمام الوالد في ولده. وأما عبد الله بن عمر فإنه (٥) رجل صدق قد توحش من الناس وآنس

---

(١) الطبري: الأشياء، وابن الأثير: الأمور.
(٢) الطبري: وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب.
(٣) كذا بالأصل والطبري ٦ / ١٧٩ والأخبار الطوال ص ٢٢٦ وابن الأثير ٢ / ٥٢٣، وقد ذكر في الوصية هنا عبد الرحمن بن أبي بكر. نقول: ثمة من قال أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات بعد زياد بن أبيه سنة ٥٣. والأكثر على أنه مات سنة ٥٨ بمكة وكان موته موت فجأة من نومة نامها بمكان على عشرة أميال من مكة فحمل إليها ودفن بها. وقال ابن سعد: مات سنة قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد (الإصابة – تهذيب التهذيب) هذا يحتمل أن تكون الوصية – العهد – قد كتب قبل وفاة معاوية وبعد قدومه مباشرة من المدينة.
وفي الطبري ٦ / ١٨٠ أيضا نص مقارب لما ذكر هنا ولم يذكر فيه عبد الرحمن بن أبي بكر، وكذلك في البداية والنهاية ٨ / ١٢٣ والبيان والتبيين ٢ / ١١٦ والعقد الفريد ٤ / ٧٩ و ٣٤٩. وهو الصواب على كل حال.
(٤) الطبري: النساء واللهو.
(٥) الأخبار الطوال: فإنه رجل قد وقذته العبادة، وليس بطالب للخلافة إلا أن تأتيه عفوا.

إلى العبادة ورضي بالوحدة، فترك الدنيا وتخلى منها فهو لا يأخذ منها شيئا، وإنما تجارته من هذه الدنيا كتجارة أبيه عمر بن الخطاب، فأقرئه مني السلام وتعاهده بالعطاء الموفر أفضل تعاهد. وأما عبد الله بن الزبير فما أخوفني أنك تلقى منه عتبا! فإنه صاحب خلل في القول وزلل في الرأي وضعف في النظر، مفرط في الأمور مقصر في الحقوق، وإنه سيحثو (١) لك كما يحثو الأسد في عرينه ويراوغك رواغ (٢)
الثعلب، فإذا (٣) أمكنه منك فرصة لعب بك كيف شاء، فكن له يا بني كذلك، واجزه صاعا بصاع، واحذه حذو النعل إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة وبتوبة فأقمه على ما يريد. وأما الحسين بن علي فأوه أوه يا يزيد! ماذا أقول لك فيه!
فاحذر أن لا يتعرض لك ومد له حبلا طويلا وذره يضرب في الأرض حيث شاء ولا تؤذه، ولكن ارعد له وابرق، وإياك والمكاشفة له في محاربة سل سيف أو محاربة طعن رمح، ثم أعطه ووقره وبجله، فإن حال أحد من أهل بيته فوسع عليهم وأرضهم فإنهم أهل بيت لا يرضيهم إلا الرضى، ولا يسعهم إلا المنزلة الرفيعة، وإياك يا بني أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين، فإن ابن عباس حدثني فقال: إني حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في السياق وقد ضم الحسين بن علي إلى صدره وهو يقول: هذا
من أطائب أرومتي وأنوار عترتي وخيار ذريتي، لا بارك الله فيمن لا يحفظه بعدي!
قال ابن عباس: ثم أغمي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساعة ثم أفاق وقال: يا حسين! إن لي
ولقاتلك يوم القيامة مقاما بين يدي ربي وخصومة، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصيما لمن قتلك يوم القيامة. يا بني! هذا حديث ابن عباس، وأنا أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أتاني جبريل يوما فخبرني وقال: يا محمد! إن أمتك ستقتل
ابنك حسينا وقاتله لعين هذه الأمة، ولقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا بني قاتل الحسين مرارا،
فانظر لنفسك ثم انظر أن لا يتعرض له بأذية، فحقه والله يا بني عظيم، ولقد رأيتني كيف كنت أحتمله في حياتي وأضع له رقبتي وهو يواجهني بالكلام الذي يمضني ويؤلم قلبي، فلا أجيبه ولا أقدر له على حيلة، فإنه بقية أهل الأرض في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر.
قال: ثم أقبل [على] الضحاك ومسلم بن عقبة فقال لهما معاوية: أشهدا

---

(١) الطبري: يحثم لك جثوم الأسد.
(٢) الطبري وابن الأثير: مراوغة. الأخبار الطوال: روغان.

(٣) عبارة الأخبار الطوال: فإن فعل وظفرت به، فقطعه إربا إربا إلا أن يلتمس منك صلحا

على مقالتي هذه، فو الله إن فعل بي الحسين كل ما يسوءني لاحتملته أبدا ولم يكن الله يسألني عن دمه، أفهمت عني ما أوصيتك به يا يزيد (١)؟ فقال: فهمت يا أمير المؤمنين. ثم قال معاوية: انظر في أهل الحجاز فهم أصلك وفرعك، فأكرم من قدم عليك منهم ومن (٢) غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم، وانظر أهل العراق فإنهم لا يحبونك أبدا ولا ينصحونك ولكن دارهم مهما أمكنك واستطعت، وإن سألوك على كل يوم أن تعزل عنهم عاملا فافعل، فإن عزل عامل واحد هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظهارتك وقد بلوتهم واختبرتهم فهم صبر عند اللقاء حماة في الوغى، فإن رابك أمر من عدو يخرج عليك فانتصر بهم، فإذا أصبت منهم حاجتك فارددهم (٣) إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت الحاجة إليهم.

قال: ثم تنفس معاوية الصعداء وغشي عليه طويلا، فلما أفاق قال: آوه آوه (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (٤). ثم جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب * عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رحيم (٥) * عن مسيء ذنوبه كالتراب

قال: ثم التفت إلى أهل بيته وقرابته وبني عمه فقال: اتقوا الله حق تقاته، فإن تقوى الله جنة حصينة، وويل لمن لم يتق الله! ويخاف عذابه وأليم عقابه. ثم قال: اعلموا أني كنت بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو يقلم أظفاره فأخذت من قلامته

فجعلتها في قارورة فهي عندي، وعندي أيضا شيء من شعره، إذ أنا مت وغسلتموني وكفنتموني فقطعوا تلك القلامة فاجعلوها في عيني، واجعلوا الشعر في

---

(١) كذا بالأصل والأخبار الطوال ص ٢٢٦ وفيه أن معاوية سلم الكتاب الوصية إلى الضحاك وكان يزيد غائبا
في فترة مرضه " ثم قدم يزيد عليه، فأعاد عليه هذه الوصية، ثم قضى " وثمة إجماع على أن يزيد لم يرجع إلا وقد مات معاوية فقرىء عليه الكتاب - الوصية (الطبري ٦ / ١٨٠ ابن الأثير ٢ / ٥٢٤ البيان و التبيين ٢ / ١١٥).
(٢) الطبري: وتعاهد. الأخبار الطوال: ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم.
(٣) الأخبار الطوال: وألا يطيل حبسهم في غير شامهم، لئلا يجروا على أخلاق غيرهم.
(٤) سورة الإسراء الآية ٨١.
(٥) في ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ صفوح.

فمي وأذني (١)، وصلوا علي وواروني في حفرتي وذروني وربي فإن ربي رؤوف رحيم. قال: ثم انقطع كلامه فلم ينطق بشيء، وخرج يزيد من يومه ذلك إلى موضع يقال له حوارين (٢) الثنية مقتصدا للصيد وقال للضحاك بن قيس: انظر لا تخف علي شيئا من أمر أمير المؤمنين.

قال: وتوفي معاوية من الغد وليس يزيد بحضرته، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وتوفي بدمشق يوم الأحد لأيام خلت من رجب ست ستين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة - والله أعلم (٣). فأنشأ الأحوص بن محمد الأنصاري يقول:

يا أيها الرجل المرحل بالضنى (٤) * وهو الكبير له إذا تظليل
قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعلم فليس إلى الخلود سبيل
إن الحمام لطالب لك لا حق * والموت ربع مقامه محلول
لا بد من يوم لكل معمر * فيه لعده (٥) عليه بل ترحيل
والناس إرسال إلى أمد لهم * يمضي لهم جيل ويخلف جيل
إن امرءا أمن الزمان وقد رأى * غير الزمان وزيه لجهول
أودى ابن هند وهو في ذي عبرة * أما اعتبرت لمن به معقول
ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لمهلكه الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وما سقى والنيل
والشام أجمعها له وبلادها * فيها قبائل دجلة وخيول
يمايل ما إن تظن لملكه (٦) * عنه ولا لنعيمه تحويل
وبكل أرض عوده من عروة * حصن لحرب أو دم مطلول

---

(١) الطبري ٦ / ١٨٢: أن رسول الله (ص) كساني قميصا.. فإذا مت فألبسوني ذلك القميص، وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها في عيني وفي في فعسى الله أن يرحمني ببكرتها.

(٢) حوارين: موضع من تدمر على مرحلتين، وحوارين من قرى حلب، وقيل في حوارين حصن من ناحية حمص. والأصل: حوراره وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير...

(٣) في مدة خلافته وعمره اختلاف انظر في ذلك الطبري ٦ / ١٨٠، مروج الذهب ٣ / ٣ تاريخ خليفة ص ٢٢٦ ابن الأثير ٢ / ٥٢٤، الأخبار الطوال ٢٢٦ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٨ الاستيعاب ترجمة ٤٩٧٧ الإصابة ترجمة ٨٠٧٤ أسد الغابة ومآثر الإنافة ١ / ١٠٩.

(٤) الأصل: الصبي.

(٥) كذا بالأصل، لعله: يعوده.

(٦) كذا، والوزن غير مستقيم.

يقضي فلا خرق ولا متتعتع * لمقالة ما قال حين يقول
لو أنه وزن الجبال بحلمه * يوما إذا لا ظل وهي تميل
فهو الذي لو كان حيا خالدا * يوما لكان من المنون بديل
قال: ثم خرج الضحاك بن قيس من دار معاوية لا يكلم أحدا والأكفان معه حتى دخل المسجد الأعظم، فنودي له في الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! إن أمير المؤمنين معاوية قد (٢) شرب كأسه وهذه أكفانه، ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه حفره (٣)، ومخلون بين عمله وبينه (٤)، فمن كان منكم يريد [أن] يشهده فليحضره بين الصلاتين ولا يقعد عن الصلاة عليه إن شاء الله.

---

(١) الطبري ٦ / ١٨٢ ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ الأخبار الطوال ص ٢٢٦.
(٢) الأخبار الطوال: عاش بقدر ومات بأجل.
(٣) الأخبار الطوال والطبري: قبره.
(٤) الأخبار الطوال: " ومخلون بينه وبين ربه ". وزيد في الطبري: ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة.